المشروع الوهابي

لطمس الآثار والعمائر الإسلامية

منهج لمحو التاريخ وقطيعة مع التوحيد الإسلامي

محمد نعمة السماوي

دار الكتب التاريخية
ناشرون

المشروع الوهابي

لطمس الآثار والعمائر الإسلامية

منهج لمحو التاريخ وقطيعة مع التوحيد الإسلامي

هوية الكتاب

اسم الكتاب : **المشروع الوهابي - لطمس الآثار والعمائر الإسلامية**

المؤلف : محمّد نعمة السماوي

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

دار النشر : دار الكتب التأريخية ناشرون

الموقع الإلكتروني : darkitab.taarekheya@gmail.com

جميع حقوق الطبع محفوظة

يرجى عند النقل والإقتباس من هذا الكتاب عدم الإخلال بالمعنى

وذكر المصدر، رعاية للأمانة العلمية.

المشروع الوهابي

لطمس الآثار والعمائر الإسلامية

منهج لمحو التاريخ وقطيعة مع التوحيد الإسلامي

محمد نعمة السماوي

دار الكتب التأريخية
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

يبدو المشروع الوهابي متأزماً وغير منضبط في أغلب مراحل وآليات حراكه ومساعيه لاحتواء الشارع الإسلامي، والسيطرة عليه والتحدث باسمه. ورغم تغير لهجة الخطاب العالمي وإعادة انتاجه وصياغة الكثير من مفرداته بفعل حركة النشر والاعلام والتلاقح الثقافي والترجمة وغيرها، فإنه ظلّ لدى الوهابيين محاصراً بلغة النبز التحقيرية الذي اتسم به في كل المراحل، فقد حسمت قناعاتهم إلى الأبد وحفرت خنادق القطيعة مع الآخرين عبر وسائل متشنجة، لا تتيح أية مساحة للحوار أو التواصل. وظلّ الآخر؛ المنبوذ المذهبي (وهو كل من لا يحمل توصرات وآراء الوهابيين، وكل من لا يؤمن بها إيماناً محسوماً دون جدل أو نقاش) في مربع العدو، الذي صنّف على أنه مشرك أو كافر؛ واستتبع ذلك إباحة دمه وماله وعرضه إن أمكن ذلك.

إن تداعيات تصرفات حَملَة هذا المشروع منذ تأسيسه وبدء حراك هؤلاء حوالي عام ١٧٤٥م، أفروت أجواء مشحونة بالحروب وحملات الغزو بأشكال وأساليب ماراثونية متلاحقة، لم تتح فرصة لالتقاط الأنفاس وتقييم الوضع والخروج من حالات الكر والفر والصراعات التي أمسك بعضها بذيل بعض حتى أوصلت الجميع إلى حالة من التخبط، انشغلوا بها عن همومهم ومشاكلهم الحقيقية وتطلعاتهم وطموحاتهم وأحلامهم.

وإذ أن هذا - بنظر بعض الباحثين - لم يأت بشكل اعتباطي وإنما خطط له في دوائر القرار العالمية التي استغلت انحطاط أوضاع العالم الإسلامي؛

وبدء انحسار نفوذ آخر امبراطورية وراثية تحكمه، فإن هذا البعض، وله مبرراته وحججه المقنعة في أغلب الأحيان، رأى في الوهابية التي أصبحت الآن مرجعية فكرية لأغلب حركات التطرف الإسلامية التي تشغل بال العالم وتقلقه، رأس الحربة الذي استخدم ويستخدم الآن بفعالية للقضاء على أي أمل بتوحيد المسلمين؛ وتلاحمهم وانتشالهم من أوضاعهم المزرية. وأصبح من المهم للجميع معرفة هذه الحركة التي رفعت شعارات الاصلاح والتوحيد الصافي النقي لكنها أوقعت المسلمين في مطبات ومستنقعات إضافيه شلّت حركتهم وجعلتهم في مؤخرة الركب العالمي؛ رغم امتلاكهم الثروة ومقومات النهوض.

إن الاطلاع عليها وعلى طبيعة وآليات حراكها تتيح فهم سبب انتهاجها طريق التكفير، الاسرع لتحقيق أهدافها، بدلاً من الحوار الذي وضعته في خانة المحظورات. فالتكفير هو المفتاح السحري الذي يتيح لها تحقيق تلك الأهداف، وإلا فبماذا ستبرر كل أنواع العنف السابقة والحالية لو لم يعرضوا الطرف الآخر (**الخصم**) على أنه كافر أو مشرك! وأية ذريعة يتوسلون بها لتحقيق بقية مفردات شروعهم لو لم يجدوا سبباً جاهزاً ومفصلاً على مقاس هذا المشروع، يتيح لهم امساك المسلمين بالجرم المشهود، وهو التواصل مع رموزهم الكبيرة كالنبي محمد ﷺ وأهل بيته وبعض الصحابة والعلماء وزيارة أضرحتهم ومساجدهم والتعبد فيها، واستحضار مواقفهم المشرفة واستذكارهم كقدوة دائمة ومثلٍ أعلى لهم...!

لقد كان ذلك بنظر الوهابيين الذريعة الجاهزة - استناداً لبعض الأحاديث الملفقة والواهية والتي لا تنسجم مع التصور الإسلامي العام - لاتهام المسلمين بالشرك والكفر. ورغم قيام عشرات الباحثين والدارسين بتفنيد ما ورد في تلك الأحاديث الموضوعة والمزورة، إلا أنهم حسموا أمرهم

وتمسكوا بها وجندوا عشرات الدعاة والفقهاء المنتمين لمدرستهم لترويجها وعرضها كمسلّمات لا تقبل الجدل. فالتكفير لديهم ليس أمراً كمالياً، يقومون أو لا يقومون به، وإنما هو حاجة ملحّة وأمر أساسي في أدبياتهم وإلا لما وجدوا أي مبرر لانشقاقهم عن مجموع المسلمين، وتنفيذ الاجندات الخفية التي أرادوا بها إضعافهم وزعزعة أوضاعهم.

ولعل كشف هذه الاجندات واللجوء إلى المواجهة الايديولوجية وتبصير المسلمين بحقيقة المشروع الوهابي هو السبيل الأوفق لحسم المعركة معهم واسكات أصواتهم، ذات النبرة الصاخبة وحسر نفوذهم وتأثيرهم على الشرائح الأقل علماً ووعياً. وربما تكون هذه الدراسة ومثيلاتها مساهمة مفيدة في مشروع المواجهة خصوصاً وإن تسارع الأحداث بهذا الشكل المأساوي المريع يتطلب من الجميع المساهمة بهذا المشروع؛ ولو بالقراءة والاطلاع لاكتساب الوعي وتحصين الآخرين من مخاطرهم المحدقة.

المؤلف

الولايات المتحدة الاميركية

٢٠١٤/٩/٢٠

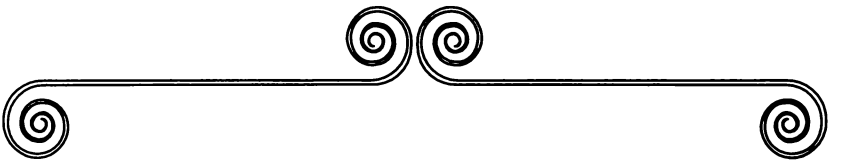

الفصل الاول

الآثار والعمائر: شواخص ماديّة وثائق تتحدث عن التاريخ

«التأريخ يصنع من وثائق. والوثائق هي الآثار التي خلّفتها أفكار السلف وأفعالهم. وحيث لا وثائق فلا تأريخ...».

(لانجلوا: النقد التاريخي)

الفصل الأول

الشواخص المادية
وثائق تتحدث عن التأريخ

ـــ ١ ـــ

في عام ١٨٩٨م كتب (شارل فكتور لانجلوا)[١] في (الهورسطيقا)؛ البحث عن الوثائق، مقالة جميلة أشار فيها إلى أن «التأريخ يصنع من وثائق والوثائق هي الآثار التي خلّفتها أفكار السلف وأفعالهم. والقليل جداً من هذه الأفعال والأفكار هو الذي يترك آثاراً محسوسة، إن وُجدت فنادراً ما تبقى: لأنّ عارضاً بسيطاً قد يكفي لزوالها. وكلّ فكرة أو فعل لا يخلّف أثراً، مباشراً أو غير مباشر، أو طمست معالمه هو أمر ضاع على التاريخ: كأنْ لم يكن البتة. وبفقدان الوثائق صار تاريخ عصور متطاولة من ماضي الإنسانية مجهولاً أبداً. إذ لا بديل عن الوثائق:

---

(١) شارل فكتور لانجلوا: مؤرخ وباحث ممتاز في منهج التاريخ. ولد سنة ١٨٦٣م. درس في مدرسة الوثائق ومدرسة الحقوق وكلية الاداب بجامعة باريس وحصل على إجازاتها. عيّن مدرساً في كلية الاداب في دويه Douai سنة ١٨٨٥م، ثم كلف بإلقاء دروس في كلية الاداب بجامعة مونبلييه سنة ١٨٨٦م. وقام بتدريس العلوم المساعدة للتاريخ في كلية الاداب بجامعة باريس سنة ١٨٨٨م. تكّون على يديه جيل من المؤرخين. وأهتم بتاريخ فرنسا في العصر الوسيط. وأصدر عدة كتب ومقالات. توفي سنة ١٩٢٩م.

وحيث لا وثائق فلا تأريخ. . . .»[١]

وهذه الملاحظات التي كتبها هذا الأستاذ المتخصص في منهج التاريخ تنطوي على أهمية كبيرة. فالوثائق لا تتمثّل - كما يخطر ببال البعض - بمجرد الأوراق أو الرقاع الجلديّة أو المدوّنات التي تكتب في غرف أو مكتبات، وقد يخضع أصحابها لإغراءات أو مخاوف ما من سلطة متنفذة، لتكون نفسها عاملاً لحرف أو تزييف بعض وقائع التأريخ.

غير أنّ الآثار الملموسة التي لم يتح لأحد التلاعب بها مثل القرآن الكريم؛ الكتاب المقدس لدى المسلمين والمنزل من الله (**الذي ظل عصّياً على التحريف بإرادة عليا**) أو الأبنية والعمائر المقدسة مثل الكعبة وعرفات والصفا والمروة أو غار حراء والأماكن التي دفن فيها الرسول وأهل بيته، تظل شواخص مهمة وآثاراً ووثائق لا يتطرق إليها الشك لتسجيل مسيرة تاريخية حافلة تواصل معها المسلمون على امتداد تاريخهم دون انقطاع، وتحققوا منها ومن الرموز الدالة عليها. وقد ساعدتهم على استمرار التواصل معها لحد الآن وستساعدهم لأمد غير محدود في المستقبل.

ولم يعد ممكناً لأحد أن يشك في صحتها وحقيقتها، بعد أن أحتضنت على مر العصور أجيالاً متعاقبة زارتها وعاشت فيها وفي جوارها، وأدّت عبادات وطقوساً وجبت عليهم من قبل الإرادة الالهية العليا. فسّر العبادة وطريقة أدائها مرهون بتلك الإرادة المهيمنة التي تريد انصياع الإنسان لها حتى ولو لم يدرك بعض أسرارها.

وإلا فما قيمة **الحجر الأسود** لولا تلك الارادة التي أوجبت على المسلمين الحج والطواف حول الكعبة؟ ولماذا الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة

---

(١) لانجلوا وسينوبوس: النقد التاريخي. ترجمة عبدالرحمن بدوي. وكالة المطبوعات الكويت ط٤ - ١٩٨١ ص٥.

والسعي بين الصفا والمروة، لولم تكون تلك الإرادة الحكيمة نفسها قد أرادت تلك؟

أليست هي أماكن وأحجار وشواخص مادية تشبه غيرها في الظاهر؟

○○○

لا شك ان العقلية الإسلامية التي تختزن الايمان بعالمي الغيب والشهادة، وحكمة وقدرة الاله الخالق المبدع دون أن تراه، ولكن بعد أن رأت آثاره وعجائب صنعه وقدرته، تدرك أن عليها طاعته وتنفيذ أوامره في كل شيء، ومنها وجوب زيارة هذه الاماكن التي أصبحت مقدسة لأن الله أراد ذلك، والوقوف عندها والتأمل والعبادة فيها.

فالتواصل الحسّي الملموس مع كل هذه المشاهد والآثار وغيرها تجعل من يقوم بذلك يعتقد انه يساهم بالمسيرة العبادية التي بدأها الرسول ﷺ وأوصياؤه من بعده، وانه عضو فاعل في مجمل النسيج الإسلامي الاجتماعي العام، الذي أريد له بالاساس أن يكون إسلامياً توحيدياً خالصاً يتوجه بالعبادة لله وحده، كما أمر هو سبحانه، وان يكون نداء «**لبيك اللهم لبيك**» خالصاً له أيضاً دون أي شريك أو طاغوت.

إن وجود هذه المشاهد والاماكن والمزارات والشواخص والعمائر التاريخية المقترنة بأحداث ووقائع واشخاص ورموز مقدسة تعزز يقين المؤمنين بوجود وحقيقة من أرسل بهذا الدين ﷺ، وحقيقة وجود أصحابه والثلة التي جاهدت معه، وحقيقة المسيرة الإسلامية الطويلة التي أرسيت فيها دعائم هذا الدين، والمحطات التي شهدتها وتنقلت إليها.. فالشواخص والآثار والمواقع لن تظل مجرد أمور تحدّث عنها المؤرخون وانما ستمثل كياناً حياً لا ينقصه إلا الحضور الحي لأبطال تلك المسيرة، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ وأوصياؤه وأصحابه. ولن يكون تقديسها أو التأمل والعبادة عندها إلا نوعاً من التواصل

الروحي المتماسك بين ما أريد له ان يكون أثراً باهتاً من ذكريات أو معلومات، وبين حضور حي لأولئك الابطال كأنّا نشاهدهم أو نعيش معهم.

إن طمس تلك الآثار بحجة ان الناس سينشغلون بها عن عبادة الله عبادة (**خالصة**)، هي محاولة لصرفهم عن عبادته نهائياً. فمن يثبت لأجيال لاحقة لم تعاصر الجيل الأول إذا لم تجد أثراً ملموساً، وجود ذلك الجيل الاول أو صحة ما روي عن سيرة الرسول ﷺ وأحاديثه؟ وهل تكفي المدوّنات والوثائق الخطية وحدها لتأكيد ذلك؟ ألا يعتبر طمس تلك المعالم طمساً للتأريخ كله كأن لم يكن له وجود البتّة؟

ولعل تزييف بعض الوثائق والآثار والأحاديث لم تكف أولئك الذين أرادوا تزييف الإسلام برمته، فأرادوا إكمال مشوارهم وإلحاق الشواخص والأماكن التاريخية التي تتمتع بقداسة خاصة لدى المسلمين بها والتي تدل على وجود اشخاص حقيقيين لهم أدوار فاعلة في حياتنا وعلى وقائع حصلت ولا سبيل لإنكارها وأخفائها.

ويمكن ان يضاف إلى ذلك القول ان طمسها كما حدث مع قبر **حمزة بن عبدالمطلب** عم النبي ﷺ وطليعة الشهداء في الإسلام يراد منه التغطية على جرائم أبي سفيان وزوجته هند؛ وطمس قبر الحسين الذي يشكل أحد الاهداف الستراتيجية للوهابيين. يراد منه تغطية الدور العظيم الذي قام به هذا الإمام لإعادة الإسلام غظاً نقياًوطمس جرائم يزيد وعصبته الحاكمه بحقه وبحق المسلمين جميعاً؛ أليس والأمر نفسه بالنسبة لقبور ائمة البقيع، وغيرها من الأماكن المستهدفة بالنسف والإزالة؟

وهكذا: فلا يوجد أحد من المسلمين يعتقد ان الدعوة لذلك بريئة تطلقها عقلية بدوية محدودة، قد تتراجع عن افكارها إذا ما أفهمت أنها كانت على خطأ.

بل إن وراءها بالتأكيد جهات تعرف حقيقة ما تقوم به وتخطط لجعل الإسلام أثراً باهتاً وممارسات فلكلورية لدين بائد؛ عندما تقدم على تجريده من حيوته وروحه وانطلاقته الفطرية من خلال تزييف تاريخه ووقائعه وآثاره ومن ثم نسفه والقضاء عليه.

○○○

— ٢ —

ليس في تاريخ القيادة الوهابية السعودية منذ تأسيس أول إمارة لها عام (١٧٤٦)م ولحد الآن في عهد المملكة الحالي ما يدل على روح مناقبية عالية تجند نفسها وتبذل كل مساعيها (للاصلاح) وحماية الإسلام وتنقيته من (الشوائب)، وكأن هذا هو مشروعها الوحيد الذي نذر له قادتها أنفسهم. بل بدا أن الأمر يبدو على العكس من ذلك، إذ ان تاريخها حافل بحملات الغزو والنهب ومصادرة أموال وثروات الآخرين وقتلهم وحرق مزروعاتهم وتهديم ديارهم بشكل غير مسبوق في تاريخ الجزيرة العربيه كله، كما انه حافل بصراعات غير منضبطة أو مقيدة بأي قانون أخلاقي ناهيك عن القانون الإسلامي الذي تدعي التمسك به حتى بين أفراد العائلة الحاكمة (الاخوة وبني العمومة) فقد اقتتلوا بضراوة وتحالف بعضهم مع الاعداء التقليديين لغرض الغلبة لإمساك زمام الحكم والاستحواذ على السلطة وما يتبعها من امتيازات ونفوذ وثروة وملذات...

ومع أن هذا الأمر الاخير أريد له أن يظل في حدود المسكوت عنه، إلا أن ما فاح منه أرغم حتى المؤرخين السعوديين أنفسهم للحديث عنه بإسهاب...

لقد خلقت الوهابية الاعذار المناسبه لاستنهاض مجّنديها البدو للقيام بغزواتهم الشرسة ضد جيرانهم الابرياء. وتمثل ذلك **أولاً** بتصنيف هؤلاء

الجيران على أنهم (مشركون) وكفار تباح دماؤهم وأموالهم وأعراضهم على هذا الأساس المفتعل الذي أقيم على خلفية الفقه الوهابي المتقاطع مع كل المذاهب الإسلامية المعروفة والمتداولة.

إن أدبيّات الغزو البدوي التقليدي (بدون رفع شعار الدين ورمي تهمة الشرك والردة) كانت تبيح القتل ونهب الأموال (مع انها لاتذهب إلى حد استباحة الاعراض)، غير انها ظلت في حدود المحظور الديني. أما عندما استغلت الشعارات المضلّلة ذات الظاهر الديني مع إشهار تهمة الشرك والردة ضد الآخرين، فقد أصبح من حق الوهابيين حتى انتهاك الاعراض اضافة للنهب والقتل بحجة (السبي المباح) كما كان يحدث في (فتوحات) مصر والعراق قبل حوالي ١٤٠٠ عام.

وأصبح ما يحصلون عليه بسيوفهم ووسائل الارهاب المفزعة التي يلجأون إليها ضمن دائرة الرزق الحلال الطيب! وأصبح الغزاة القتلة من الفاتحين أو الشهداء؛ الذين يستحقون خير الدنيا والآخرة!

ولم يخف على أحد أن دوافع الحصول على المنهوبات والكنوز كانت في مقدمة الحوافز التي أيقظت الجرأة لدى أولئك البدو، بعد ان صنف عملهم من قبل الفقيه الوهابي وسلالته على أنه جهاد في سبيل الله لابد ان تتحقق فيه إحدى الحسنيين! إما الفوز والغنائم أو الذهاب إلى جنة النعيم التي جعلت لهم دون غيرهم...!

ولطالما سال لعابهم امام الكنوز الموجودة في حرم النبي ﷺ وأهل بيته وأولاده في البقيع، ولم يستطيعوا منع أنفسهم من مصادرتها وسرقتها[١].

---

(١) هجم الوهابيون سنة ١٢٢١هـ (حوالي سنة ١٨٠٠م) على المدينة وأخذوا كل ما في الحجرة النبوية من أموال، ومنعوا الناس من زيارة النبي ﷺ، وقال الجبرتي وهو مؤرخ متعاطف معهم: لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة هدموا القباب التي فيها وفي =

أما ضريح الإمام الحسين وقبة مسجده المطلية بالذهب فقد كانا بنظرهم الغنيمة العظمى، وطالما تطلعوا إليها والى ما توقعوا من كنوز موجودة كما يتطلع المسحورون بجنة عدن وأموال قارون. . . وعند استيلائهم عليها عام ١٨٠٢م بعد مجزرة بشعة وغير مبررة ضد أهالي كربلاء العزل وأغلبهم من النساء والاطفال والمسنين، حملوا منهوباتهم على أكثر من (٦٠٠٠) جمل مردوفة (أي تتسع لحمل شخصين مع احمالها). .

وكان الجيش الغازي أكثر عدداً من سكان المدينة المنكوبة. وقد أصبحت (الدرعية) عاصمة الامارة بفعل ذلك أكبر معرض لتلك المنهوبات؛ التي طالما تغنى بها المؤرخون السعوديون معتبرين أنّ العهد الذي تم به ذلك من العهود المزدهرة السعيدة التي انتعشوا بها؛ وانتقلوا من حالة الفقر المدقع إلى حالة الغنى المفرط.

○○○

ولا شك ان المسلمين جميعاً يدركون أهمية التواصل المستمر مع الرموز الأولى، وفي مقدمتهم النبي محمد ﷺ وأهل بيته وصحابته، وكذلك مع المساجد وأماكن العبادة التي أمر الله بالحج إليها وزيارتها والتعبد فيها، ويعتبرون ذلك من العوامل التي تعزز وتقوي أواصر التلاحم والانتماء لهذا

= ينبع ومنها قبة أئمة البقيع بالمدينة، لكنهم لم يهدموا قبة النبي ﷺ وحملوا الناس على ما حملوهم عليه بمكة؛ وأخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها، حتى أنهم ملأوا أربع سحاحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيمة القدر. ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة ماس تضيء في الظلام ونحو مائة سيف لا تقوّم، قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها ماس وياقوت ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك؛ ونصلها من الحديد الموصوف وعليها اسماء الملوك والخلفاء السالفين.

الدين واستذكار جميع المواقف والمحطات التاريخية العظيمة التي جسدتها تلك الرموز والآثار. . .

وإذ ان المساجد جعلت مراكز للتوجه بالعبادة إلى الله وليس إلى أحد غيره، من المسلمين أو غير المسلمين حتى ولكان رمزاً مقدساً مثل رسول الله ﷺ، وتلك من البديهيات التي ترسخت في نفوس جميع المسلمين، لذلك فلم يكن هناك من داع لأي خوف عليهم من هذه الجهة من الانحراف أو الوقوع في مطبّات الشرك كما يحاول الوهابيون الايهام بذلك. والواقع انهم لم يوهموا إلا أنفسهم وأتباعهم. أما بقية المسلمين، فهم يشعرون بالراحة التامة وهم يؤدون عباداتهم في هذه الاماكن المقدسة التي غالباً ما تضم إلى جوارها الصالحين الذين أصبحوا قدوة بما قدموه للاسلام.

وإذا ما كانت المزارات أو المساجد التي تضم أو تجاور أولئك الاعلام القدوة، هي المشكلة بنظر الوهابيين، فلماذا أقدموا على طمس أو هدم أو تغييب المساجد السبعة في المدينة - مثلاً - وهي لاتضم أو تجاور أي ضريح؟ إلا أنّ تاريخها ينطق بمواقف مشهودة لبعض المقربين من النبي ﷺ ضد رموز الشرك الاوائل الذين أصبحوا قادة فيما بعد كالامويين الذين ينحاز اليهم الوهابيون للتعبير عن كرههم المقيت لآل رسول الله وصحابته المقربين؟

إن الاستاذ (لانجلوا) أدرك - كباحث متخصص في التاريخ - أن (كل فكرة أو فعل لا يخلّف أثراً مباشراً أو غير مباشر أو طمست معالمه، هو أمر ضاع على التاريخ)[١]. فالوقائع الماضية لا نعرفها إلا بما بقي لنا من آثار عنها. . فأحياناً تترك الواقعة الماضية أثراً مادياً: (تمثالاً أو معماراً أو شيئاً مصنوعاً). ولهذا فليس للوثائق المكتوبة قيمة بذاتها مثل الوقائع المادية. .

(١) المصدر نفسه ص ١٦.

ولأجل معرفة العلاقة التي تربط بين هذه الوثيقة وتلك الواقعة، ينبغي إعادة تركيب كل سلسلة العلل الوسطى التي أنتجت الوثيقة[١].

ألعل العقلية الوهابية التي لايمكن ان نصفها بالسذاجة دائماً (وانما استغلت سذاجة البدو والطبقات الأكثر جهلاً)، توصلت بمكر مدروس إلى ما توصل إليه الاستاذ (لانجلوا)، فارادوا طمس الآثار الإسلامية لكي يطمسوا الإسلام ولا تعود هناك أية أهمية للوثائق المكتوبة مهما كثرت هذه الوثائق وكثر تداولها. وقد أرادوا اضاعة سلسلة العلل الوسطى التي انتجت تلك الآثار من المساجد والاماكن والعمائر التاريخية وأماكن العبادة وغيرها؛ لكي يستطيعوا محو الوقائع الكبرى التي هي بمثابة السجلات التي تتحدث عن تاريخ المسلمين وكانت مبعث اعتزاز وفخر لهم على الدوام! علماً أن الوثائق المكتوبة يمكن أن يأتي دورها لتحرّف أو تباد فيما بعد؛ إن لم يكن ذلك قد بدأ فعلاً!

○ ○ ○

ـــ ٣ ـــ

وقد بين المؤرخ (سينوبوس)[٢] ذلك بوضوح عندما كتب في «المدخل إلى الدراسات في التاريخ»:

---

(١) المصدر السابق ص٤٤-٤٥. ولأن موروثنا الثقافي والديني لايحبذ إقامة التماثيل، فإنه يتمثل في المعمار والصناعات الاخرى التي أنتجتها الحضارة الإسلامية.
فلا نرى أن تؤخذ مسألة إقامة التماثيل على محمل الجد هنا، وقد أوردناها لضمان الالتزام بالنص الذي كتبه المؤرخ (لانجلوا). إذ لم نجد على مر العصور الإسلامية من يهتم بنحت التماثيل. وما نراه مؤخراً من إقامة تماثيل لبعض الحكام أو المشاهير فهر تقليد لما يجري في العالم وليس له أثر كبير على ثقافتنا العامة.

(٢) شارل سينوبوس (١٨٥٤م - ١٩٤٢م) مؤرخ فرنسي مشهور درس في فرنسا وألمانيا وعين مدرسا في كلية الآداب بجامعة ديجون، وأصبح استاذاً حراً في السوربون ومدرساً في =

(ان الوثائق هي المصدر الوحيد للمعرفة التاريخية. . تدلنا على وجود كائنات انسانية وأحوال مادية وموضوعات صناعية. وكل هذه الوقائع كانت ظواهر مادية أدركها مؤلف الوثيقة مادياً. أما بالنسبة إلينا فإنها ليست بعد غير ظواهر عقلية، أو وقائع مرئية «من خلال مخيلة المؤلف»، وبتعبير أدق هي صور تمثل انطباعات المؤلف، صور نكونها إلى نظير صوره. فمعبد أرشليم كان شيئاً مادياً يشاهد بالعين. أما الآن فلا يمكننا ان نراه، ولا نملك إلا ان نكون لأنفسنا صورة عنه مماثلة لتلك التي كانت لدى الذين رأوه أو وصفوه»[١].

لقد حفرت «**القدس**» وأوشك «**المسجد الاقصى**» ان يهدم اذ أصبح مقاماً على فضاء واسع من حفريات تريد ان تصل إلى (معبد اورشليم) المزعوم. ولو كانت هناك ادنى اشارة لوجوده لجعل اليهود من ذلك (دليلاً مؤكداً) على أحقيتهم بالأرض التي أقيم عليها. وقد رسموا له في مخيلاتهم أجمل الصور وتبارى عشرات الفنانين لرسم صور خيالية له؛ كأنهم ينقلونه عن صور فوتوغرافية حقيقية.

ورغم انهم لم يجدوا أي أثر له، فان مارسموه في أذهانهم جعلهم على يقين أنهم يرونه حقاً. . فهم يدركون انهم إذا ما وجدوا ذلك الاثر الضئيل - حتى ولو كان ملفقاً - فانهم سيجعلون ذلك الاثر «الوثيقة التاريخية

= كلية الاداب بجامعة باريس (السوربون) سنة ١٨٩٠م ثم استاذاً حتى تقاعد. وكانت رسالته للدكتوراه عن «النظام الاقطاعي في بورجوني» سنة ١٨٨٢م. له العديد من المؤلفات في التاريخ منها تاريخ الحضارة في مجلدين، تاريخ شعوب الشرق، التاريخ اليوناني، التاريخ، الروماني، التاريخ السياسي لاوربا المعاصرة.
اهتم بالمنهج التاريخي وكتب كثيراً عن تدريس التاريخ؛ وتكون على يديه جيل ممتاز من المؤرخين.

(١) وهو الذي نشر في اللغة العربية بعنوان «النقد التاريخي»؛ وقد اشرنا إليه في مقدمة هذا الفصل. ص١٧٢.

المطلوبة» وهم بسعيهم هذا يحاولون جبر أي فصام بين ما يعتقدونه وبين ما هو موجود فعلاً.. فهم يريدون أيجاد ما هو غير موجود، وبذلك فانهم يعتقدون انهم يتمتعون بالأمانة التي تفرضها عليهم معتقداتهم.. أما نحن، وشواخص تاريخنا كلها حاضرة وماثلة، تتحدث عن المسيرة الملحمية للمسلمين وجهودهم للتمسك برموزه الأولى وحضارته، فسوف نبدو إذا ما انسقنا وراء التضليل الوهابي المدروس، وجعلنا الوهابيين ينفذون مشروعهم (الذي اتخذ طابع القداسة لدى أغلبيتهم المضلَّلة) في تهديم الاضرحه والأماكن والشواخص المادية والتاريخية والقائمة فعلاً، والتي لم يشكك أحد بوجودها في أي وقت،سنكون كمن يمحي تاريخه عامداً، وسنضيع حقائق قائمة تدل على مسيرة حقيقية حافلة تعززها الوثائق الخطيّة الرديفة التي سطرتها أيادي أجيال متعاقبة زارت تلك الاماكن وتعبدت فيها وحولها، وأثبتت وجودها وحقيقتها، ووجود من بناها أو دفن فيها أو في جوارها في كل مراحل التاريخ..

فهل فرغ المسجد الحرام والمسجد النبوي على امتداد أكثر من الف واربعمائة عام من زوارهما على امتداد هذا الزمن، ليتاح لأحد أن يدعي انهما من مبتكرات المسلمين الحديثة.. أم ان الجميع سيعترفون بوجودهما شاخصين شاهدين على صحة تاريخنا؛ وحقيقة وجود النبي ﷺ بيننا يدعونا إلى الله وإلى الإسلام؟

فلا عجب ان أشارت أقلام عديدة إلى أصل يهودي قديم للعائلة السعودية الحاكمة وشريكتها من آل عبد الوهاب، وإلى تعاون وثيق بينها وبين الاسرائيليين. فجميعهم يحملون عقلية واحدة ويتمتعون بمكر كاف يجعلهم يدركون وبقناعة كافية أهمية الاثار والاماكن التاريخية، كوثائق حقيقية تتيح إحكام التواصل بين الشعوب وتاريخها ورموزها. غير انهم يسيرون باتجاهين

معاكسين لتحقيق نفس الهدف. ففي الوقت الذي يسعى فيه الوهابيون لإتلاف الآثار الإسلامية القائمة لكي يدمروا التاريخ الإسلامي، فان نظراءهم اليهود يسعون لخلق آثار لاوجود لها إلا في مخيلاتهم لكي يشيدوا تاريخاً لهم. . .

غير ان انتساب السعوديين لليهود جعل - من قبل البعض - في خانة «نظرية المؤامرة» وبذلت جهود كبيرة وأموال طائلة لإسكات الاصوات التي تتحدث عن ذلك، وهي ليست قليلة على أية حال.

إن الوهابيين عندما قلبوا الصورة، أدركوا أن ما تحققه الآثار الملموسة الشاخصة لن تكون لها أدنى صفة من الحقيقة إذا ما محيت مثل تلك الآثار. وقد أشبهوا قرناءهم الذين بحثوا عن معبد أورشليم في مخيلاتهم وبما رسمه لهم الآخرون ليحققوا مزاعم باطلة بوجوده ووجود تاريخ لهم. . . ولذلك فان الدور المرسوم للوهابيين سيتضح جلياً إذا ما استطاعوا إبطال معتقدات المسلمين من خلال محو تاريخهم عن طريق طمس وتقويض كل آثارهم ووثائقهم.

ولو كان الوهابيون وفي مقدمتهم السلطة الحاكمة وشريكتها السلطة الدينية المتنفذة، حريصين فعلاً على الإسلام ومسيرته وعقائده كما يدعون، لبذلوا جهوداً استثنائية كبرى لتعمير كل الآثار الإسلامية ومنها مساجد ومساكن وأضرحة الائمة والصحابة من الرعيل الاول وغيرهم، وتزيينها وإقامة مؤسسات بحثية تعنى بعلوم التاريخ والعمارة لتبرز تاريخها وتاريخ أصحابها وأدوارهم الكبيرة في خدمة الإسلام والمسلمين وترسيخ عقيدتهم.

ولما قاموا بمثل هذا العمل الغاشم متكئين على أحاديث ضعيفة أو مكذوبة تتيح لهم هدم ما ارتفع من عمائرنا الجميلة أكثر من ثلاثين سنتيمتراً بحجة ان الناس ستشرك بها وستعبدها من دون الله. . وكأننا الآن نعود إلى

عصور الطوطمية البدائية الأولى قبل وجود الحضارة واختراع الكتابة والفنون والعمارة[١].

إن هذه ليست دعوة للتواصل مع التاريخ على أنه مجموعة من الأفعال أو الحوادث التي لم يثبت صحتها إلّا عن طريق السرد والكتابة، وانما كأحداث وقعت في أماكن معينة من العالم وعاشته جماعات منا لازلنا كشعوب إسلامية نريد التواصل والتفاعل معها، طالما انها شكلت أساساً لمجتمعات يحرص الكثير على الإقتداء بها كحالة نموذجية. ومن غير المعقول أن يتم التواصل عبر الكتب والمخطوطات، وحدها، والتي يمكن أن تطمس أيضاً أو تزوّر أو تعاد كتابتها بشكل مغاير، وأن لا يلمس أحد منّا وجوداً مادياً واضحاً لها يتمثل بالتراث العمراني والابنية والمساجد والبيوت وأماكن العبادة التي هي في الواقع شواخص أو «**وثائق**» تاريخية ناطقة، تتحدث عن المسيرة الحضارية للإسلام وملاحمه الكبرى، ولا يستطيع أحد أن يشكك بها أبداً.

(١) سنتحدث في الفصل الرابع عن انتهاكات الوهابيين للاماكن المقدسة في مكة والمدينة وغيرهما، وقيامهم بتهديم وطمس معالمها. وهذا الامر الذي شكّل هدفهم الذي بدا مدروساً ومخططاً له ولم يكن عفوياً. وقد أثار ذلك المسلمين على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم وأدانوه بشدة خوفاً ان يمتد خرقهم للحرم النبوي الذي لم يسلم الّا خوفاً من ردة الفعل العنيفة التي بدأت تلوح فعلاً.

الفصل الثاني

مشروع سياسي وذرائع دينية

الفصل الثاني

مشروع سياسي وذرائع دينية

ـــ ١ ـــ

منذ ما يقارب ثلاثين عاماً تساءل باحث فرنسي مرموق عن ولع الوهابيّين المفرط بتهديم الاضرحة والقبور، قائلاً:

«مازلنا نجهل حتى اليوم ماذا كانت القوة الاجتماعية التي شجعت مشروع السعوديين الأوائل. فمن المشكوك فيه أن تكون الوهابية قد تمكنت من إقامة أساس أيديولوجي كاف، فأحد لايخوض المعارك لمجرد هدم القبور؛ التي ترتفع أكثر من ثلاثين سنتيمتراً عن الأرض»[١].

فهل كان دافع هذه الحركة هو ما أعلنت عنه من حرص مبالغ فيه على تهديم القبور والأضرحة وحسب؟ وهل جعل أصحابها من ذلك قضيتهم الكبرى التي أرادوا تحقيقها، ليتم - على حد زعمهم - تخليص المسلمين (نهائياً) من (الشرك) وإعادتهم إلى الإسلام (النقي) لتحسم مسألة (الشرك والايمان) لصالح (الايمان) إلى الأبد؟ أم أن وراء هذا الدافع المعلن - الذي يبدو براقاً وذا جاذبية خاصة - دوافع خفية، اتضحت معالمها يوماً بعد يوم؟ وهل كان شيخ القرية الصغير (محمد بن سعود) الذي لا يتجاوز عدد العوائل في قريته: (الدرعيّة) سبعين بيتاً يقبل المجازفة لحمل مشروع مثير للجدل،

---

(١) كلود فوييه Claude Feuillet في كتابه Le Systeme Saoud/ هل جاء دور الجزيرة العربية/ النظام السعودي بعد إيران/ الوكالة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٣م ص٣١.

وليكون شريكاً لشيخ صغير منبوذ: (محمد بن عبدالوهاب) بسبب ايمانه بمعتقدات هذا الشيخ وحسب، ويواجه شيوخاً وزعامات أكثر منه قوة وأعواناً؟ أم انهما أتفقا ليكونا واجهة لمشروع خفي وراءه أجندة غامضة لم يعلنا عنها صراحة ولاتزال خفية حتى اليوم؟ ألم يكن وراء تلك الاجندة مشروع كبير تبنّته دوائر كبرى - **كوزارة المستعمرات البريطانية** - لإقامة إمارة كبيرة تابعة لها على أنقاض الإمارات المتصارعة في هضبة (نجد) و(الحجاز) وفي وقت غابت فيه أية هيمنة مركزية لأية دولة كبرى مثل تركيا وغيرها على ذلك الجزء المنبوذ والمهمل والفقير من العالم؟

فما هي إذن طبيعة الاهداف التي سوف تتحقق من وراء ذلك في المستقبل المنظور، أو بعد مئات من السنين؟

لقد بدا فعلاً لكل مطلع على تاريخ قيام الدولة السعودية الأولى سنة (١٧٤٦م) بقيادة الشريكين المشار إليهما أن هناك مخططاً مدروساً للهيمنة وإقامة (إمارة) بذرائع دينية، وأن هذا المخطط لن يقف عند حدّ إقامة مثل هذه الإمارة، وانّه سيتسع ليقوم بمهمة نسف الموروث الديني الشائع والمقبول بحجة القضاء على التخلف (الذي كانت تسود بعض مظاهره فعلاً) والتي اتخذت ذريعة لتحركاتهم ونشاطاتهم.

ان الادبيات الوهابية وكتب التاريخ لاتنكر الدوافع المادية التي حركت (الشيخ محمد بن سعود) لتبّني وحماية الحركة الوهابية، بل انها تفتخر بذلك وتجعل منه بداية مجيدة في تاريخها بعد (التوفيق) الذي حالف الشريكين وحصولهما على الغنائم الوفيرة (للفتوحات) أي الغزوات التي قاما بها ضد المسلمين الآخرين الذين لم ينضّموا إلى (دينهما) أو مشروعهما السياسي الذي قام على الشعارات الدينية المضللّة[١].

(١) يقول (الشيخ حسين بن غنام)، وهو أقدم مؤرخ وهابي، أن (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) =

إن مؤرخَين مهمين ينتميان للمؤسسة الوهابية السعودية الحاكمة - وقد أشرنا اليهما في الهامش - يجيبان بوضوح عن شطر من السؤال الذي يطرحه

= عندما استمع في لقائه الأول مع (الشيخ محمد بن سعود) إلى مخاوفه بشأن حرمانه من **(الخاوة)** أو **(الخفارة)** أو **(القانون)** الذي اعتاد أن يأخذه من أهل قريته كل سنة في وقت الثمار، قال له مشجعاً على تبنّي حركته: «لعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوّضك الله من الغنائم ما هو خير منهم..» يراجع: تاريخ نجد المسمى (روضة الافهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام للشيخ الإمام حسين بن غنّام - تحقيق الدكتور ناصر الدين الاسد - دار الشروق - لبنان - القاهرة ط٤ - ١٩٩٤ ص٨٧، وفي هذا اعتراف واضح أن دوافع محمد بن سعود لم تكن دينية، بل ان الدين اتخذ ذريعة للغنائم وبسط النفوذ والسلطة.

ويراجع: عنوان الجد في تاريخ نجد/ العلامة عثمان بن بشر النجدي ج١/ مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض ص١٢، الذي ذكر نفس القصة واضاف لما قاله ابن غنام: «فوقع تحقيق ظنه، فإنه أتي إليه غنيمة عظيمة، فقال له الشيخ: هذا اكثر مما انت تأخذه على أهل بلدك. فتركها بعد ذلك (أي ترك ما كان يأخذه من أهل قريته). ثم ان محمداً بسط يده وبايع الشيخ، فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده. وتسلل إليه شيعته ومن ينتسب إلى الدين...» وعن هذه الغنائم يقول الشيخ ابن بشر النجدي في تاريخه (عنوان المجد في تاريخ نجد): (ولقد شاهدت ضيقهم في أول الامر، ثم الدرعيه بعد ذلك في زمن سعود وما عند اهلها من الأموال الكثيرة وكثرة الرجال والأسلحة المحلّات بالذهب والفضة والخيل والجياد والنجائب العمانيات والملابس الفاخرة وغير ذلك؛ من أسباب الثروة التامة بحيث يعجز عن عده اللسان ويكل من تفصيله البيان، ونظرت إلى موسمها يومياً في الموضع المعروف بالباطن فوجدت موسم الرجال في جانب وموسم النساء في جانب آخر؛ فرأيت من الذهب والفضة والأسلحة والأبل والغنم والخيل والألبسة الفاخرة واللحم والحنطة وسائر المآكل ما لايمكن وصفه وهو الموسم ممتدّد البصر وكنت أسمع أصوات البائعين والمشترين وقولهم: بعت وأشتريت كدوي النحل..).

فمن أين جاءت هذه الأموال الطائلة إلى قرية الدرعية الفقيرة، هل شغل الوهابيون مصانعهم أم صدّروا منتوجاتهم الزراعية من هذه القرية التى كانت مثالاً للفقر والتخلف.. أم أنها أموال الغزو التي سلبوها من المسلمين الأخرين الذين ينتسبون مثلهم إلى المذهب الحنبلي والمذاهب الأخرى؟ وهل هذا عطاء الله الحق أم شريعة الغاب.

لاشك أن كثيرين يتغنون بذلك العصر الذهبي! ويتمنون عودته..

السيد فوييه. أما الأمر الذي تكتما عليه - ولعلهما لم يعلما عنه شيئاً - فهو الجانب الخفي غير المعلن الذي تحدثت عنه بعض الكتب والمذكرات، وهو دقّ إسفين دائم بين المسلمين على أساس طائفي أو مذهبي لمنعهم من التوحد أو التقارب، ومن ثم القوة والتطور والنهوض الحقيقي فيما بعد، وإشغالهم بمعارك وحروب مستمرة بينهم ومع غيرهم. وهي مهمة تبدو عسيرة إذا ما أراد القيام بها بشكل مباشر أولئك الذين لاينتمون للدائرة الإسلامية، إذ سرعان ما تتسرب الشكوك إلى نواياهم وينظر اليهم بحذر ويتخذ منهم موقف مناسب. غير انها قد تنجز بقدر كبير من النجاح إذا صدرت عن أناس من داخل هذه الدائرة ممن ينتسبون للإسلام ويدّعون الحرص عليه والدفاع عنه. وهو الأمر الذي لجأت إليه الوهابية وادّعته، إذ نسبت نفسها للمذهب الحنبلي، مع أنها خرجت عليه وخالفته في أمور كثيرة. وقد أدّعت، بعد ذلك انها تمثل عموم أهل (السنّة والجماعة) وتيار (الوسطية) الذي فسرته على هواها، وذلك للنفاذ والتأثير في جسم المنظومة المذهبية التقليدية المعروفة في نجد ثم نخرها وتخريبها بإدخال أفكارها الغريبة إليها ثم إلى عموم أبناء المذاهب الاخرى، وهو الأمر الذي أتاحته القدرات المالية الهائلة للدولة السعودية مؤخراً - كما في السابق - بسبب مصادر غير معروفة كانت تمولها؛ ومن غنائم الغزو الهائلة، ثم بعد اكتشاف البترول وتوزيع حقائب الأموال كرشوة أو هدايا أو مساعدات لمن تريد ان تستميلهم.

كما ان سيطرتها على الحرمين الشريفين اتاح لها احتضان شخصيات عديدة من انحاء العالم الإسلامي وجماهير اخرى واسعة عند قدومهم للحج والعمرة أو العمل أيضاً. وتصدير رؤيتها الوهابية من خلالهم بعد (إقناعهم) بصواب وصدق وجدية منهجها الذي يحرص بزعمها على (التوحيد) الخالص (النقي) ونبذ كل المظاهر التي صنفوها على انها أمور (شركية) أو مبتدَعة لا

أصل لها في دين الإسلام ومنها الاهتمام بزيارة قبر النبي محمد ﷺ وأهل بيته واصحابه، والمساجد والآثار التي لها في الخيال الإسلامي حضور كبير من خلال كتب السيرة والحديث والتاريخ، والتي تشكل منظومة فنية جمالية متكاملة لجميع اولئك الذين يريدون أن يتعرفوا على تاريخ الإسلام ورموزه الرائده الأولى.

○○○

— ٢ —

ويمكن للمتابع ان يلاحظ (**الثمار**) التي يجنيها الوهابيون الآن من مساعيهم الحثيثة والدؤوبة طوال قرن كامل (إذا ما تناولنا القرن الاخير منذ تأسيس المملكة السعودية على يد الملك عبدالعزيز بن سعود). فإذا ما تركنا جانباً حملات الوهابيين الاوائل - منذ تأسيس إمارتهم الأولى - وقيامهم بهدم الاضرحة والمساجد التراثية الجميلة للمسلمين الاوائل وفي مقدمتها ضريح الإمام الحسين بن علي سنة ١٨٠٢م وانتهاكم لمدينة كربلاء وسكانها العزل. وقيامهم بتهديم المساجد والاضرحة المقامة على قبر سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، وائمة البقيع احفاد النبي محمد ﷺ وغيرهم. ونهب المقتنيات والتحف والمجوهرات الثمينة من الحجرة النبوية، نجد اليوم ان تلك الحملات يراد لها أن تتكرر ثانية وبحماس اكبر. وقد تمثل ذلك بمحاولات (**القاعدة**) وهي حزب وهابي متطرف لاستهداف ضريح الإمام الحسين عدة مرات بعد عام ٢٠٠٣م، وقتل عدة مئات من زواره، وإقدامهم على نسف مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في سامراء في العراق، الأمر الذي كاد أن يؤدي إلى حروب أهلية طائفية وإفشال خطط التغيير فيه إلى الأحسن، لولا حكمة أهله على اختلاف مذاهبهم وحنكة مراجع الدين والعلماء فيه...

وقد أريد إعادة هذه (التجربة) في مصر، إذ أننا نشاهد في العام ٢٠١١م قيام بعض الذين ينتسبون للسلفية الوهابية، وهم مجموعات من التكفيريين المصريين، لتدمير أو إتلاف أكثر من مائة ضريح أو مسجد في مصر في أعقاب أنتفاضة الشعب المصري على دكتاتورية حسني مبارك وفساد الحزب الوطني الديمقراطي، مما كاد ان يؤدي إلى فتنة ماحقة قد تعيد مصر مائتي سنة إلى الوراء؛ على حد تعبير الشيخ علي جمعة مفتي مصر.

فهل يشك أحد أن وراء تدمير هذه المساجد والاضرحة واحراقها بحملة منظمة وفي وقت واحد محاولة لخلق حرب في مصر وإجهاض الثورة الشعبية ولفت الانظار عن المهمات الكبيرة التي تنتظر المصريين لإكمال مشروع ثورتهم؛ وفي ظل غياب متوقع لسلطة ولو مؤقتة، لكي يقوموا بتدمير هذا البلد؟ وهل بإمكان هؤلاء المخربين إقناع أحد أن مشروعهم هذا إصلاحي بحت غرضه تنقية الإسلام مما علق به على حد زعمهم؟

وما ضرر هذه المساجد التي أرادوا هدمها وحرقها؟

هل حقيقة انها مساجد ضرار؟ ومن فيهم كرسول الله ﷺ حتى يعتبروا الآخرين منافقين مثل عبدالله بن أُبي رأس المنافقين في زمنه ﷺ؟

لعل أكثر شائبة ألحقت بالإسلام هي هؤلاء الذين ينتمون للخط الخوارجي المتطرف؛ ويدعون تمثيل السلف الأول والوصاية على جميع المسلمين...

ولتمتع المصريين - وفي مقدتهم علماء الازهر - بوعي استثنائي فرضته عليهم ظروف حياتهم المتغيرة والمضطربة وما لقوه من مصائب وكوارث على ايدي تشكيلات مختلفة من الحكام على مدى قرون طويلة، فقد ضيّعوا على هؤلاء الوهابيين فرصتهم الأخيرة لخلق فتنة موقوته ومعدّة لمثل هذه الأزمات. فقد أدركوا أن هؤلاء يلعبون أحد أدوارهم غير البريئة ولا النظيفة؛ والتي لا يمكن أن تتسم بأقل قدر من الاخلاص لهذا الدين.

إن (الجوكي) السعودي الذي بدأ يترهل الآن، وبدأت فرسه ترفضه بعد أن أثقل عليها ويكاد أن يقع من على ظهرها، يراهن على سقوط منافسيه الذين بدأ أغلبهم يترهل بدوره، حتى لا تبدو خسارته واضحة وحتى لا يكون الوحيد الذي يصاب بهذه الخسارة.

(فعبدالله بن عبدالعزيز) قد يكون آخر الملوك السعوديين، وحتى إذا ما جاء بعده سلطان أو نايف، فان فسحة العمر الباقية لهؤلاء الشيوخ المعمرين قد لا تتيح لهم التمتع بمباهج الملك وسلطانه؛ والسيطرة على مجتمع شبه الجزيرة العربية[1]؛ الذي بدأ يتململ تحت وطأة النظام التعسفي الذي يتخبط بين البداوة والحداثة الظاهرية الطارئة والسريعة.

وسيتصاعد التنافس بين اعضاء هذه العائلة التي نمت نمواً سرطانياً غير متوقع (إذ ربما يبلغ عدد الذكور من أفرادها قرابة خمسين الفاً، أي بقدر سكان المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ عدة مرات)، وستتصاعد موجات الخلاف وعقد الحساسية لدى الاقرباء الادنين من هذه العائلة - وجميعهم من أحفاد عبدالعزيز - كما ستتشابك عقد التفوق لديهم ليصل الأمر إلى حد التقاتل والتفكير بالانفصال باماراتهم عن الدولة الأم، وهو ما يتخوف منه اقطاب العائلة وحرسها القديم. فمسألة الخلافات ليست جديدة أو طارئة على تاريخها.

ان المؤسسة السعودية الوهابية الحاكمة تستطيع تأجيل هذا اليوم إذا ما اتحدت ولو بشكل ظاهري ولجأت مع خصومها إلى وسائل البطش والقسوة،

---

(١) ومن غرائب الاحداث انهما توفيا قبل الملك عبد الله برغم ادعاء تمتعهما بالصحة والعافية الموفورة، مما يضع المملكة في مطبّات ومشاكل غير متوقعة بعد اختفاء الجيل الاول «الحرس القديم» من أبناء عبد العزيز عن الساحة وظهور جيل جديد من عشرات الاحفاد المتنافسين والمتصارعين على السلطة والنفوذ.

وشراء الذمم، لكنها لن تستطيع إلغاءه إلى الابد. وفي محاولات الاستعداد له ومنعه، فإن بعض آليات ذلك لابد ان يكون عن طريق تصدير الازمات والتدخل في شؤون الجيران وغيرهم، وحتى في شؤون القريب المذهبي الذي تدعي الحرص على حمايته ووجوده، وذلك للفت الأنظار عنها وعما يحدث داخل المملكة، كما هو الحال بالنسبة للعراق ومصر وسوريا والكويت والبحرين مؤخراً... مع ان هذا أمر قد يعجل بفنائها وموتها...

وكان عليها لمنع ذلك أن تتخذ خطوات حقيقية للقضاء على الفساد الهائل في صفوف الأمراء والمتنفذين الماليين واصحاب رؤوس الأموال الضخمه والطبقات الطفيلية التابعة لهم؛ والتي ستسهم بتصرفاتها غير المنضبطة المسؤولية بتعجيل نهايتهم. فما لم يتم إيجاد فرص حقيقية للتعليم والعمل ومنح الحريات الاساسية لجميع المواطنين دون تمييز والسعي لتطبيق نظام ملكي دستوري غير مطلق وغير مستبد **(وهذا أمر يبدو انه من المستحيلات نظراً لعقلية الاحتواء، والهيمنة السائدة بين صفوف العائلة المالكة وشركائها)**، فان مستجدات الحياة ومتغيراتها السريعة قد تفاجئهم بعد فترة قد لاتزيد عن عشر سنوات أو خمسة عشر سنة، لنجد ان انقلاباً أو تغييراً هائلا قد لا يتصوره عقل سيطيح بهم إلى الأبد. لقد كان من غير المتوقع ان يكون الجيل الاول وحتى الجيل الثاني من اقطاب هذه المؤسسة العائلية الهائلة قادراً على التعامل بعقلية ملكة بريطانيا أو السويد وغيرها، بعد ان اعتادت العائلة على اعتبار شعب الجزيرة العربية (سعودياً) يتألف من قطعان أو رعية مملوكة عليها الطاعة والاذعان؛ حتى ولو كان الحاكم جائراً أو مستبداً أو زنديقاً...

○○○

— ٣ —

كان (عبدالعزيز بن سعود) فرداً واحداً استطاع امساك خيوط اللعبة كلها بيديه، وقاد العملية مستفيداً من براعة مستشاريه الانكليز وغيرهم. وقد بدأت هذه الخيوط تتشابك وتتعقد بأيدي خمسين ألف وريث يعتقد أغلبهم أنه الأجدر والأحق بالسلطة والسيادة، وإنه يستطيع لعب دور اساسي قي شؤون المملكة. وبالتأكيد فان خصوماتهم وحروبهم فيما بينهم ستتصاعد على الأمد المنظور لا محالة.

فهل سيوقف ذلك مساعيهم لاستئناف ما قام به عبدالعزيز من قبل لاقناع مواطنيه البدو من (الاخوان) وغيرهم لتبنّي الوهابية عملاً حركياً منظماً وتجنيدهم لبناء دولته الناشئة.؟ وهل ستحدّ هذه المنافسات من قيامهم بتجنيد الانتحاريين المغفلين الذين يحملون ثقافة (الاخوان) الوهابية وسوقهم بكل وسائل التضليل للقيام بعملياتهم الارهابية في دول الجوار كالعراق وغيرها، من دول العالم كما فعلوا عندما خرج من عباءاتهم انتحاريّو نيويورك في ٩/١١، ومدريد ولندن بعد ذلك بمدة قصيرة؟

والسؤال الذي قد يوجّه لهم:

هل أن حدوث مشكلة أو انفجار في منزل جارك سيمنع أمراً مماثلاً في بيتك؟ أم أنه سيثير شهية من يقوم بهذا الانفجار ليقوم بآخر مماثل في بيتك رغم أنك كنت تحميه وتدعمه وتمدّه بالأموال والسلاح؟

إن استمرار تبنّيهم مسألة تهديم المساجد والأَضرحة المقدسة كما حصل في العراق ومصر سيبدو أمراً سطحياً ساذجاً بنظر العالم الآخر الذي لا ينتمي لثقافة المسلمين إذا ما استعرضها أو اطلّع عليها.

لكنه سيدرك حين يرى حماس المهووسين المتطرفين بشأنه، انها ربما

ستدفع أطرافاً عديدة في العالم الإسلامي إلى خوض نزاعات وحروب بسببها.

وقد يدرك - وربما بعد فوات الأوان - حقيقة المنهج الوهابي المدمر الذي وجد أصلاً لتفريق المسلمين من جهة، وإحداث فجوة كبيرة بينهم وبين العالم من جهة أخرى، ولذلك مردوده السلبي على مصالح العالم كله.

ونحن ندعو في هذا الكتّيب جميع المسلمين وغيرهم للخروج عن الصمت واللامبالاة تجاه ما يقوم به الوهابيون الذين أصبحوا مرجعية للعديد من الحركات الإسلامية المتطرفة[١].

كما اننا نحاول لفت الانظار إلى تفاهة وسطحية ما يدعون إليه، وبعدها عن روح الإسلام الحقيقية الراسخة وضعف ما يستندون إليه من روايات وأحاديث ملفقه موضوعة. فالحاجة لمثل هذه المباحث والدراسة أصبحت ملّحة وضرورية. ولن يتسع الوقت للانتظار أو حتى لالتقاط الانفاس ناهيك لوقفة متأملة هادئة إذا ما وجد العالم نفسه لهذا السبب أو لغيره في معمعة صراعات غير منضبطة وغير قابلة للسيطرة.

وإذا ما بدت الوهابية لبعض السذج والمتخلفين والذين لم يطلعوا على حركة التاريخ الإسلامي (صرعة) حديثة ذات روح تجديدية! اكتشفوها هم دون غيرهم من العلماء والمفكرين والباحثين، كما اكتشفها من قبل زملاءهم البدو

(١) يقول محمد إبراهيم مبروك، وهو كاتب إسلامي مصري يدعو للعودة للخلافة الإسلامية: «ان مرجعية الحركات الدينية الإسلامية تقتضي الأخذ عن كبار العلماء والائمة في التاريخ الإسلامي، وخصوصا الائمة اللّصيقين بمنابع الدين الاساسية!» وذكر منهم ابن حزم وابن تيمية وابن القيم والامام محمد بن عبدالوهاب والامام المودودي والامام البنّا. وعن محمد بن عبدالوهاب يقول: «إن ظهوره كان بمثابة صدمة للعالم الإسلامي، أدت إلى ارتجاج ما كان سائدا فيه من عقائد ومفاهيم وبدع وخرافات، واقتلاع الكثير منها من العقول والقلوب.. وقد تأثرت الحركة الإسلامية بالدعوة الوهابية كثيراً..» محمد إبراهيم مبروك/ مواجهة المواجهة - دار ثابت. ط١٩٩٤ ص ١٧ - ١٨ - ١٩.

الأكثر جهلاً وتخلفاً، فاننا نجد ان علينا ان نوضح لهم أنها (صرعة) مجنونة بدائية وغير خلّاقة لا تعبر إلا عن أدبيات حسيّة لطفوليين سذج، وأن آفاق الإسلام الرحبة والعقلية العظيمة للنبي الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ لا يمكن ان تكون هي آفاق فقهاء البدو الذين يتبنون ثقافة الغزو بحجة التكفير أو الشرك أمثال (الفقيه) الذي أنتجته هضبات نجد القاحلة والذي لم يتلق علومه في مدرسة فقهيه معروفة هو (ابن عبدالوهاب) ومن يتبنى افكاره المحدوده[1]. . فهؤلاء، لايمكن وصف بالمتنورين أو اعتبارهم حملة مشروع حضاري كبير بحجم الإسلام وأهدافه الكبرى.

وقد حاول إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري تبرير مخالفات

---

(١) من المعلوم ان الشيخ محمد عبد الوهاب لاينتمي إلى مدرسة فقهية معروفة، وإن ادعى انه يميل للمذهب الحنبلي وقد أعتمد على فهمه الخاص واستنباطاته لمجمل المفاهيم الإسلامية، وقد أوقع نفسه وأصحابه في لبس كبير لعدم مؤهلاته الشخصية التي تبيح له الاجتهاد المطلق.

وكان أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في مقدمة الذين استنكروا اجتهاده المنفلت الذي لايقوم على ظوابط فقهية معروفة، وقد رد عليه في كتابه (**الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**) يلومه على أتهام المسلمين بالشرك. وقال له في جملة ماكتب (. .ان هذه التفاصيل التى تفضّلون من عندكم أن من فعل كذا فهو مشرك وتخرجوه من الإسلام من أين لكم هذا التفصيل؟ استنبطتم ذلك بمفاهيمكم؟ فقد تقدم لكم من إجماع الأمّة أنه لا يجوز لمثلكم الاستنباط. فبيّنوا لنا من أين أخذتم مذهبكم. لاعبرة بمفهومكم ولا يجوز لكم ولالمسلم الأخذ بمفهومكم، فإن الأمّة مجمعة أن الاستنباط مرتبة أهل الاجتهاد المطلق. ولكنكم أخذتم بمفاهيمكم وفارقتم الاجماع وكفّرتم أمة محمد ﷺ. فوالله إن هذا عين المحادات لله ولرسوله ولعلماء المسلمين قاطبة. فإن ابتيتم بالعناد وأدعّيتم المراتب العلّمية والأخذ من الأدلة من غير تقليد أئمة الهدى فقد تقدم أن هذا خرق للاجماع، فقد تقدم الاجماع على أنه لايجوز لمثلكم الأستنباط، ولايحل لكم ان تعتمدوا على ما فهمتم من غبر الأقتداء بأهل العلم، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الاخر أن يقلدكم فيما فهمتم. .) الصواعق الالهية في الرد على الوهابية، الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، بيروت ط١ -١٩٩٨.

وانحرافات الشيخ ابن عبد الوهاب بقوله: (وأظن كثرة مطالعة الكتب بدون مراجعة العلماء الاسانيد والأخذ عنهم هو الذي حمله على التعصب الذي شاع عنه؛ فإن العلم بالتلقي والاستقلال في الرأي هو الذي يوقع في مهالك مخالفة الجمهور وخرق الاجماع.) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد - إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري/دار الحكمة ط١ -١٩٩٨ م ص٢٣١.

إن تقادم الزمان ومرور عشرات العقود منه؛ جعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخصوصاً في الحاضنة الأم (نجد وماحولها) (صرعة) رائجة مقبولة دون غيرها من افكار أدبيات المذاهب الإسلامية الأخرى.

وقد أصبحت كذلك في اماكن اخرى عديدة بفضل دعم المؤسسة السعودية الحاكمة والأموال الطائلة التي صرفتها، وبفعل الضخ المستمر لهذه الافكار والأموال في بيئات مشابهة لبيئة المنشأ في درعية نجد؛ وغيرها كأفغانستان والباكستان وغيرها من دول المشرق..

الفصل الثالث

الأساس (الفقهي) (الروائي)
الذي اعتمده الوهابيون
لتدمير العمائر والآثار الإسلامية

الفصل الثالث

الاساس (الفقهي) (الروائي)[1] الذي اعتمده الوهابيون لتدمير العمائر والآثار الإسلامية

في مجتمعات مسلمة تقدس وتتواصل مع رموزها وآثارها وتراثها وترى في وجودها وشخوصها على الارض واقعاً حياً قائماً، لابد من ايجاد ذرائع ومبررات (مقنعة) إذا ما أريد طمس وتدمير تلك الآثار التي تضم عمائر وبنايات ومساجد ومآذن وغيرها.

وفي ظل وجود سلطة متعسفة لاصوت يعلى صوتها ذي النغمة والوتيرة الواحدة، لن تعدم هذه السلطة وجود آليات لبسط افكارها ووجهات نظرها (الدينية) إذا ما دعمت تلك الافكار بآراء رديفة مساندة لافكارها من قبل مؤسسات دينية لها مكانتها وسطوتها في مجتمعاتها كالمؤسسة الدينية الوهابية بكافة فروعها وهياكلها المعقدة؛ والتي تداخلت مع الهيكل الرئيسي للسلطة بعد أن أصبحت شريكتها...

وإذ أن تدمير العمائر والآثار الإسلامية أصبح شعاراً وهابياً مقدساً بدعوى تخليص المسلمين من (الشرك) أو الانشغال بالأثر دون المؤثر أي بالآثار والأبنية والمساجد دون الله، وهذا أمر يمكن تنفيذه بسهولة، وهو ما سنفعله بإذن الله، وجدت المؤسسة الوهابية المتنفذة في الأرض الحاضنة لمشروعها، أن عليها ان تعد التدبيرات (المقنعة) لتنفيذ هذا المشروع.

---

(١) من الرواية عن النبي ﷺ والحديث المنسوب إليه.

وإذ أن المجتمع الذي تقوده يتمثل بجماعات متلقّية وغير معنيّه بشؤون العلوم الإسلامية وتدقيق صحة الايرادات والاحاديث التي تبرر قيامها بطرق تعسفية لانجازه إلى النهاية، وإذ انها تعمد إلى اسلوب تلقيني نسقي تكرره يومياً لتعزيز وجهة نظرها في هذا المجال، ولا تفسح أية مساحة صغيرة لمناقشتها. . . فقد بدت هي نفسها مقتنعة بمشروعها الملفق والقائم على أكاذيب وتدليسات ووضع بعض الرواة غير الثقاة بعد ان حاولت اقناع الجميع بتصديق هؤلاء الرواة الذين لايتمتعون بأية مصداقية لدى المتخصصين بعلم الدراية ورواية الحديث.

لقد اثبت الاعتماد على مزوّري وواضعي الأحاديث الكاذبة وقرنائهم من فقهاء الدولة المتكسبين فعاليته طوال قرون عديدة، ومنذ انفلات الوضع في العهد الاموي لتضليل عموم الناس وتنفيذ اجندات الدول المتعاقبة. وبدت الذرائع الدينية الملفقة والمدعومة بسلطان الدولة وفقهائها ناجحة وذات قدرة فعالة لتمرير تلك الاجندات. وقد بدت الشعارات البراقة وهالات القداسة التي وضعت فوق رؤوس الفقهاء والسلاطين ذات أثر لافت في مجتمعات أريد لها ان تنام أو تموت أو تصمت على الأقل أمام أي عبث من (أولياء الامور) الذين نصبوا أنفسهم (بشرعية) مضللة في رأس هرم السلطة.

إن أهداف الوهابيين، التي سنتحدث عنها بإسهاب بعد ان تطرقنا إلى القليل منها، جعلت هاجسها الاكبر تدمير اكبر قدر من الآثار الإسلامية المقدسة. ومن الطبيعي ان تلجأ إلى الذرائع الدينية لتنفيذ هذا المشروع التدميري ليبدو مقبولاً بل وواجباً بنظر الاغلبية الساحقة من المسلمين، ولم يعد من المهم بنظرهم ان ترتفع اصوات هنا أو هناك من خارج الحاضنة

الوهابية في المملكة السعودية، طالما ان اكبر عدد من هذه الآثار توجد فيها. كما في المدينتين المقدستين (مكة) (المدينة).

كما ان الطريقة المستهينة والتحقيرية التي يتم بها التعامل مع هذه الآثار عند تهديمها أو مسحها أو طمسها يراد لها ان تجرد الجميع من نظرة الاحترام التي اعتادوا النظر بها إلى رموزهم الدينية وإلى ممارساتهم وتفاصيل حياتهم التي أريد لها أن تكون قدوة وأريد لأصحابها ان يظلوا شاخصين امام أجيال لاحقة أحياء وفاعلين ومؤثرين...

○○○

ولاشك أن الوهابيين تمتعوا بقدر - ولو محدود - من الحنكة جعلهم لايقدمون على انجاز مشروعهم في تهديم العمائر والاضرحة والآثار الإسلامية دفعة واحدة، لأن الصدمة التي قد تتولد لدى جماهير المسلمين في مختلف مناطق العالم الإسلامي قد تجعل ردة الفعل المتولدة عن ذلك عنيفة وقد تطيح بهم إلى الأبد. وقد مهدوا لذلك تدرجياً بالاستناد إلى فتاوى فقهائهم ونشرها، لكي تنتشر ثقافة القبول بأفكارهم أولاً؛ حتى لا يعود أحد يرى بأساً فيما يقومون به بعد ذلك.

ومن المعلوم انهم بدأوا بنشر افكار (ابن تيمية) الأب الروحي لمحمد بن عبدالوهاب، الذي كان يرى حرمة زيارة قبر النبي ﷺ، والذي لم يجرؤ صراحة على اصدار الفتوى بهدمه. غير ان تلميذه (ابن القيم الجوزيه) تقدم خطوة على استاذه فأصدر فتوى بحرمة بناء قبور ومراقد الأنبياء والأولياء ووجوب تهديم مابني منها حالاً إذا أمكن ذلك.

وبهذا الصدد يقول: (يجب هدم المشاهد التي بنيت على القبور. ولا يجوز إبقاؤها - بعد القدرة على هدمها وإبطالها - يوماً واحداً)[1].

(١) ابن القيم الجوزيه: زاد المعاد في هدى خير العباد ص٦٦١.

ولمكانة ابن تيمّية وابن القيّم لدى الوهابيين الذين تأثروا بتعاليم وآراء هذين الشيخين الذين عاشا قبل الشيخ الوهابي بحوالي أربعة قرون، وكانا ينحرفان عن العقائد العامة للمسلمين من مختلف المذاهب، فقد حاولوا ان يتخذوا من أفكارهما وسيلة لنشر افكار المذهب الوهابي المتطرف، ومنها فكرة تهديم المشاهد والآثار الإسلامية.

وكما سبق ان اشرنا إلى انهم جعلوا من أولوياتهم تهديم هذه المشاهد والآثار، فانهم مهدوا لذلك بحملة ثقافية واسعة ادّعوا فيها ان (اكثر المسلمين.. قد ارتكسوا في الشرك، وارتدّوا إلى الجاهلية... فعدلوا إلى عبادة الاولياء والصالحين.. وظلوا يعكفون على عبادة أوثانهم.. وأحدثوا من الكفر والفجور والشرك بعبادة أهل القبور، وصرف النذور إليهم، والابتهال بالدعاء لهم، ما زادوا به على أهل الجاهلية... الخ)[1].

ولتوضيح الانطباع الذي اراد الوهابيون تركه لدى المسلمين من خلال التشويش عليهم بالخلط بين اعتقادات بعض العوام الجهله ببعض الظاهر كالأشجار والأحجار وغيرها، وبين زيارة المعالم التي تضم قبور الرسول ﷺ أو الصحابة، سندرج بعض ما ورد في (القسم الاول) من كتاب (تاريخ نجد) لابن غنام الذي أشرنا إليه في الهامش..

فكتابته تبدو في ظاهرها بريئة بنظر الذين لم يتعرفوا جيداً على الأجندة الوهابية وانها لا تهدف إلا إلى تخليص العبادة لله من الشوائب والزوائد... ولم يكن الاستشهاد بكلمات الحق التي أوردوها كشواهد القرآن الكريم إلا وسيلة للوصول إلى الباطل الذي لايقل عن باطل الجهلة والمنحرفين.

---

(١) ابن غنام: الشيخ الإمام حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى (روضة الافكار والأفهام) تحقيق وتحرير د. ناصر الدين الأسد - دار الشروق بيروت -القاهرة - ط٤ - ١٩٩٤ ص١٣.

كما سنحاول تعريف القارىء الكريم - من خلال بعض الملاحظات والتعليقات السريعة - إلى الطريقة الماكرة التي عمدوا إليها لتضليل المسلمين بشأن المشاهد والآثار وصرفهم عنها، ومن ثم التمهيد لهدمها وطمسها، ليبدأ الحديث عن أصحابها بعد ذلك وكأنه حديث عن اناس لم يخلقوا ولم يوجدوا إلا في مخيلة المسلمين. كما هي الحال لدى البعض الآن عندما يشككون بوجود عيسى المسيح عليه السلام أو غيره من الأنبياء لعدم وجود شواخص تاريخية تضم آثارهم...

ومع ان مطالعة (ابن غنام) المعاصرة للشيخ محمد بن عبدالوهاب التي استهل بها كتابه قد تبدو طويلة - رغم اختصار الكثير منها - فإننا نجد انفسنا مضطرين هنا لايراد بعض فقراتها ليطلع القارىء على هواجس الوهابيين وخططهم بهذا الشأن والتمويه الذي لجأوا إليه لإقناع أتباعهم بصواب منهجهم وسنترك الرد عليهم إلى فصل لاحق. يقول ابن غنّام:

(كان أكثر المسلمين قد ارتكسوا في الشرك وارتّدوا إلى الجاهلية. واتبعوا ما وجدوا عليه آبائهم من الضلالة. فعدلوا إلى عبادة الاولياء والصالحين... يستغيثون بهم ويستعينون على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد.. بل ان كثيراً منهم كان يرى في الجمادات كالأحجار والأشجار القدرة على تقديم النفع ودفع الضرر..

وظلوا يعكفون على أوثانهم تلك.. واحدثوا من الكفر والفجور والشرك بعبادة أهل القبور، وصرف النذور إليهم والابتهال بالدعاء لهم، مازادوا به على أهل الجاهلية...

عكف أكثر الناس على دعوة الاولياء والصالحين، وأمواتهم وأحيائهم وفتنوا بالاعتقاد بقدرتهم على تقديم النفع وصرف السوءمن دون الله، فغدوا عليهم يبتهلون لقضاء حاجاتهم، وأحلّوا بذلك ما حرم الله.

ولقد انتشر هذا الضلال حتى عم ديار المسلمين كافة. (ضرب المؤلف أمثلة: مثل) إيتان بعض الناس قبور بعض الصحابة في الدرعية! وبعضهم يأتون بليدة الغدا ليزوروا ذكر النخل المعروف بالفحال ويتبركون به. وطوائف منهم تنثاب إلى شجرة الطرفية فيتبركون بها ويعلقون الخرق عليها، ويزورون غاراً في أسفل الدرعية يزعمون ان معجزة حصلت فيه.. وقد سلكوا في رجل صالح اسمه سبيل الطواغيت فصرفوا إليه النذور وتوجهوا إليه بالدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر.. وما يفعل بالحرم المكي؛ تأتي جماعات الاعراب من الفسوق والعصيان ما يملأ القلب أسى.. فقد انتهكت فيه الحرمات والحدود.. وضرب أمثلة لما يفعل عند قبة (أبي طالب) أحد حكام منطقة نجد وهو غير والد الإمام علي و(المحجوب) و(ميمونة بنت الحارث) أم المؤمنين وخديجة عليها السلام من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وارتفاع الاصوات عندهما بالدعاء والاستعانة وتقديم الفدية..

وما يفعل عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتعفير الخدود والانحناء والسجود خضوعاً وتذللاً واتخاذ ذلك القبر عيداً... مع انه صلى الله عليه وآله وسلم قد لعن فاعل ذلك. وكذلك ما فعل عند قبر حمزه وفي البقيع وقبّا وجدّه.. وعند معبد العلوي.. وكذلك في مصر وصعيدها واليمن، و(أهل الهجرية) واهتمامهم بقبر (ابن علوان) الذي يستغيثون به من نوائب الأيام.. وكذلك في (حضرموت) و(عدن) و(بلدان الساحل) و(الحديدة)، وعند قبر (رابعة) وفي (أراضي نجران) و(حلب) و(دمشق) واقصى الشام و(الموصل) و(بلاد الاكراد) وفي العراق. وخاصة بغداد والمشهد.. فالناس هناك يؤمون قبر أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبدالقادر ويتوجهون اليهم بالدعاء والاستغاثة.. ويظهرون من التعظيم والخضوع أعظم مما يتوجهون به إلى الله في الصلاة، وأما مشهد علي بن أبي طالب فقد صيرته الرافضة وثناً يعبد من دون الله... فيتوجهون إليه بخالص

الدعاء ويصلّون له في قبته المذهبة التي زخرفوها على قبره. وهؤلاء الجهّال يستشعرون في صدورهم من الهيبة والإجلال لعلي ما لا يستشعرون معشاره بين يدي الله.

فيقدسون مشهده فلا ينتهكونه ويزعمون ان عنده مفاتح الغيب، ولهذا يقولون ان زيارته افضل من سبعين حجة..

وكفى بما ذكرناه حجة عليهم في خروجهم عن الإسلام.. فقد غلوا فيه وأتوا من الشرك اعظم مما فعل النصارى بالمسيح.. وساووهم بل زادوا عليهم في غيرها من الرذائل..

ومثل ذلك ما يفعل عند مشهد الكاظم ومشهد الحسين من الشرك المنكر والكفر القبيح وشاب عليه الرجال من الجّهال. حتى لا يكاد يسمع بين هؤلاء الضالين ذكر الله وانما ديدنهم ترديد ذكر علي والحسين وبقية الآل..

ومثل ذلك ما يفعل في قرى الشط وحول البصرة، ولاسيما عند قبر الحسن البصري والزبير. واما في القطيف والبحرين من بدع الروافض والشرك القبيح والمشاهد الوثنية ومظاهر الضلال، فلا يكاد يخفى على أحد من الناس لكثرته وشيوعه..)[1].

وعلى طريقة ابن تيمية يستطرد ابن غنام في مطالعته الطويلة حول (إنكار العلماء تعظيم القبور وبناء المشاهد والاستغاثة بالصالحين أحياءً وأمواتاً) فهو يتحصن خلف واجهة عريضة من (العلماء) ومن الطبيعي ان يكون هؤلاء من المدرسة التي ينتمي إليها..

لذلك فهو يذكر (ان هذا الذي بيّنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب للناس من النهي عن دعوة أهل القبور، والتبرك بالاحجار والاشجار لم يفهمه من تلقاء

(١) المصدر السابق ص١٣-٢٢

نفسه دون أن يفهمه أحد من علماء الامة) اما من هم هؤلاء العلماء، فيقول ابن غنام: (الذين يعتد بهم في معرفة الحلال والحرام، المشهورين بالعلم والمعرفة عند أهل الإسلام. الذين يجاهدون في سبيل الله أهل البدع والآثام). وقد روى قولاً للنبي ﷺ رواه (الطرطوشي) عن البخاري جاء فيه (اينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات انواط فاقطعوها) ويستنتج منه (ان من قصد قبراً أو حجراً أو شجرة أو شيئاً حياً أو ميتاً وعظمه ودعاه واستغاث به وتبرك به وعكف عليه، فقد اتخذه إلهاً مع الله) ويورد تعليلاً ذكره (أبو الوفاء الحنبلي): «لما صعبت التكاليف على الجّهال والطغام عَدَلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. وهم عندي كفار - بهذه الوضاع مثل: تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها لما نهى عنه الشرع من إيقاد السّرج، وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها، وأخذ تربتها تبركاً فيها، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعُزّى».

«وقد كره العلماء ان يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف.. ولكن يسلم ويمضي.. فإذا اراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا.. ولهذا كرهت الامة استلام القبروتقبيله... فطائفة.. يصلّون للميت، ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر! وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء، وحضور القلب ما لايجده أحدهم في مساجد الله. وآخرون يحجّون للقبور. وكثير منهم أعظم مقصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لا حج البيت.. وعمّار مشاهد القبور يخشون غير الله ويرجون غير

الله آخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الاله.. فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الاصنام، وقد تيقّنت أن ما يشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك، قد يكون شياطين تضلل من أشرك به.. وكثير من هؤلاء يخرّبون المساجد ويعمرون المشاهد... وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يكن عنده ويخضع، ويدعو ويتضرع، ويجعل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن.. والذين جعلوا دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ، أفضل من دعاء الله.. وهؤلاء يدعون الميت الغائب، فيقول أحدهم: «بك استجير أغثنا، أجرنا»، ويقول: «أغفر لي وارحمني وتب علي...». «اشكو إليك ذنوبي، واشكو إليك عدوي..».. وأن الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم. لا يطلب من احدهم بعد موته ما كان يطلب منه في حياته..

وقد أورد المؤلف عن ابن القيم[1] قوله عن رسول الله ﷺ:

«لا تتخذوا قبري عيداً».. «اللهم لا تجعل قبري وتثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ومن المفاسد الصلاة إليها (أي إلى القبور) والطواف بها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها.. وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات، وقد نهى ﷺ عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ونهى عن تسرجها (ايقاد السرج عليها أي إضاءتها) ونهى عن تشريفها وأمر بتسويتها كما في صحيح مسلم عن علي.. وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب.. ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه.. ونهى عن الكتابة عليها وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان: ابن القيم الجوزيه. المطبعة اليمنية بمصر ١٣٢٠ هـ ص١٠١ وما بعدها.

عليها القرآن.. وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً ووضعوا له مناسك.. والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تّذكر الآخرة، وأمر الزائرون بالدعاء لأهل القبور؛ ونهاهم أن يقولوا هجراً.

ولقد جرّد السلف الصالح التوحيد، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم اراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبرثم دعا...

ثم ذكر حديث ذات أنواط: ثم قال (ابن القيم): فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الاسلحة والعكوف حولها اتخاذ الهٍ مع الله وهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه، والدعاء عنده والدعاء به؟

وأبلغ من ذلك ان رسول الله ﷺ هدم مسجد الضَّرار، ففيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فساداً منه كالأبنية على القبور وكذلك قبابها. فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله.. وأعظم الفتنة فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عبادة الاصنام.

وفي سنة من السنين كان للناس شجره يعظمونها ويربطون عليها الخرق، ويخرجون إليها في يوم من السنة: لم يشعر الناس إلا والشيخ تقي الدين بن تيمية تحزم وأخذ هو وجماعته الفؤوس، وخرج إليها فقطعها... فإن ذلك ربما يقضي إلى الشرك..[1].

○ ○ ○

هذه خلاصة لما عرضه (ابن غنام) في مطالعته التي دافع فيها عن موقف الوهابيين من العمائر والاضرحة والمساجد التي تضم قبوراً والتي تقع بجوار بعض القبور... وسوف نتعرض بالنقد والتحليل لبعض مقاطعها. غير ان الذي يهمنا ذكره ان الوهابيين قد أجمعوا أمرهم - وتحزموا - على حد تعبير

(١) تاريخ نجد ص ٣٢-٧٧.

ابن القيم - لتهديمها باعتبار ان وجودها ربما يفضي إلى الشرك... ولم يعودوا مستعدين لسماع أي نقاش بشأن ذلك، فقد حسمت هذه المسألة بنظرهم نهائياً.. وتبدو دعوة ابن عبدالوهاب مبررة وشرعية إذا ما قدم لها بأمثال هذه المرافعة التي إذا ما أخذت على علاتها دون نقاش أو تدقيق، فسوف تبدو مقنعة بنظر البعض، خصوصاً وانها قد طرزّت ببعض الآيات القرآنية التي أوردت في غير محلها الصحيح لتكون كلمة حق يراد بها باطل.

○○○

ولأننا قد نسهب في تحليل مرافعة ابن غنام في فصل لاحق، فاننا نشير اشارة سريعة لما أورده مؤرخ آخر[١] عن مسألة (الشرك) التي اتهم بها سكان الجزيرة العربية وبقية المسلمين يقول ابن بشر: (.. وكان الشرك اذ ذاك (في عهد محمد بن عبدالوهاب) قد فشا في نجد وغيرها. وكثر الاعتقاد في الاشجار والاحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذرة لها؛ والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام لهم...

وحكي أن الشيخ محمد وقف يوماً عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي ﷺ؛ فرآه محمد حياه فأتى إليه، فقال الشيخ: ما تقول في هؤلاء؟ قال: إنّ هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعلمون)..

وقد قطع في العيينة أشجاراً كانت تعظم ومنها شجرة هي اعظمهن... وقد هدم قبة أحد القبور هناك[٢].

○○○

إن المشروع الوهابي لتهديم الأضرحة والآثار بما فيها القبور وأماكن

(١) وهو عثمان بن بشر النجدي المتوفى ١٢٨٨ هـ في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد).
(٢) تاريخ ابن بشر ص٦-١٦.

ولادة وسكن وعبادة الرسول ﷺ، لا يبدو على الصعيد الواقعي مشروعاً ساذجاً إلا من ناحية التبريرات التي قدمت لتمريره. وإذ ان هذه التبريرات وضعت بصيغة تؤثر غالباً على عموم الناس السذج الذي استقطبتهم الوهابية في البداية وغيرهم فيما بعد، واذ انه حقق (إنجازاً) على صعيد الواقع إذا ما استطاع الوهابيون تنفيذه بالتبريرات التي قدموها، فانه بنظرهم يبدو مشروعاً ناجحاً أتاح لهم كسب المزيد من المؤيدين له، وان كان ذلك على صعيد الجغرافيا المذهبية والقريب المذهبي، كما جعلهم يتبجحون بكونهم حملة التوحيد الخالص النقي من دون المسلمين، وقد أعطاهم ذلك شعوراً متزايداً بعدالة قضيتهم وصحة مشروعهم؛ الذين ادعوا انه يريد بسط ذلك التوحيد ونشره بين عموم المسلمين.

ولو أن قارئاً عادياً اطلع على المنشور الاول الذي كتبه الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1] في بداية انطلاق دعوته وبذل جهوداً مضنية فيما بعد لنشره حتى أصبح الوثيقة المعتمدة الأولى التي يطل منها اتباعه على الإسلام وينظرون وفقها دون التدقيق بشأنها، لرأى ان الشيخ مخلص حقاً في دعوته ونظرته للتوحيد. مع ان هذه النظرة ناقصة وتنطوي على عشرات المفارقات والمتناقضات.

فقد اغترف آيات من القرآن الكريم دون أن يتأمل في حقيقة معانيها واسباب نزولها ومناسباتها وجمع بينها ليوحي للقارىء انه الوحيد من بين عشرات الالاف من علماء الدين على امتداد اربعة عشر قرناً الذي فهم حقيقة التوحيد؛ كما جاء به الإسلام وفهمه رسول الله ﷺ . . .

غير ان شرّاحاً متمرسين منتمين لمدرسته التي امتدت جذورها في المنطقة الحاضنة واصبحت أمراً واقعاً ترعاها مؤسسة الحكم السعودية الشريكة، بعثوا

(١) وهو كتاب (التوحيد) حقّ الله على العبيد/ الإمام العلامة صاحب النهضة الدينية المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب/ دار الكتب العلمية - بيروت ط٥ ١٩٨٩م.

الحياة فيها وحاولوا بوسائل تلفيقية متعددة اثبات صحة وجهة نظر شيخهم وأبيهم الروحي.

فقد انشغل هؤلاء (الشّراح) بوضع مجلدات عديدة لتعزيز وجهة نظرشيخهم حتى بدا في نظر الآخرين وكأن العلم قد تنزّل عليه دون المسلمين جميعاً.

والطريف ان الشيخ يذكر في منشوره (التوحيد) عن الرسول ﷺ ان الله حرم على النار، من قال:

لا إله إلا الله يبغي بذلك وجه الله، ومع ذلك فأنه يكّفر كل أمة (لا إله إلا الله) بحجج كثيرة ويبيح دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وقد خاض مع اتباعه حمامات الدم في مختلف انحاء الجزيرة وغيرها بحجة الاقتصاص من هؤلاء الكفرة أو المشركين... مبرراً ذلك بان ترك الشرك ليس قولٌ باللسان.. وكأنه يعلم بما في قلوب الناس ويستطيع تمييز الصادق منهم والكاذب[1].

○ ○ ○

وقد انتبه باحث فرنسي إلى ما يكمن خلف المشروع الوهابي لتهديم الاضرحة والآثار من أجندات خفية. فهذه لا يمكن ان تعد انتهاكاً للتوحيد، وانما يراد تقديمها كمبرر لتلك الاجندات التي لم يعلن عنها صراحة والتي سنشير إليها في الفصل الأخير من هذا الكتاب. فقد تساءل كلود فوييه[2] قائلاً:

---

(١) المصدر السابق ص٦، ويذكر الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في كتاب (شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبدالوهاب) دار العاصمة ط١ - ٢٠٠١م قول الرسول ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم) ص٢٣. ومع ذلك فان في مقدمة من لم يلتزموا بهذا الحديث هو الشيخ وأتباعه الذين بدوا وكأن أوامر خاصة من الله قد دعتهم إلى التنقيب والفحص في قلوب وسرائر الناس.

(٢) المصدر السابق ص٣٠ النظام السعودي/ كلود فوييه/ الوكالة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٣ ص٣١.

(مازلنا نجهل حتى اليوم ماذا كانت القوة الاجتماعية التي شجعت مشروع السعوديين الاوائل. فمن المشكوك فيه أن تكون الوهابية قد تمكنت من اقامة اساس أيديولوجي كاف: فأخذ لا يخوض المعارك لمجرد هدم القبور التي ترتفع أكثر من ثلاثين سنتميتراً عن الأرض).

وربما كان فوييه نفسه قد أجاب عن هذا التساؤل يقوله: (. . . اقتنع ابن عبدالوهاب بأن التوحيد الإسلامي قد انتقصه هذا التبجيل المفرط الذي يحيط بالنبي محمد وغيره من الاولياء، هذا التبجيل الذي يتجلى أساساً في توقير الموتى وزيارة أضرحتهم. وثار ابن عبدالوهاب على هذه الممارسات التي رأى فيها بدعة وضلالة).

اما الذي ربما لم يدركه فوييه بشكل تام فهو السبب الحقيقي وراء ثورة ابن عبدالوهاب الذي تحدثت روايات كثيرة عنها. ولم يكن اغلبها في صالحه وانما كان يشير إلى سعي حثيث لجهات أجنبية عدوة للاسلام لاحتضانه وتلقينه الافكار التي حاول نشرها فيما بعد وإمداده بالأموال ووسائل القوة التي أتاحت له ذلك.

إن أتباع الشيخ الوهابي والمنتمين إلى مدرسته الآن ربما يكونون مخلصين في متابعتهم له وايمانهم بعقائده، بعد ان رأوا سلسلة طويلة من الآباء أعتقدوا بصلاحهم وتقواهم، كانوا هم أيضاً من اتباعه. ومن المعلوم ان للآباء **(السلف)** سطوة روحية ونفسية واجتماعية كبيرة على ابنائهم **(الخلف)**. وقد تبنوا أطورحاته، ومنها التي تتعلق بالأضرحة والقبور والآثار، دون أي تشكيك وتلقفوها على انها هي الاطروحة الواقعية التي جاء بها الإسلام والتي يتوقف عليها أمر التوحيد. وكأن الناس يعيشون عصراً بدائياً يتوجهون فيه لقبر أو تمثال أو صنم أو ظاهرة طبيعية بالعبادة. وكأنهم لم يتطوروا إلى الحد الذي لا

يفرقون فيه بين (عرش الله) وعظمته وبنايات يستطيعون هم تشييد أعظم وأجمل منها فيتوجهون إلى ما شيدوا هم بالعبادة من دون الله اللطيف الخبير. وكأن العلم لم يطلعهم على الكثير والعجيب من اسرار الكون والحياة... وهي الدافع الأكبر لتوجه الإنسان بالعبادة إلى الله.. فعجائب خلقه وصنعته هي التي تقود إليه. وهذا أمر يشير إليه القرآن الكريم دائماً.

○○○

هذا المشروع الذي أصبح هاجس الوهابيين الأول وفي مقدمة الأهداف التي سعوا لتحقيقها في بداية نشوء حركتهم والتي يتحمسون لانجازها بكل وتائر الحماس المتصاعدة بنيّ على **(أحاديث يتيمة مكذوبة)** على النبي عن طريق رواة مدّلسين أو كذّابين أو متساهلين في نقل الروايات والاخبار؛ أو ممن عرفوا بالنسيان وعدم الدقة.

١ - وننقل هنا ما روي في صحيح مسلم وسنن الترمذي والنسائي:

«حدّثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب. قال يحيى: أخبرنا - وقال الآخران: حدثنا - وكيع عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي وائل عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله، أن لا تدع تمثالاً إلّا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلّا سويته»[١].

٢ - «كنّا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بـِ«رودوسٍ» فتُوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسُويَ. ثم قال: سمعت رسول الله يأمر بتسويتها»[٢].

---

(١) صحيح مسلم: ج ٣ كتاب الجنائز ص٦١. السنن للترمذي: ج٢ ص٢٥٦ باب ما جاء في تسوية القبر. السنن للنسائي: ج٤ باب تسوية القبر ص٨٨.

(٢) صحيح مسلم: ج٣ كتاب الجنائز ص٦١.

٣ - حديث (جابر) المرّوي بعدة طرق وبصور مختلفة:

أ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص بن غياث، عن أبي جريح عن أبي الزبير عن جابر، قال: «نهى رسول الله أن يُجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبُنى عليه».

ب - حدّثني هارون بن عبدالله، حدّثنا حجّاج بن محمد، وحدثني محمد بن رافع. حدّثنا عبدالرزاق، جميعاً عن ابن جريح قال: أخبرني أبو الزبير أنّه سمع جابر بن عبدالله يقول، سمعت النبي بِمِثْلِهِ.

ج - حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا إسماعيل بن علية، عن أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر قال: نهى ﷺ عن تجصيص القبور.

د - حدثنا عبدالرحمن بن الأسود: أخبرنا محمد بن ربيعة، عن ابن جريح عن أبي الزبير، عن جابر، قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبور، وأن يُكتب عليها وأنْ يُبنى عليها وأَنْ توطأ[١].

ثم يذكر الترمذي عن الحسن البصري والشافعي أنهما أفتيا بجواز تجصيص القبور[٢].

هـ - حدثنا أزهر بن مروان، ومحمد بن زياد، قال: حدّثنا عبدالوارث، عن أيّوب عن أبي الزبير، عن جابر، قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبور.

و - حدّثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا حفص عن ابن جريح، عن سليمان

---

(١) السنن للترمذي ج٢ ص٢٠٨ تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. ط المكتبة السلفية.

(٢) نفس المصدر ص٢٠٨ وراجع بالتفصيل (الوهابية في الميزان). الشيخ جعفر سبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ط٥ ص٧٦ وما بعدها. وقد ناقش الاستاذ سبحاني هذه الاحاديث وبين ضعفها وعدم صحتها.

بن موسى، عن جابر قال: نهى رسول الله أن يكتب على القبر أي شيء[١].

ز - أخبرنا يوسف بن سعيد قال: حدّثنا حجاج عن ابن جُريح، قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: نهى رسول الله عن تجصيص القبور أو يُبنى عليها أو أن يجلس عليها أحد.

ح - أخبرنا عِمران بن موسى قال: حدثنا عبدالوارث قال: حدّثنا أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبور[٢].

ط - حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا عبدالرزاق، حدثنا ابن جريح، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: سمعت النبي نهى أن يُقعد على القبر وأن يُجصص أو يبنى عليه.

ي - حدّثنا مُسدَّد وعثمان بن أبي شيبة، قال: حدّثنا حفص بن غياث عن ابن جريح عن سليمان بن موسى، وعن أبي الزبير عن جابر بهذا الحديث. قال أبو داود: قال عثمان «أو يُزاد عليه». وزاد سليمان بن مُوسى: «أو أن يكتب عليه»[٣].

ك - عن عبدالرزاق، عن ابن جُريح: أخبرني أبو الزبير أنّه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبي ينهى أن يقعد الرجل على القبر؛ وأن يُجصَّص وأن يبنى عليه[٤].

---

(١) صحيح ابن ماجة ج١ كتاب الجنائز ص٤٧٣.

(٢) صحيح النسائي ج٤ ص٨٧-٨٨ - مطبوع مع شرح الحافظ السيوطي.

(٣) سنن أبي داود. ج٣ ص٢١٦ باب البناء على القبر.

(٤) مسند أحمد ج٣ ص ٢٩٨-٣٣٢. كما رواه مرسلاً عن جابر في ص ٣٩٩. راجع العلامة سبحاني ص٩٠.

٤ - حدثنا محمد بن يحيى، حدّثنا محمد بن عبدالله الرقاشي، حدثنا وهب، حدّثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن القاسم بن مخيمرة عن أبي سعيد: أنّ النبي نهى أن يُبنى على القبر[١].

٥ - حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنا بُرير بن أبي حبيب، عن ناعم مولى أم سُلمة عن أُم سلمة قالت: نهى رسول الله أن يبنى على القبر أو يُجصّص.

٦ - علي بن إسحاق - حدثنا عبدالله بن لهيعة، حدّثني بَريد بن أبي حبيب عن ناعم مولى أم سَلمة أن النبي نهى أن يُجصص قبرٌ أو يُبنى عليه أو يُجلس[٢].

○ ○ ○

وبناء على هذه الاحاديث الموضوعة والملفقة - كما سنبّين ذلك في الفصل الخامس - صدرت فتاوى الخط الموالي للأمويين وأعداء الرسول وأهل بيته؛ وفي مقدمتهم الامويين بضرورة هدم المشاهد التي بُنيت على القبور حالاً.

وهكذا نجد فتوى صريحة تصدر عن ابن تيمية توجب ذلك، حيث يقول:

«يجب هدم المشاهد التي بنيت على القبور ولا يجوز إبقاؤها - بعد القدرة على هدمها وإبطالها - يوماً واحداً»[٣].

○ ○ ○

ولا بد أن نذكر هنا أن لأبن تيمية مكانة مرموقة لدى أصحاب المشروع

---

(١) صحيح ابن ماجة ص١ ص٤٧٤.

(٢) مسند أحمد: ج٦ ص٢٩٩.

(٣) راجع سبحاني/ مصدر سابق ص١٠٠.

الوهابي الذين تبّنوا تدمير الآثار والاضرحة والمساجد والقبور، وقد تعززت تلك المكانة لدى الجهات المتطرفة الموالية لأعداء الرسول وأهل بيته. عرف ابن تيمية بكثرة حفظه للأحاديث النبوية التي أغترف منها ما يناسب مزاجه ويؤكد آراءه المتحيزة. وكان لأسلوبه (المشحون بالعبارات الجازمة والاحكام القطعية أثره البالغ في الاستحواذ على السامع والقاريء حتى قالوا عنه: إنه أوحد عصره في هذا الفن. بل قال الذهبي: «حق ان يقال أن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية ليس بحديث»[١].

وكان لمقولة الذهبي أثرها الكبير لدى جهات واسعة لا تتمتع بأدنى قدرة عل العلم والمعرفة وتلقفتها على انها شهادة حقيقية بحقه، رغم عدم اهتمامه بضبط الحديث وكثرة الاخطاء والتناقضات التي لا يوجد لها نظير عند غيره وعدم التزامه بنص الحديث الذي يرويه وتغييره أو نسبته إلى روايه أو مصدره الحقيقي.

كما أنّ له اخطاء رجاليه ظاهرة، (وأخطر من هذا كله ما عُرف به من تسرع في تضعيف الاحاديث الصحاح والحسان التي تخالف مذهبه! وقد سجّل عليه هذا العيب ابن حجر العسقلاني[٢]، بل هو معروف بها عند أهل الحديث..)[٣].

---

(١) تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر، المطبعة الحيدرية - النجف ط٢ - ١٩٦٩م ص٤٠٩. راجع ابن تيمية - حياته وعقائده تأليف صائب عبدالحميد. الغدير - بيروت ط١ ص٦٩.

(٢) لسان الميزان. ابن حجر العسقلاني - مؤسسة الاعلمي - بيروت ط٣ - ١٤٠٦هـ م٢ ص٣١٩.

(٣) ابن تيمية - مصدر سابق ٦٩ - ٧٢. وقد تحدث الاستاذ صائب عبدالحميد في هذا الكتاب بموضوعيه وحيادية عن توظيف ابن تيمية احاديث ملفقه أو مروية عن رواة ضعاف وغير ثقات ومدلسين وكذابين أو مجهولين؛ ليثبت وجهات نظره المنحازة للعائلة الاموية وحكام الانحراف.

وقد اتبع طريقة مدهشة لتضليل الناس عندما يوحي اليهم انه محيط بكل علوم الإسلام، وكل ما قاله النبي ﷺ وكل ما روي عنه. فهو يستعمل عبارات:

(إتفاق أهل العلم)، إجماع أهل العلم، وعلى ذلك جماهير أهل العلم جماهير الائمة، ثبت في صحيح عن النبي ﷺ، كما ثبت بالنصوص عن النبي ﷺ، ثبت بالصحاح، اتفاق سلف الأمة، اتفاق الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا نزاع بين السلف والائمة، الذي ثبت بالكتاب والسنّه والاجماع، ما عليه اصحابنا، أهل العلم والايمان، إجماع سلف الأمة، جمهور السلف، الذي عليه السلف وجمهور الخلف، في أظهر قولي العلماء... الخ[١].

○○○

إنّ (شيخ الإسلام ابن تيمية) ذو المنزلة الرفيعة لدى التيار (السلفي) والذي ينظر إليه باعجاب وثقة لاحّد لها عززّهما تلامذة وأتباع مخلصون له مثل ابن القيم ومحمد بن عبدالوهاب، عندما يدلي بدلوه بخصوص هذه المسألة ويقرر بلسان قاطع تكفير (تبديع)[٢] من يرى بناء المساجد والاضرحة على القبور والدعاء أو قراءة القرآن أوالصلاة على النبي عند المساجد المقامة عليها.. فان كلامه يؤخذ على انه قول منزل لا جدال فيه.. وعلى الجميع السمع والطاعة وعدم المناقشة.

فقد تقدم هذا الفقيه المتعصب على غيره، ليبني على نفس الاحاديث الضعيفة المنحولة الكاذبة التي ذكرها، أراءه وفتاواه القاطعة والحاسمة،

---

(١) مجموع الفتاوى/ شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت ط٢ - ٢٠٠٥م.

(٢) من البدعة.

وأصبحت تشكل أرضية مناسبة وسبباً مقبولاً لانتهاك الآثار الإسلامية وإزالتها من قبل اتباع التيار الوهابي بعد سيطرتهم على منطقة شبه الجزيرة العربية؛ التي تضم الحرمين الشريفين وغيرهما من الاماكن المقدسة.. وكانت غطاءاً مناسباً لتلك الانتهاكات التي قاموا بها بحجة الحفاظ على التوحيد الخالص؛ وتجنيب المسلمين مآزق الكفر والشرك والبدعة وما إليها...

ولم يجد ابن تيمية إلا تلك الاحاديث الموضوعة، التي سنبّين تهافتها وعدم صحتها في الفصل الخامس لوجود مدّلسين وكاذبين في سلسلة المحدّثين الذين رووها، وضعفوها أو احتمال تفسيرها بوجوه أخرى، مع ان من تمسكوا بها أرادوا تفسيرها من وجه واحد أصروا عليه وبنوا ممارساتهم على اساسه.

○○○

يقول (شيخ الإسلام ابن تيّمية) في فتواه المرقمة (٦٥٢): (وأما جعل المصحف عند القبور وايقاد القناديل فهذا مكروه منهّي عنه، ولو كان قد جعل للقراءة فيه هناك، فكيف إذا لم يقرأ فيه، فان النبي ﷺ قال: لعن الله زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وذكر ان الائمة قد تنازعوا (اختلفوا) في القراءة عند القبر.. وقال: (واما جعل المصاحف عند القبور لمن يقصد قراءة القرآن هناك فبدعة منكرة، لم يفعلها أحد من السلف. بل هي تدخل في معنى «اتخاذ المساجد على القبور» وقد استفاضت السنن عن النبي ﷺ عن ذلك حتى قال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وقال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، إلا فلا تتخذوا القبور مساجد، فاني أنهاكم عن ذلك» ولا نزاع بين السلف والائمة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد)..

وفي الفتوى المرقمة ٦٥٧ كرر ما قاله حول بناء المساجد على القبور وأعاد ذكر الاحاديث، التي ذكرها في فتواه السابقة.

واعتبر في فتواه المرقمة (٦٦٣) ان زيارة القبور على وجهين: شرعّية وبدعّية، واعتبر (ان الزيارة البدعّية، وهي زيارة أهل الشرك من جنس زيارة النصارى الذي يقصدون دعاء الميت والاستعانة به، وطلب الحوائج عنده، فيصلّون عند قبره ويدعون به، فهذا ونحوه لم يفعله أحد من الصحابة ولا أمر به رسول الله ﷺ، ولا استحبه أحد من سلف الامة وأئمتها. بل كره الائمة وقوف الإنسان عند قبر النبي ﷺ للدعاء، وقالوا: هذه بدعة لم يفعلها الصحابة والتابعون، بل كانوا يسلمون عليه وعلى صاحبيه ثم....

وذكر في الفتوى المرقمة (٦٦٦) الحديث المنسوب للنبي ﷺ والذي قال فيه: «**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم بالآخرة**» والآخر الذي قال فيه: «استأذنت ربي في أن أزور قبر أمي فأذن لي. واستأذنت في أن استغفر لها، فلم يأذن لي. فزوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة».

وقد أعاد (شيخ الإسلام) ذكر الأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ عدة مرات وأكد فتاواه السابقة كما انكر شفاعة النبي بعد وفاته، واعتبر انها شرك (فالمشركون اثبتوا الشفاعة التي هي شرك، كشفاعة المخلوق عند المخلوق...).

الفصل الرابع

نماذج من تدمير
الوهابية للعمائر والآثار الإسلامية

الفصل الرابع

نماذج من تدمير الوهابية للعمائر والآثار الإسلامية

النموذج الأول: واقعة غزو كربلاء

في العشرين من نيسان ١٨٠٢م[١] تعرضت مدينة كربلاء التي تضم ضريح الإمام الحسين عليه السلام والتي يقطنها قرابة ستة آلاف ساكن[٢] إلى هجوم مباغت عند الفجر من قبل ميليشيات بدوية مدرّبة تعدادها حوالي عشرين ألف مسلح أو أقلّ من ذلك بقليل، قضت على نصف سكانها من الرجال والنساء والأطفال بإستعمال كل أسلحة الدمار والفتك المتوفرة.

لقد نهبت أعظم الكنوز الأثرية التي ضمّها الضريح المقدس، الذي دُمِّر بعد ذلك وأُحرقت المدينة التي أصبحت أطلالاً بعد المجزرة، ولم ينجُ منها إلّا مَن هرب واختفى في أماكن بعيدة عن عيون الغزاة أو مَن سافر إلى النجف للإحتفال بمناسبة إسلامية كبيرة. وقد تم ذلك خلال ثمان ساعات فقط وفق

---

(١) وكان ذلك في الثامن عشر من ذي الحجة - عيد الغدير - سنة ١٢١٦هـ حيث يتوجّه المسلمون إلى مرقد الإمام علي عليه السلام لإحياء مراسم الإحتفال والزيارة والتهنئة بهذا اليوم المبارك. ولابد أن مدينة كربلاء قد خلت من زوارها والكثير من قاطنيها؛ الذين ذهبوا إلى النجف الأشرف للمشاركة بالزيارة والإحتفال.

(٢) يقول جان ريمون وهو ضابط فرنسي في مذكرة رفعها في ٣٠ أيار ١٨٠٨م إلى وزير خارجية نابليون إن كربلاء بلدة تعيسة غير محصنة. يقطنها حوالي ستة الآف شخص. راجع: دوكرانسي، لويس: «الوهابيون»، دار رياض الريس، ط ١، بيروت، ص ٣٠.

تخطيط عسكري محكم نفّذه (سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود) الذي عرف بشدته ودمويته.

لقد كانت عملية إبادة شاملة لقوات مسلحة منظمة تقودها دولة ناشئة (الدولة السعودية الأولى) التي تأسست سنة ١٧٤٧م تقوم على متبّنيات الفكر الوهابي الذي لا يزال سائداً في المملكة السعودية الحالية؛ التي تأسست في مطلع القرن الماضي ولاتزال قائمة.

وإذ أن (**محرقة كربلاء**) أصبحت في الخيال الوهابي عملاً مجيداً من المقدس المأثور، وقد تغنّت به الأدبيات المتداولة، وأصبح ضمن المناهج الدراسية التي تدرّس للناشئة والشباب، كانتصار مجيد يعدل في أهميته (واقعة بدر)، كان لا بد من تصحيح ما ترسّب في الذاكرة الوهابية وصُدِّر للآخرين على أنه من الأعمال البطولية التي انتصرت للإسلام، وتوضيح الدوافع الحقيقية وراء الغزو وإيضاح المسكوت عنه من الحقائق والوقائع.

وفي البداية لا بد من التساؤل: هل أن محرقة كربلاء أثر من آثار الماضي، ولّى ولم تعد له أية تداعيات، أم أن مشروع غزو مماثل، ومحرقة أخرى لايزال قائماً في أذهان التكفيريّين الوهابيّين وتتداعى على ساحاته جموع من الإنتحاريين غزوا العراق في عمليات تسلل منتظمة تديرها نفس الجهات التي لاتزال تتمسك بالفتوى الأولى التي أباحت كربلاء قبل حوالي قرنين، وحصدت في مطلع الألفية الثالثة أرواح عشرات من العراقيين رجالاً ونساءً وأطفالاً في كربلاء والنجف وبغداد والكاظمين والحلة وغيرها؛ وشملت تهديم القباب المقدسة لإمامين من أهل البيت عليهم السلام في سامراء؟

ولا بد أن نؤكد النتائج على أن المشروع الوهابي لاستئصال المسلمين الشيعة بحجة تقديسهم ومحبتهم لأهل البيت لايزال ساخناً، وأن وتيرة التطرف

في كل مفاصل وأدبيات هذا المشروع تتصاعد كلما صعّد فقهاء العنف خطابهم التكفيري المتشنّج ووصموا المسلمين بالشرك والكفر والردّة.

وإذاً فهل يترك الحبل على الغارب لهؤلاء لكي يمهّدوا لمجازر أكبر تطال العالم بأسره، ويُنسى ما أرتكبوه في كربلاء وغيرها؟ أم أن على العالم أن ينظر بجد إلى موجة الإرهاب المستحدثة التي سوّت مركز التجارة العالمي بالأرض سنة ٢٠٠١م وأحرقت من فيه وعددهم مماثل لما أحرقتهم سنة ١٨٠٢م.

وإذا ماطالب ذوالمغدورين في نيويورك بتعويض عن أرواح ضحاياهم وعن صرحهم التجاري. ألا يحق لذوي المغدورين في كربلاء أن يطالبوا بتعوض مماثل عن أرواح ضحاياهم، وعمّا لحق بضريح أعظم رمز مقدس للمسلمين؛ وبإعادة الكنوز الهائلة التي تكفي لتزيين قاعات متحف كبير؟

وإذ ما سلّمت المحاكم الدولية بحق ضحايا (الهلكوست) في المانيا في التعويض، مهما كان رأي البعض فيها، وانتزعته بعد أكثر من ستين عاماً، مع أن الحكومة الألمانية الحالية ليست امتداداً للحكومة النازية؛ التي اتهمت بقتل اليهود وحرقهم خلال الحرب العالمية الثانية. فلماذا لا تسلم هذه المحاكم **(إذا ماعرضت عليها قضايا الإبادة الجماعية؛ التي قامت بها الوهابية في العراق قبل مائتي عام والآن)**، بحق الضحايا العراقيين في تلك الواقعة وغيرهم برفع دعاوى مماثلة للتعويض عن الخسائر مع اعتذار عمّا حل بهم؛ ووعداً أكيد بعدم تكرارا ذلك؛ ونبذ العنف بكل أشكاله؟

❍ ❍ ❍

وقبل أنْ نعدّ حيثيات القضية، وقبل أن نذكر ما سجّله المؤرخون حول اليوم الدامي، ندوّن نصّ ماسطره مؤرخ الدولة السعودية الأول عثمان بن بُشر (المتوفي سنة ١٢٨٨هـ - ١٨٧٠م)، متفاخراً (بإعتراف ضمني) بهذا الانجاز

الكبير «الإبادة الجماعية» الذي حققته جيوش الإسلام المنصورة في كربلاء على حد زعمه!

يقول (العلّامة المحقق الفاضل مؤرخ نجد؛ الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلي الناصري التميمي النجدي)[١]:

(. . . ثم دخلت السنة ١٢١٦هـ - ١٨٠٢م: وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل والعتاق المشهورة؛ من جميع حاضر نجد وباديها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك وقصد أرض كربلاء، ونازل أهل بلد الحسين في ذي القعدة[٢]. فحشد عليها المسلمون وتسوّروا جدرانها ودخلوا عنوة وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين، وأخذوا ما في القبة وما حولها، وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقين «الياقوت» والجواهر، وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر، ولم يلبثوا فيها إلّا ضحوة، وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال، وقتل من أهلها قريب ألفي رجل.

ثم أن سعود ارتحل منها على الماء المعروف بالأبيض فجمع الغنائم

---

(١) هكذا ورد التعريف به في مقدمة كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد»، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. راجع ص ١٢١ و١٢٢ حول ما ذكره عن غزو كربلاء.
أيضاً راجع: المختار، صلاح: «تاريخ المملكة العربية السعودية»، ص٧٣-٨٧.
وأيضاً: خزعل، حسين خلف الشيخ: «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، ص٣٨٦ و٣٨٧.

(٢) وهو من الأشهر الحُرم الذي لا يجوز فيه القتال. وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم. ولعل ابن بشر توهم هنا، فليست هناك مناسبة خاصة في ذي القعدة لزيارة الإمام عليه السلام وربما كان ذلك في رجب أو ذي الحجة كما ذكرنا في مطلع هذه المقالة.

وعزل أخماسها وقسم باقيها في المسلمين غنيمة، للراجل سهم، وللفارس سهمان ثم ارتحل قافلاً إلى وطنه..)

فابن بشر يتبجّح هنا بحمّام الدّم الذي ذبح فيه أهل كربلاء العزل (في الأسواق والبيوت)، وخلال ساعات محدودة (ضحوة)، وليس في مواجهة عسكرية حمل فيها أهالي كربلاء السلاح، ومعنى ذلك أن المجزرة طالت الأطفال والنساء وربما كانت أغلبية المغدورين من هؤلاء[١]، لسفر الزوار الرجال إلى النجف لصعوبة السفر آنذاك على النساء والأطفال[٢].

ان ابن بشر يحمل ثقافة الصحراء المتوارثة عبر أجيال طويلة، ويهزه إيقاع كلمة (الغزو) التي تعني الحصول على الغنائم الوفيرة.. وإذا مابرّر الغزو بذريعة دينية وأصبح (مشروعاً) فان ذلك يعني خير الدنيا والآخرة، ويصبح من الأمور الواجبة على كل من يقدر على حمل السلاح، حتى وإنْ كان ذلك بوجه المسلمين الآخرين الذين عني فقهاء الوهابيين (بإثبات) كفرهم وشركهم الصريح ومن ثم جعلهم هدفاً للغزو والقتل وإباحة الأموال والأعراض والمقدسات.

إن قراءة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي لاتزال سائدة حتى الآن في أوساط أتباع الخط الوهابي الذين تتنامى أعدادهم بشكل لافت للنظر؛ تعتبر جميع من لا يدينون بمفردات المذهب الوهابي بحذافيرها وكل تفاصيلها مشركين مرتدّين كفاراً، ينبغي قتلهم وإباحة أموالهم وأعراضهم تقرباً إلى الله تعالى. وهذا الأمر الذي وفر الغطاء (الشرعي) لعمليات الإبادة التي مارسها

---

(١) وقد اعترف بذلك مؤلف «لمع الشهاب» كما سنوضحه بعد قليل.

(٢) يتحدث الكتّاب الحكوميون الذين يقبضون أعطياتهم من الحكومة السعودية باعتداد وفخر عن مآثر (قوات المسلمين) التي أنجزت كل هذا العمل البطولي! في كربلاء خلال ثمان ساعات فقط لا غير، دون أن تتكبد قتيلاً واحداً وهو ما يوضح أن العُزّل من الرجال والنساء والأطفال لم يكن بإمكانهم مقاومة المقاتلين البدو المدجّجين بالسلاح.

الوهابيون خلال أكثر من قرنين من الزمن، ولمزيد من الأعمال المماثلة التي يتطلعون للقيام بها في المستقبل ضد الجميع، وخصوصاً المسلمين من أتباع أهل البيت عليهم السلام الذين أطلقوا عليهم لقب (الروافض) و(القبوريّين) وما إلى ذلك من التسميات التحقيرية التي يقصد منها جعلهم جنساً آخر لا ينتمي للجنس البشري بحال. لقد اعتبروا قتلهم هدفاً مقدساً، بل وجعلوا أمر وجودهم وبقائهم هم مرهوناً بذلك.. فالأرض لا تتسع للجميع.. وهذا ما دأبت أدبياتهم ونشرياتهم تعبر عنه بكل صراحة.

إن **المشروع الوهابي** في القتل والإبادة وخلال جميع مراحل الدولة السعودية في القرن الثامن عشر وحتى يومنا هذا في أوائل القرن الحادي والعشرين لا يزال قائماً ونشطاً يّروج له فقهاء التكفير؛ المدعومين من قبل الدولة السعودية الحالية[1].

---

(١) ويتفاخر الآن رجال (القاعدة) الذين يحملون الفكر الوهابي بكل آلياته وتفاصيله وقراءته الأولى التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ والذين تسربوا للعراق ودخلوا في حلف مقدس مع خصوم الأمس من البعثيين الذين يتلونون بلون إيماني مفتعل، بتدمير مرقد الإماميين العسكريين عليهما السلام في سامراء، وتوعدوا بهدم الأضرحة المقدسة للإمام علي والحسين والكاظمين وغيرهما، كما فعلوا في غاراتهم السابقة عندما أزالوا الأماكن المقدسة والآثار المعمارية الجميلة التاريخية في مكة والمدينة، وفي أماكن أخرى خلال تسلطهم على نجد والحجاز. لقد دمّروا قبة ابن عباس في الطائف وقباب عبد المطلب وأبي طالب وخديجة زوج الرسول صلى الله عليه وآله وقبة مولده صلى الله عليه وآله وقبة مولد فاطمة الزهراء عليها السلام في مكة، وأحرقوا (**المكتبة العربية**) فيها؛ والتي تضم ستين ألفاً من الكتب النادرة وحوالي أربعين ألف مخطوطة بعضها مما أملاه النبي صلى الله عليه وآله وبعضها مما كتبه الإمام علي عليه السلام وكذلك سائر الصحابة والخلفاء، ومنها ما هو مكتوب على جلود الغزلان والعظام والألواح الخشبية والرُقم الفخارية والطينية. كما كانت المكتبة تشكل في جانب منها متحفاً يحتوي على مجموعة من آثار ما قبل الإسلام وبعده. وقد حاولوا تدمير مرقد النبي صلى الله عليه وآله إلا انهم خافوا ردة الفعل التي قد يحدثها مثل هذا العمل، واكتفوا بنهب =

لقد أعادت هجمات نيسان ١٨٠٢م على كربلاء، وبشاعة المجزرة الدموية التي ارتكبت هناك بحق حفيد الرسول ﷺ الحسين بن علي عليه السلام بعد مرور نصف قرن فقط على وفاته ﷺ سنة ٦٢هـ، وهي المجزرة التي قام بها الأمويون بقيادة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سليل الخط المناوىء للإسلام والذي صادر الخلافة بذرائع واهية، واستولى على مقدرات المسلمين وأسّس لكيانات وإمبراطورية وراثية بذرائع دينية مفتعلة...

وقد أصبحت الإمبراطورية الأموية سابقة (دينية) للمتخلفين اللّاحقين وطلاب الحكم الطموحين؛ ومنهم عائلة آل سعود التي وجدت أنها ندّ مكافئ (للخليفة) العثماني الذي تسلط بنفس الذرائع الدينية[1]؛ التي هيأها له الفقهاء التابعون لدولته.

لقد ذكر مؤلف (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) أن سعود بن عبدالعزيز حشد جيشاً من أعراب نجد قدّر بعشرين ألفاً وتوجه إلى العراق حيث حاصر مدينة كربلاء واقتحمها، فقتل قتلاً ذريعاً لم ينج منه حتى الأطفال، ونهب خزائن من الذهب والجواهر النفيسة، وهدم قبر الحسين عليه السلام واقتلع الشباك الموضوع عليه، كما أنه ربط خيله في الصحن ودق القهوة فيه[2].

= كنوز المرقد التي لا تقدر بثمن، وهدموا قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام في البقيع، إضافة لعشرات الآثار المماثلة.

(١) أمر سعود فور احتلاله مكة سنة ١٩٠٦م بإقامة الصلاة علناً بإسمه بدلاً من إسم السلطان العثماني سليم... وقد انتشرت فكرة الفتوحات (الغزوات) وعمّت جميع الطبقات وأحيت ذكرى قوة العرب السالفة، حتى في قلوب الضعفاء منهم، أمل العودة إلى حكم أمراء من قومهم. وتأييداً لما أقول فقد سمعت بالأمس وهابياً يقول بلهجة التنبؤ: «اقترب الوقت الذي سنرى فيه عربياً على عرش الخلافة، فقد بقينا ما فيه الكفاية تحت حكم المغتصب». دوكرانسي، لويس: «الوهابيون»، ص ٤٠-٤٢.

(٢) المؤلف مجهول: «لَمْعُ الشهاب»، تحقيق د. مصطفى أبو حاكمة، بيروت ١٩٦٧م، =

ان هجوم قوة ضاربة مسلحة يقدر عدد أفرادها بثلاثة أضعاف سكان المدينة الآمنة بما فيها من نساء وأطفال لا تتناسب مع المهمة المعلنة للغزو، وهي الثأر لمقتل بعض البدو المتبضّعين في النجف على يد إحدى العشائر العراقية كما زُعم[١]. ، بل أن الغزاة حشدوا لمهمة واضحة وهي نهب أكبر كنوز العالم، وقد شحنوا بآراء متطرفة تبيح لهم ذلك وتعدهم بالثراء الوافر بدل قيامهم بين حين وآخر بغزو جيرانهم الفقراء في نجد وما حولها، وهم بَدَوا مسرورين به ومستعدين لإنجازه كحلم من أحلامهم البعيدة. ولو أنهم كانوا يتوخّون الإصلاح و(تنقية) الدين من الشوائب والبدع كما يزعمون للجأوا إلى نشر ثقافتهم في أهالي كربلاء (نصيحتهم) وتبشيرهم ودعوتهم للتوحيد الوهابي

= ص٩٠. وهذا المؤلف المجهول هو من الموالين للدولة السعودية؛ وقد ذكر هذه الواقعة من باب التفاخر.

(١) وقد ذكر لويس دوكرانسي عن ضابط مدفعية فرنسي في حلب زعمه أن مشادة وقعت في النجف بين بعض أعضاء قافلة قادمة من نجد للتبضع وبين بعض البائعين وبعض عرب الخزاعل القادمين لزيارة مقام الإمام علي أدت إلى بعض الإضطراب. تجمع الخزاعل في الليل وذبحوا حوالي ثلاثين من الوهابيين فلاذ الباقون بالفرار، وأوصلوا الخبر إلى عبد العزيز الذي طلب تسليمه القاتلين ليقتصّ منهم أو دفع فدية عنهم، إلا أن باشا بغداد رفض ذلك مما أثار حفيظة الوهابيين وأدخل في قلوبهم الرغبة في الثأر راجع ص٢٥- ٢٦.
ولا ندري لماذا لم يثأروا من الذين قتلوا جماعتهم واستهدفوا مدينة كربلاء الوادعة بالذات؟ فالخزاعل يسكنون شواطيء الفرات إلى الجنوب بالقرب من الديوانية؟ وقد استند عبدالرحيم عبدالرحمن على هذه الرواية واعتبر أن هذا كان السبب الرئيسي في هجوم القوات السعودية على المزارات الشيعية للإنتقام من الشيعة. مع أن هذا ليس مبرراً كافياً إذا ما أخذ بالمقاييس الدينية الصحيحة. فما ذنب أهل مدينة بأكملها وهم من العُزّل الأبرياء ليعاقبوا على أمرٌ أرتكبه غيرهم؟ هذا إذا صح أن هذا قد حصل بالفعل. والواقع أن الرؤية الوهابية الإستدمائية كانت تطمع لحيازة كنوز المراقد المقدسة بحجة أن هذه المراقد تجسيد وإحياء للوثنية حسب ادعائهم. راجع: عبدالرحيم عبدالرحمن: «الدولة السعودية الأولى»، دار الكتاب الجامعي، ط٦. القاهرة ١٩٩٧. ص٢١٧.

ولما لجأوا إلى المجازر التي لا يمكن تبريرها إلّا بفتاوى شيخهم المولع بالقتل والذبح والسلب..

وبنفس الأسلوب الحماسي تحدث أحد الكتاب المتأخرين عن هذا (الإنتصار) الذي حققه (جيش التوحيد) بهدم كل (نصب وطاغوت)! فقد ذكر (أن سعود توجه في ذي القعدة من سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) بجموع كثيرة وقوة عظيمة إلى العراق والتقى في كربلاء بجموع كثيفة من الأعاجم ورجال الشيعة الذين استماتوا في الدفاع عن معاقل عزهم ومحط آمالهم، قبة الإمام الشهيد الحسين رضي الله عنه وغيرها من القباب والمشاهد. ولكن جيش التوحيد قد تغلب بقوة إيمانهم وصدق عزيمتهم في الجهاد لهدم كل نصب وطاغوت اتخذ مع الله شريكاً في العبادات وجعل لله نداً في القربات. وشأن مشاهد كربلاء والكاظمية والنجف ومعصومة قم وموسى الرضا عند الشيعة، وتعظيمهم لها معلوم للقاصي والداني.

فكانت موقعة هائلة وكانت مذبحة عظيمة سالت فيها الدماء أنهاراً. خرج منها سعود وجيشه ظافرين ودخل كربلاء وهدم القبة العظيمة بل الوثن الأكبر المنصوب على ما يزعمون من قبر الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما. وأقر الله بهدمها عين الإمام الحسين وعيون الموحّدين الذين يتبعون شرعة جد الحسين أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ ورضي عن الحسين وآله الطاهرين[1].

(١) الفقي، محمد حامد: «أثر الدعوة الوهابية»، ط ١٣٥٤هـ. ص٨٤، نقلاً عن الخطيب، د. محمد عوض: «صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث»، دار المعراج للطباعة والنشر، ط ١٩٩١، ص١٧٦.

ونترك للقارىء التعليق على حماسة السيد الفقي التي حفلت بالعديد من المغالطات. فأية جموع كثيفة استماتت في الدفاع عن كربلاء ولم يكن فيها إلا العجزة والنساء والأطفال الذين لم يستطيعوا قتل وهابي واحد من المهاجمين! إن اللذة التي يشعر بها الفقي عندما =

لقد تعددت الروايات التي تحدثت عن محرقة كربلاء. وقد تحدثت أغلبها بإيجاز عن أفعال الوهابيين هناك، غير أن فاسيلييف ذكر تفاصيل أخرى عنها فقد جاء في كتابه[١]:

رأينا مؤخراً في المصير الرهيب الذي كان نصيب ضريح الإمام الحسين مثالاً مرعباً على قساوة وتعصب الوهابيين. فمن المعروف أنه تجمعت في هذه المدينة ثروات لاتعد ولا تحصى، وربما لا يوجد لها مثيل في كنوز الشاه الفارسي. لأنه كانت تتوارد على ضريح الحسين طوال عدة قرون هدايا من الفضة والذهب والأحجار الكريمة، وعدد كبير من التحف النادرة.. وحتى تيمورلنك صفح عن هذه الحضرة، وكان الجميع يعرفون أن نادر شاه قد نقل إلى ضريح الإمام الحسين وضريح الإمام علي قسماً كبيراً من الغنائم الوافرة التي جلبها من حملته على الهند وقدّم معه ثروته الشخصية. وها هي الثروات الهائلة التي تجمّعت في الضريح الأول؛ تثير شهية الوهابيين وجشعهم منذ أمد طويل.

فقد كانوا دوماً يحلمون بنهب هذه المدينة وكانوا واثقين من نجاحهم لدرجة أن دائنيهم حدّدوا موعد تسديد الديون في ذلك اليوم السعيد الذي تتحقق فيه أحلامهم. وها قد حلّ هذا اليوم في الأخير (٢٠ نيسان - أبريل ١٨٠٢م) فجأؤوا إلى ضريح الإمام الحسين. وبعد أنْ استولوا على الغنائم

= يذكر أنهار الدماء لاتعدلها إلّا لذة جموع الوهابيين الذين سفكوا تلك الدماء؛ وعبروا أنهارها إلى الكنوز المودعة في ضريح الحسين عليه السلام وسلبوها. ولاندري كيف تقرّ عين الحسين وعين جده صلى الله عليه وآله عندما تهتك حرماتهم، وحرمات الناس الآمنين الوادعين بهذه الطريقة البشعة؟ وهل هذه هي الطريقة الصحيحة لكتابة التاريخ وتحليل وقائعه وأحداثه؟

(١) فاسيلييف: «تاريخ العربية السعودية»، ترجمة جلال الماشطة وخيري الضامن. دار التقدم، موسكو ١٩٨٦م. ص ١١٦ و١١٧ ونقلاً عن أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (١٨٠٣ الإضبارة ٢٢٣٥ ص ٣٨ - ٤٠).

الهائلة التي لم تحمل لهم مثلها أكبر الإنتصارات، تركوا ما تبقّى للنار والسيف. وهلك العجزة والأطفال والنساء جميعاً بسيوف هؤلاء البرابرة. وكانت قساوتهم لا تشبع ولا ترتوي، فلم يتوقفوا عن القتل حتى سالت الدماء أنهاراً.. وبنتيجة هذه الكارثة هلك أكثر من أربعة آلاف شخص.. ونقل الوهابيون ما نهبوه على أكثر من أربعة آلاف جمل (مردوفة)[١]..

وبعد النهب والقتل دمروا كذلك ضريح الإمام، وحوّلوه إلى كومة من الأقذار والدماء، وحطموا خصوصاً المنائر والقباب، لأنهم يعتقدون بأن الطابوق الذي بنيت منه مصبوب من ذهب..

ويضيف فاسلييف نقلاً عن (منجين): «أن الوهابيين حصلوا على سيوف مرصعة بالأحجار الكريمة وباللؤلؤ، وهي السيوف التي إستأثر بها الأمير السعودي. كما أنهم استولوا على مزهريات وفوانيس من المعادن النفسية، وعلى حُلّي ذهبية ملبَّسة على الجدران، وعلى سجاجيد فارسية ونحاس ملبَّس بالذهب من السطوح. ووقعت في أيدي الوهابيين كذلك (فوطات) كشمير وأقمشة هندية، ونحو ألفين من السيوف العادية، وألفان وخمسمائة بندقية وأعداد من العبيد السود، ومبالغ هائلة من النقود المعدنية، واستمر النهب لمدة ثماني ساعات، وعند الظهر غادر الوهابيون كربلاء». وذكر (فاسيلييف) «أن الوهابيين لم يواجهوا أية مقاومة تقريباً. ويُعزى ذلك إلى أن قسماً كبيراً من السُّكان كانوا قد توجهوا إلى النجف لغرض الزيارة.. ومن المحتمل أن حاكم

---

(١) **المردوفة** هي الناقة القوية التي تمتطى عادة من قبل رجلين في وقت واحد. ومعلوم أن الجِمال تتحمل العطش لعدة أيام، ويمكن أن تحمل أغراضاً إضافية مع الرجلين مثل سلاحهما ومتاعهما. فقد قدمت القوات الوهابية الغازية على ثمانية آلاف جمل تحمل ثمانية آلاف مقاتل؛ إضافة للفرسان والمقاتلين الذي قدموا على جِمال عادية وعددهم يساوي ذلك العدد. ثم عادوا بجمالهم المردوفة (إثنان على كل جمل) وبقي لديهم أربعة آلاف جمل فارغة؛ حملوا عليها مقتنياتهم الثمينة من ذلك الغزو.

كربلاء حينها، وهو سنّي متعصّب، لم يتخذ الإجراءات اللازمة للدفاع عن هذه المدينة»[١].

إن كافة الروايات تجمع على القساوة المفرطة التي لجأ إليها الوهابيون وعدم تمييزهم بين رجل أو إمرأة أو شيخ أو طفل، وحرصهم على نهب كل

---

(١) رسول، محمد رسول: «الوهابيّون والعراق»، دار رياض الريّس، ط ١، بيروت٢٠٠٥، ص ٥١-٥٤.

ويقول همايون همتي: (وفي داخل المدينة ارتكبوا الكثير من الأعمال الوحشية من تدمير ونهب وفساد، فكانوا يقتلون كل من يصادفهم من دون أية رحمة أو شفقة، ونهبوا جميع الدور. ولم يخامرهم في هذه المذبحة أي عطف على الشيخ والشاب والصغير والكبير، والمرأة والرجل بحيث لم ينج أحد من قسوتهم البربرية). «الوهابية نقد وتحليل»، ص ١٤٨.

ولا بد أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه (سعود) قد خطّطا كثيراً لهذه الغزوة الفاصلة التي نقلتهم من حال الفقر المدقع إلى الثراء الفاحش، وهو ما حصل فعلاً اذ حلت أزماتهم المالّية ونقلتهم إلى مصاف الأثرياء الكبار. وعن ذلك يتحدث بابتهاج مؤرخ الدولة السعودية عثمان بن بشر قائلاً: (.. ولقد رأيت الدرعية - بعد أن كان أهلها في أضيق عيش وأشدّ حاجة. و غاية الضعف وضيق المؤونة - رأيتها بعد ذلك في زمن سعود، وما فيه أهلها من الأموال وكثرة الرجال والسلاح المحلّى بالذهب والفضة الذي لا يوجد مثله. والخيل الجياد والنجايب العمانيات والملابس الفاخرة وغير ذلك من الرفاهيات وما يعجز عن عدّه اللسان ويكل عن حصره الجنان والبنان. ولقد نظرت إلى موسمها يوماً في مكان مرتفع.. ورأيت موسم الرجال في جانب وموسم النساء في جانب، وموسم اللحم في جانب، ومابين ذلك من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام والبيع والشراء والأخذ والإعطاء، وغير ذلك وعلى مدّ البصر، ولا تسمع فيه إلا كدويّ النحل من النجناج (الصخب أو الضجيج) وقول: بعت وشريت، والدكاكين على جانبيه الشرقي والغربي، وفيها من الهدوم والسلاح والقماش ما لا يعرف ولا يوصف.... وكان قوة هذه البلد وعظم مبانيها وقوة أهلها وكثرة رجالها وأموالها لايقدر الواصف صفتها... فلو ذهبت أعدّ ما يدخل على أهلها من احمال الأموال من سائر الأجناس.. لم يسعه كتاب ولرأيت العجب العجاب.. وكانت الدور لاتباع فيها إلا نادراً وأثمانها سبعة آلاف ريال وخمسة آلاف.. وكل بيوتها مقاصير وقصور... الخ). عثمان بن بشر: «عنوان المجد»، ص١٣ و١٤ و٢١٦.

شيء من المدينة المنكوبة، وان أختلفت في ذكر بعض التفاصيل مثل عدد الغزاة من الوهابيّين والمغدورين من أهل المدينة.

ويسهب (حسين الشيخ خزعل)[١] بالحديث عن محرقة كربلاء ويعزو سببها إلى إستهانة الدرعية بالدولة العثمانية فأرادت أن تعبّر عن ذلك الوقت بمهاجمتها (في عقر دارها) - ولاندري لماذا اختارت كربلاء دون غيرها، وفي ذلك الوقت بالذات وهل كانت هي عقر دار الدولة العثمانية.. اللهم إلّا أن يكون الدافع هو سرقة الكنوز التي طالما حلموا بحيازتها.. وهو الدافع الحقيقي دون شك. فقد كان بريق المنائر والقبة يخطف أبصارهم ويثير جشعهم.

لقد ذكر ما سبق أن ذكره ابن بشر حول تجهيز جيش من أهالي نجد والجنوب والحجاز وتهامة وغيرهم بقيادة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود الذي زحف نحو مدينة كربلاء وتسلق جنوده أسوارها قبل فجر يوم ٢٣ آذار ١٢٠٣هـ، وكانت المدينة خالية من الجيش، فهب أهلها من الباقين فيها للدفاع عن مدينتهم، لكنهم لم يستطيعوا الصمود في وجه تلك القوات الهائلة فقتل منهم الكثير في الأسواق والبيوت، وقدّر عدد القتلى يومها بألفي قتيل، وأستولت القوات المهاجمة على أموالهم، كما استولت على ما كان داخل القبة المقامة على المرقد الحسيني من التحف الثمينة والأحجار الكريمة، وأخذت (النصيبة) الموضوعة على قبر الإمام التي كانت مرصوفة بالأحجار الكريمة التي لا تقدر بثمن. ولم تلبث تلك القوات في البلدة إلا ضحوة، ثم خرجت منها قبيل الظهر بجميع تلك الأموال وارتحلت منها، وقصدت الماء المعروف بالأبيّض فقسمت فيه الغنائم ثم عادت إلى الدرعية[٢].

---

(١) خزعل، حسين الشيخ: «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب». مكتبة الهلال، ط ١، بيروت ١٩٦٨، ص ٣٦٨-٣٨٧.

(٢) رسول، محمد رسول: «الوهابيون والعراق»، دار رياض الريس، ط ١، بيروت٢٠٠٥، ص٤٩-٥٤ ففيه تحليلات جيدة حول اسباب الغزو السعودي للمدن المقدسة العراقية.

وقد تحدث (لويس دوكورانسي)[١] عن هذه المأساة المروعة بعد وقوعهابعامين تقريباً، وقد ذكر أن كربلاء[٢] (بلدة أبنيتها غير محصنّة يقطنها حوالي ستة آلاف شخص)[٣]..

ومن الطبيعي أن تكون هدفاً سهلاً لجيش مسلح يبلغ تعداد أفراده أكثر من ضعف سكان المدينة برجالها وأطفالها ونسائها وهم من الضعفاء والعزّل...

يقول (دوكرانسي)، إستناداً إلى مذكرة جان ريمون الضابط الفرنسي:

(إختار عبدالعزيز يوم ٢٠ نيسان ١٨٠٢م للتنفيذ بغزو مقام الإمام الحسين.. وكان اليوم يوم عيد ميلاد الإمام علي، حيث تجّمع عند مقامه غالبية سكان الإمام الحسين بغية التعبّد، ولم يبق هناك سوى حامية ضعيفة للدفاع عن الموقع. فتقدم سعود وفقاً لتعليمات والده حتى أسوار المدينة، التي كانت شبه خالية، يرافقه جيش مكون من (٧٠٠٠) مردوفة أي (١٤٠٠٠ رجل) فاحتلوا مقام الإمام الحسين خلال لحظات. قاومت الحامية بشدة ولكن كان عليها الخضوع للقوة، مما أتاح للوهابيين الدخول إلى المقام المقدس.. وكان يقينهم بأن عملهم يرضي الله ويدفعهم للتشوق إلى الدماء. لم يعف عن الرجال ولا عن النساء والأطفال، ولم ينج إلا من أستطاع تفادي النقمة بالهرب[٤].

---

(١) دوكورانسي، لويس: «الوهابيون»، دار رياض الريس للنشر، ط ١، بيروت ٢٠٠٣، ص ٢٦-٣٠.

والمؤلف هو مراسل وباحث معاصر للأحداث التي ذكرها في كتابه ومذكراته التي نشرها في جريدة (لومونيتور) في ٩ برومير من عام ١٣ الموافق ٣١/ تشرين الأول ١٨٠٤م ونقلته بعد ذلك جريدة «فرانكفورت» وغيرها من النشرات الدورية. وقد نقل بعض ما أورده عن جان ريمون كما ذكرنا في مقدمة هذه المقالة.

(٢) التي أسماها «الإمام الحسين».

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦ - ٢٧. وقد ذكر في الهامش تعليق من قبل مترجمي الكتاب المنتمين للمؤسسة الوهابية الحاكمة أن رواية قتل الجميع دون تمييز غير صادقة. مع أن =

وبعد أن توقفت المجزرة، فكر البعض في الإستيلاء على الكنوز الضخمة.. وظن البعض الآخر أن قبة المسجد مغطاة بصفائح الذهب، فأخذوا ينتزعونها حتى تبين لهم أنها صفائح من النحاس مطلية بالذهب، فتركوا ما تبقى منها.

ولدى وصول الخبر إلى سليمان باشا (والي بغداد) قام بإرسال الكيخيا (قائد الجيش) بسرعة كبيرة من الفرسان لمكافحة أفعال اللصوصية هذه. وباشر علي باشا المهمة على الفور، ولكن استحال عليه إدراك الوهابيين، إذ لم يدم حصار المدينة والإستيلاء عليها سوى خمس ساعات، تم خلالها إغتيال من أرسله سوء طالعه بطريقهم، كما تم تجريد مقام الإمام الحسين من كنوزه، فحملوا هذه الكنوز الثمينة على إبلهم وأختفوا)[١].

ويستفيض دوكورانسي بالحديث عن مقام الإمام الحسين الذي أقيم عليه مسجد كبير (زاد في تزيينه الشاه عباس ونادرشاه.. وامتلأ بالهدايا الثمينة)[٢].. وذكر في حديثه أن كربلاء (ليست كبيرة وتضم مابين سبعة آلاف وثمانية آلاف ساكن، ويحكمها متسلم يعينه باشا بغداد سنوياً)[٣].

= تاريخ الغزوات الوهابية في الجزيرة (في نجد والحجاز والإحساء والطائف) وفي العراق وغيرها يؤكد ذلك، حيث أبادوا جميع من طالته سيوفهم، دون تفريق بين مقاتل أو مسالم أو شيخ أو إمرأة أو طفل..

(١) المصدر السابق، ص٢٦ و٢٧.

(٢) وقد أنكر هؤلاء المترجمون مسألة الإبادة هذه وادعوا أن الرواية غير صادقة، وأنها تستهدف النيل من سمعة الوهابيين (وأن الأوامر التي كانت تصدر عن عبدالعزيز وعن سعود وغيرهما برفع السيف عمن لم يبلغ الحلم وعن كل إمرأة وشيخ مسن) ص٨١ وكأن كل من بلغ الحلم كان محارباً يستطيع الصمود بوجه الغزاة الشرسين وكان يرفع سيفه بوجوههم؛ وإلا كيف لم يُقتل من المهاجمين أحد؟ ان ما كان مدعاة للتفاخر بالأمس يحتاج الوهابيون إلى التنصل منه وإنكاره اليوم.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٧- ٨٠.

ويصف الواقعة باختلاف طفيف عما ذكره (جان ريمون)، فيذكر أن (عبدالعزيز قد انتظر حلول موعد العيد لمحاولة الاستيلاء على البلدة، وقام بتنفيذ خطته في ٢ نيسان ١٨٠١م، وكان ذلك اليوم يوم الحج (الزيارة) إلى مقام علي، فكانت البلدة شبه مقفرة. وفجاة ظهرت ستة آلاف ناقة يمتطيها إثنا عشر ألفاً من الوهابيين الذين قضوا بسهولة على المقاومة التي واجهتهم. وقد (أثارتهم المقاومة) فعمدوا إلى القتل بدون تمييز، حتى إنهم بقروا بطون النساء الحوامل لكي لا يبقوا على أي ذكر في البلدة.

وقد قيل أن عدد الضحايا في ذلك اليوم بلغ الثلاثة آلاف. وكانت الأسلاب هامة لدرجة كبيرة. وكان قبر الإمام مغطّى بسجادة مطعمة بالمجوهرات وبعضها نادرة الحجم، فأصبح هذا الكنز وغيره من الكنوز الواردة من فارس غنيمة للوهابيين. وهدموا المسجد والمآذن، كما جردوا القبّة من صفائح النحاس والذّهب الذي اعتقدوه من الذهب الخالص، وأنهى عبدالعزيز الحملة بتلك المغانم الضخمة من دون أن يخسر رجلاً واحداً من رجاله[١]، ومعنى ذلك أنه لم يكن بمقدور أحد من أهالي كربلاء حمل السلاح لمواجهة الجيش الغازي الذي اشتهر بقسوته.. ولم يكن هناك أي مبرّر لقتل أولئك العزّل بعد سلب الكنوز والممتلكات إلا أن يكونوا شيعة أهل البيت عليهم السلام. ولا تزال هذه (جريمة) قائمة بنظر الوهابين تتيح لهم قتل وإبادة هؤلاء الشيعة.. ولايزال مشروعهم بهذا الصدد قائماً يتفاخرون به ويسعون لتحقيقه على الدوام.

ويحدثنا مؤرخ آخر[٢] عن بشاعة الأعمال الإجرامية التي قام بها «سعود»

---

(١) المصدر السابق. وربما يقصد بعبد العزيز إبنه سعود الذي كان هو قائد تلك العملية.

(٢) وهو عثمان بن سند البصري. راجع «مطالع السعود بأخبار الوالي داود»، ص٢٨. وهذا المؤرخ نجدي من قبيلة «عُنِزة» توفي عام ١٨٢٦م. وكتابه مصدر مهم تحدث فيه عن غارات آل سعود على الإحساء وأطراف العراق.

وجيشه في كربلاء، فعندما دخلتها القوات المسلّحة والمدرّبة لهذا الجيش الذي قَدِم أصلاً للإستيلاء عليها ونهب كنوزها (أمر سعود بهدم ما بها من قباب ومشاهد، وهدم القبة الموضوعة على قبر الحسين، وقتلت القوات السعودية غالب أهل المدينة في الأسواق والبيوت دون تمييز بين كبير أو صغير).

ويبدو أن سعود خطط لحملة خاطفة يستطيع بها في لحظات قليلة لا تتجاوز بضع ساعات من تحقيق مجزرته ونهب كل كنوز المدينة والفرار، قبل أن تلاحقه قوات والي بغداد. وهكذا خرجت القوات السعودية بعد ذلك من المدينة بسرعة عائدة إلى الدرعية مباشرة[١].

○ ○ ○

ولعل أحلامهم التي تحققت بعد غزوة كربلاء ظلت تتصاعد لتحقيق المزيد من الثروات الأسطورية، وظل بريق تلك الثروات دافعاً لغزوات أخرى لم تحقق ما حققته تلك الغزوة الأولى.

وقد تواصلت الهجمات السعودية على قرى ومدن العراق في السنين اللاحقة وكان أقساها مداهمة الزبير والبصرة، وهدم جميع القباب والمشاهد التي في الزبير بالإضافة إلى هدمها لقصر الدريهمية[٢].

وقد حاولت القوات السعودية مداهمة كربلاء للمرة الثانية سنة ١٨٠٨م إلا أنها لم تتمكن من دخولها نظراً لإحكام تحصينها وتسويرها[٣]. وظلت القوات

---

(١) كركوكلي، الشيخ رسول: «دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء»، ترجمة موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٥م. ص٢١٧.

(٢) العزاوي، عباس: «تاريخ العراق بين احتلالين»، بغداد ١٩٥٩م، ج٦، ص١٦٠.

(٣) بن بُشر، عثمان: «تاريخ نجد»، ص١٤٢. وقد تحدث بفخر متباهياً عن محاولة احتلال كربلاء ثانية رغم فشلها (ورغم أنه أخذها عنوة قبل ذلك) ثم هجومهم على بعض المدن الأخرى؛ وقتل العديد من أهلها وسلبت ثرواتها.

السعودية تقوم بحملات سنوية مستمرة على العراق، وتمكنت في إحدى الغزوات من عبور نهر الفرات إلى الشامية، ووصلت بلاد الزبير، وتعاظم الخطر السعودي في عهد سليمان باشا حتى أن الرعب والهلع استوليا على أهل بغداد نفسها، وتسلح كل صاحب دكان أو متجر استعداداً لمجابهة هذا الخطر[١] وتمكن عبد الله بن سعود فعلاً في إحدى الغزوات من الوصول إلى قرب بغداد وهدّدها مباشرة[٢].

○○○

لم يستطع الكتّاب الموالون لدولة آل سعود الوهابية تغطية جرائم الإبادة التي قام بها سعود والتستر عليها. وكانوا بدلاً من ذلك يتباهون بها كما فعل ابن بشر والفقي وغيرهما.

فقد ذكر صاحب (لمع الشهاب)[٣]، عند حديثه عن سعود بن عبدالعزيز (أنه ركب بغزو عظيم يبلغ عدده عشرين ألفاً، وغزوا مشهد الحسين ﷺ، فدخل كربلاء، ولم يكن لها يومئذٍ سور. فقتل هناك قتلاً ذريعاً، وهدم طرفاً من قبة الحسين ﷺ، وأخذ خزائن كثيرة كانت هناك من الذهب والجواهر النفسية. قيل أنه أخذ مقدار ستة مائة ألف ريال، وقتل مقدار ثلاثة آلاف نفس من ذكر وأنثى وكبير وصغير. وبقي هناك يوماً واحداً لاغير). وقد ذكرنا بعض التفاصيل التي تحدث عنها هذا المؤلف الموالي للدولة السعودية؛ بدافع الفخر والإعتزاز بما قامت به القوات الوهابيّة الضاربة.

○○○

(١) العزاوي، عباس: «تاريخ العراق بين احتلالين»، ص ٦ - ١٦٢.
(٢) المصدر السابق، ص ١٦٣.
(٣) المؤلف مجهول: «لَمْعُ الشهاب»، تحقيق د. مصطفى أبو حاكمة، بيروت ١٩٦٧م، ص ٨.

إن القوات السعودية المسلحة بأيدلوجيا تبيح إبادة الآخرين وسحقهم بمختلف الذرائع، والمتمرسة بفنون القتال في أكثر المناطق المجدبة والقاسية في صحراء نجد وغيرها، استطاعت أنْ تحقّق قدراً هائلاً من (التفوق العسكري) على العزّل والضعفاء من سكان كربلاء الراكنين إلى قباب وضريح الإمام الحسين، والذين لم يحسبوا أن أحداً سيقتحم بلدتهم المقدسة بتلك الطريقة العنيفة المروعة. ولو كان الوهابيون حريصين على نشر أدبيات مذهبهم لعمدوا إلى وسائل التثقيف العادية بدلاً من حملة الإبادة الوحشية؛ الغير المبرّرة بأية ذريعة أو حجّة.

ولا بد عند ذكر تفاصيل الحدث التعرض للمسكوت عنه، فهل هو أمر تافه لاقيمة له طرأ في غمار الأحداث ومرّ دون أثر يذكر؟ وهل أن الإمام الحسين عليه السلام ومحبيّه وشيعته مشاريع إبادة دائمية حتى وإن ولّت الدولة الأموية والدول الأولى...

لقد دقت مذبحة كربلاء المسمار الأخير في نعش الدولة الوهابية كما فعلت المذبحة الأولى في نعش الدولة الأموية.. وأصبحت (الوهابية) رديفاً للعنف والإبادة والنهب المسلح، ولم تعد تصلح غطاء دينياً يقنع الناس بصحتها وصلاحها، وادّعاء حرصها على تنقية الإسلام من شوائب الشرك والإنحراف، بل أثبتت أنها أشد الحركات إنحرافاً وعنفاً على مر التاريخ الإسلامي.

ان هذه الحركة التي قامت بعد إتفاق الشيخين، شيخ الدين محمد بن عبدالوهاب المنبوذ المطارد وشيخ القبيلة المغمور محمد بن سعود في منتصف القرن الثامن عشر، وفّرت غطاء دينياً لمشروع توسعي طموح على شبه الجزيرة العربية وأطرافها.

ولم يكن هذا المشروع في كل مراحله أخلاقياً أو إصلاحياً تنويرياً. كما

ادّعى قادته، وإنما اتخذ الدين ذريعة للقيام بأشد الحملات وحشيّة ضد الناس العزّل من الرجال والنساء والأطفال وغيرهم.. ولم تنجُ من وحشيتهم حتى الآثار الإسلامية الجميلة التي تشد المسلمين لماضيهم ورموزهم بل لم تنجُ حتى المدن والمزارع.

وقد وجدُ على الدوام من يبرر القسوة المفرطة والإرهاب والعنف. وهو أمر طبيعي، فكما يندفع المقاتل بوحشية لتحقيق هدفه وهو يحسب أنه يحقق هدفاً دينياً مقدساً يجمع فيه بين خير الدنيا والآخرة، يندفع المرتزقة من الكتّاب ورجال الدين لتبرير تلك الوحشية والتحدث عنها بفخر وتبجيل؛ كما يتحدثون عن أعمال الأنبياء والقدّيسين.

لقد حمل أولئك الكتاب والمنظّرون الدينيّون إرث الغزو العنيف والمتخلف، ودفعوا المقاتلين البدو في أتون معارك دائمية، وأسالوا لعابهم على بساتين المنّ والسلوى والحدائق والأنهار والذهب في العراق والإحساء وبلاد الشام، وغيرها من المناطق المجاورة لمعقلهم الموحش المجدب[1]. ولعل التاريخ والقادم من الأحداث كفيل بفضح هذا الخط المتعصب؛ الذي يبيح لنفسه كل شيء.

(١) لقد ذكر (بردجز) أن العراق آنذاك كان أكثر رخاء من غيره من بعض الممالك الأوربية، وأبدى دهشته مما ذكره (بوركهارت) عن سوء أحوال العراق الإقتصادية. راجع الرحيم، عبد الرحيم عبد الرحمن: «الدولة السعودية الأولى»، ص٢٠٠ و٢٠١.

الفصل الخامس

تفنيد الذرائع الدينية لنسف الآثار الإسلامية
أحاديث مزوّرة وفهم خاطئ

الفصل الخامس

تفنيد الذرائع الدينية لنسف الآثار الإسلامية
أحاديث مزوّرة وفهم خاطئ

ـ ١ ـ

إتكأ الوهابيون على مزاعم (أبي الهيّاج) بخصوص ما امره به الإمام علي بضرورة تسوية القبور مما ذكرناه في الفصل الثالث، وكذلك على أحاديث أخرى في ذلك الفصل. وقد استفاضت دراسات عديدية لتفنيد تلك الاحاديث المزوّرة وهي دراسات حديثية موضوعية رصينة، قام بها علماء متخصصون من مختلف المذاهب الإسلامية، من شأنها إقناع المسلمين وغيرهم بأنّ مسالة القبور مفتعلة، عدا الوهابيّن أصحاب مشروع نسف القبور الذي جعلوه وسيلة لمشروع أوسع وهو تدمير آثار الدعوة النبوية ومسيرتها، ونسف تاريخ المسلمين ورميه في سلة المهملات وتحويله إلى أسطورة كما هو أعتقاد البعض بخصوص السيد المسيح، لعدم وجود دليل على مكان مولده وسكنه وأماكن تواجده والكلام الذي أنزل عليه، ولا المدونات التي كتبت بعده من (الاناجيل) التي تناقض بعضها في كثير من الاحيان،رغم حقيقة هذا الوجود الذي يستدل عليه من القران الكريم، الوثيقة العظمى التي حافظ عليها المسلمون من الضياع خلال أكثر من ألف أربعمائة ألف عام بإرادة الهية عليا. لإنعدام الصلة بين الحديث بخصوص المقابر والمقصود منه، ولعدم اتفاق علماء الحديث على

الوثوق بمن دونه أمثال وكيع وسفيان الثوري وحبيب بن أبي ثابت والوائل الأسدي ولوجود مطاعن حقيقية فيهم وفي بقية الاحاديث التي رووها، فان الاستناد إليها وأصدار الفتوى على اساسها يسبب إشكالات عديدة. فلا يمكن تمرير أي حديث يكون هؤلاء حلقات وفي سلسلة رواته[١]. ليس من المعقول أن تبني دعائم التشريعات على أقوال كذّابين مدلّسين غير ثّقاة.

لقد كان بإمكان ابن تيميّة ذي النظرة الانتقائية التي تقوم على الهوى والتعصب، والذي أسسّ مناهج للنصب والكراهية أخذ بها آخرون مثل وابن القيم، ابن عبد الوهاب فيما بعد، أن لا ينزلق إلى الأخذ عن الوضّاعين والمدلّسين لو أن حديثهم لم يجد لديه هوى أو ميلاً لم يوافق مزاجه وعواطفه. غير أن ما اوردوه جاء مصمّماً وفق ذلك المزاج الذي انتهج العداوة لأهل بيت

(١) فقد انتقدهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب تهذيب التهذيب، فقال عن الوكيع نقلاً عن الإمام أحمد بن جنبل أنه أخطأ في خمسمائة حديث (تهذيب التهذيب) ج ١١ ص١٢٥. ونقل عن محمد بن نصر المروزي عنه انه يحدّث بالمعنى (أي انه لا يلتزم بالنص) ولم يكن من أهل اللسان، المصدر السابق ١١- ص ١٣٠. وعن سفيان الثوري يقول نقلاً عن مبارك، (حدّث سفيان بحديث فجئته وهو يدّلسه فلما رآني استحيى). نفس المصدر ٤- ١١٥ والتدليس (الكذب) دليل على فقدان المدّلس صنعه العدل أو الصدق وإظهار غير الواقع واقعاً. وعن سفيان يقول «يحيى القطان» في ترجمته انه حاول ان يظهر لي الرجل غير الموثوق كأنه رجل موثوق فيه ولكنه لم يفلح. المصدر السابق ج ١١ ص٢١٨) وعن حبيب ابن أبي ثابت كتب العسقلاني نقلاً عن أبي حبان قوله: ان حبيب بن أبي ثابت كان مدلّساً وكتب نقلاً عن عطاء: لا يعوّل عليه وليست محفوظة. المصدر السابق ٣- ١٧٩، أما بالنسبة لأبي وائل فمعلوم عنه أنه كان من النواصب ومن المنحرفين عن علي عليه السلام، كما أنّه من المعلوم ان راوي حديث أبي الهّياج ليس له حديث وكل الصحاح الستة إلا هذا الحديث؛ يراجع كتاب: مع الوهابيّين في خططهم وعقائدهم، جعفر السبحاني/ مؤسسة الفكر الإسلامي - طهران ١٤٠٦ هـ ط ١ ص ٢١- ٣٢م يراجع مؤلف كتاب: الوهابية في الميزان - مؤسسة النشر الإسلامي ط ٥ ص ٧٧ وما بعدها؛ وكتاب كشف الارتياب ص ٢٩٢ وما بعدها.

النبي ﷺ كما هو واضح، وكأن الإسلام هو الذي أرسى ذلك المنهج وأوصى بعداوتهم لا مودّتهم. ولو أن المسلمين كانوا يقصدون ويتبركون ويتشفعون ويتوسلون بقبور آل أبي سفيان وآل مروان وأشباههم لوجدناه داعية لتعمير تلك القبور، غير أن المسلمين قصدوا أضرحة وقبور من أُمروا بمحبتهم وموالاتهم، وهم النبي وأهل بيته لأن التشفع والتوسل بمعاوية ويزيد وآل مروان؛ سيبدو كمزحة ثقيلة لن يتقبلها أحد مهما كان موقفه منهم، فكان ذلك مدعاة لحزنه وانزعاجه ودعوته لنسف تلك الاضرحة والقبور والعمائر والآثار التي تشير لمسيرتهم الحافلة في خدمة الإسلام. ولعل عمل المدلّسين الكذابين الذين وضعوا أحاديث زائفة نسبوها إلى رسول الله ﷺ كان احدى الكوارث التي ألحقت بالإسلام لو لم يتصدّ بعض العلماء لكشف أكاذبيهم. ومع ذلك فاننا نرى من يتعامل معهم بتساهل ولا يحسم أمرهم أو يسقطهم من رواة الاحاديث بحجة ان ذلك سيحجب عنا (الأحاديث النبوية)، ونتساءل: حتى ولكانت كاذبة أو موضوعة وغير حقيقية؟ يكون الجواب القاطع: نعم حتى ولو لكانت كذلك. السبب الحقيقي لعدم إهمالهم أو اسقاطهم يعود بنظرنا إلى الاستفادة من عموم أحاديثهم المتميزة لتمرير انحراف أغلب دول الظلم التاريخية عن الإسلام[1].

(١) وبخصوص الرواة الآخرين للأحاديث المزورة المنسوبة للرسول ﷺ التي أوردناها في الفصل الثالث ورد فيها إسما ابن جريح (عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريح الأموي) وأبي الزبير (محمد بن مسلم الأسدي). فقد سئل يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريح فقال: ضعيف فقيل له: إنه يقول: أخبرني قال: لا شيء. كلّه ضعيف. تهذيب التهذيب - العسقلاني ٦/ ٤٠٦، وقال عنه أحمد بن حنبل: إذا قال ابن جريح قال فلان قال فلان؛ وأُخبرتُ، جاء بمناكير أي ان احاديثه منكره مجهولة أو أنها منكرات - المصدر السابق. وقال مالك ابن أنس: كان ابن جريح حاطب ليل، نفس المصدر ٦/ ٤٠٤، أي كجامع الحطب في الليل لا يرى ما يجمع، ويضرب به المثل لمن يجمع كل شيء؛ لا يميّز الجيد من الرديء. =

إن المهزلة الكبرى تَمثلُ الآن أمام انظار المسلمين والعالم عندما تشحن أذهان المنتسبين للخّط الوهابي الذي يدّعي تمثيل السلفية وأهل السنة عموماً بأكاذيب تقوم عليها فتاوى تكفر الجميع لأنهم اهتموا بمراقد وأضرحة رموزهم الكبيرة التي قادت مسيرتهم بأخلاص وأمانة طوال مئات السنين، وعندما تقوم جهات منتمية لهذا الخط - التكفيري - بارتكاب أفظع الجرائم التي تهدد وحدة المسلمين وأمنهم استنادا لمثل هذه الأحاديث الواهية، التي لا سند لها ولا أصل فهذه ليست مسألة هامشية بسيطة لا تلامس حياة الناس أو عقائدهم أو المودة التي أمروا بها تجاه اقرب الرموز المقدسة لهم، وإنما مسالة جوهرية يختزنها العقل المسلم انطلاقاً من عقليته ونظرته التي تؤمن بعالمي الغيب الشهادة.

○○○

= وقال الدارقطني: تجنّب تدليس ابن جريح فانه قبيح التدليس، لا يدلّس إلا فيما سمعه من مجروح. وقال ابن حبّان: كان ابن جريح يدلّس في الحديث (تهذيب التهذيب) ٦/ ٤٠٢-٥٠٤ طبقة دار المعارف النظامية. ويذكر ابن حجر أقوال علماء الرجال في بطل التدليس الآخر (أبو الزبير) فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أحمد عن أيّوب إنه كان يعتبر أبا الزبير ضعيف الرواية، وعن شعبة أنّ أبا الزبير ما كان يحسن الصلاة، وعن شعبة أيضاً انه قال: (لم يكن في الدنيا أحبّ إليّ من رجل يقدم فأسأله عن أبي الزبير، فقدِمتُ مكة فسمعت منه، فبينا أنا جالس عنده إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة، فردّ عليه فافترى عليه فقلت: يا أبا الزبير تفتري على رجل مسلم؟ قال: إنّه أغضبني قلت: من يغضبك تفتري عليه؟ لا رويت عنك شيئاً).

وعن ورقاء قال: قلت لشعبة: مالك تركت حديث أبي الزبير؟ قال: رأيته يَزِنُ ويسترجع في الميزان. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن أبي الزبير فقال: يكتب حديثه لا يحتجّ به.

قال: وسألت أبا زرعة عن أبي الزبير فقال: يروي عنه الناس قلت: يُحتجّ بحديثه؟ قال: انما يُحتجُّ بحديث الثقات [كناية عن انه ليس بثقة] تهذيب التهذيب في ترجمة أبي الزبير.

عن/ الشيخ سبحاني - الوهابية في الميزان ص ٩٠ - ٩٢ علماً ان في سند الحديث رواة آخرين ضعافاً إضافة لجريح وأبي الزبير؛ مثل عبد الرحمن بن أسود المتهم بالكذب الوضع.

وعلى فرض صحة هذه الأحاديث، وهذا أمر غير محتمل على الاطلاق لضعف سندها كما اوضحنا، فإن دلالة الفاظها (مُشرفا. . .سوّيته) لا تعني ما ذهب إليه ابن تيمية ومن تابعه. . فلفظ التسوية لم تأت في اللغة بمعنى الهدم والتدمير، إلّا لقال له: . ((ولا قبراً إلا سوّيته بالأرض)). .

فـ(سوّيته) جعلته متساوياً وقوّمت اعوجاجه وجعلته سوياً. وقد جاء في القران الكريم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[1] ولو أن الأمر كان بالهدم فلماذا خالف فقهاء، وعلماء الإسلام ذلك قبل ابن تيمية بمئات السنين وهم أقرب إلى مرحلة صدر الإسلام، وخالفه كل جمهور العلماء المعاصرين له والمتأخرين عنه؟ ولماذا لم تنص فتاوى أئمة المذاهب الاربعة على منع ذلك بل بالدعوة إلى ان يكون ارتفاع التراب فوق القبر بقدر شبر[2]. ألعلهم لم يفهموا ما فهمه الفقيه المتأخر، أو أنهم كانوا مشركين أيضاً كحال بقية العوام من المسلمين؟

لقد حفل تأريخنا بعلماء ومحدثين وباحثين أفنوا أعمارهم بالدراسة والتنقيب والتدقيق والفحص؛ وكانوا يتورعون عن الشبهات والكذب والتدليس، فكيف اغفلوا الذي انتبه إليه ابن تيمية وحده وتلميذه (**بالمراسلة**) ابن عبد الوهاب. . فهل أنّ هذين اتسما بورع اضافي أو ذكاء استثنائي لا يتاح إلا للأنبياء أو الاوصياء. أو أن ما بعثه محمد بن عبد الوهاب من تحت الركام وجد صداه القوي لدى اعراب نجد الفارغين من العلم والثقافة؛ فرأوا فيه ما يوافق عقولهم الساذجة؟. أدبيات الفكر الوهابي المتسمة بالعنف والتكفير والقطيعة تجيب عن هذا التساؤل بوضوح، لنجد أنها السبب الحقيقي وراء خطواته وآرائه الجريئة التي ما كان ليصرّح أو يقوم بها لولا القبول الكبير الذي وجده في أوساط هؤلاء.

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ٢.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٢٠ - راجع الشيخ سبحاني ص ٨٠ - ٨١.

لقد جعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب مسالة بناء المساجد أو الاضرحة على القبور وزيارتها والتوسل إلى الله ببعض الرموز العظيمة التي تضمنها والتشفع بهم، حتى لو لكان التوسل به والشفيع هو رسول الله ﷺ فيصلاً بين الشرك والايمان. وخلق حساسية واضحة لدى أتباعه من هذه المسألة، ويبدوا أن التمويه المصطنع الذي لجأ إليه أولاً بخصوص توحيد الربوبيّة وتوحيد الالوهية واستعمال آيات نزلت في الكفار والمشركين ليكفّر بها أمة التوحيد، قد انطلى على أولئك الاتباع الذين لم يتوقفوا لتدّبر التفسير الكيفي للقرآن الذي كان يلجأ إليه بسبب تدنّي مستواهم المعرفي الثقافي، وأغلبيتهم الساحقة من البدو الذين لم يتعرفوا حتى على الابجدية اللغوية،كذلك بسبب اهتماهم بشخصه بعد أن وضع في دائرة الضوء وأصبح لهم أنصار ومعجبون وبعد أن أوشك على اقامة دولة جديدة في نجد وما حولها، وكان يكفي دليلاً بنظرهم على صحة منطلقات دعوته النجاح الباهر الذي حققه لإقامة تلك الدولة وارتفاع حصيلة الغزوات من الغنائم والأموال الاسطورية، كما تشدق بذلك صراحة ابن بشر (مؤرخ الدعوة الوهابية) وبعض من جاء بعده من المؤرخين وغيرهم.

○○○

ـــ ٢ ـــ

نحن نتحدث عن قضية (**إسلامية**) أريد لها ان تكون منطلقاً عقائدياً لممارسة خطيرة مثل الدعوة الآثار لتدمير الآثار الإسلامية، لا بد أن نستعمل أدوات اسلامية لعرض هذه القضية؛ عرضاً مقبولاً لدى الذين يدينون بالإسلام.

وبهذا الخصوص نتساءل:

هل ان اختلاف المسلمين - منذ أن وجد الإسلام - هو على اساسيات العقيدة أو على نص القرآن الكريم؟ والجواب، يأتيك من الجميع دون استثناء

إنهم متفقون جميعاً عليها ولا شبهه لأي منهم في أي آيّة منه؛ وأنهم مقروّن أنه منزّل على رسول الله ﷺ من لدن عليم خبير، هو الله.

فلماذا اختلافهم - إذن - ما داموا متفقين على التنزيل؟

ويأتيك الجواب هنا: إنهم اختلفوا على التأويل والشرح وفهموه فهماً مغايراً وفق ما استوعبته وأنتجته عقولهم ووفق ما شرحه علماؤهم وسطره محدّثوهم من أخبار وروايات وأحاديث عن رسول الله ﷺ. . فقد كانت الاحاديث مصدراً ثانياً للعقائد والتشريعات. وكان المحدّثون بشراً يخضع العديد منهم لمغريات الهوى والتعصب والمال وكذلك النسيان وعوامل الشيخوخة. . وربما رويَ عن العديد منهم وهم لم يعلموا بذلك أو ماتوا. . فهل كان بإمكان أبي هريرة أو ابن عباس بعد الموت أن يرّدا على أورد حديثاً كاذباً باسمهما؟ وإذا ما أضفنا إلى ذلك ان الحديث النبوي قد منعت روايته أو كتابته في الصدر الاول من الخلافة بأوامر صريحة من الخلفاء الأُول، وانه ظل كمنشورات سرية ممنوعة - في صدور الرجال إلى أن أتيحت الفرصة من يشاء بما يشاء عن صحابة ورواة مزعومين، ولتسخّر الدولة الأموية التي فتحت الأبواب لضخّ أحاديث من شأنها أن ترسخ كيانها وحكمها وتمنع ما لا يتوافق مع سياساتها ونهجهاً، علمنا سر التزوير في تلك الأحاديث والأختلاف بشأنها.

فلم تكن الدولة منذ عهد الخليفة الاول حريصة على رعاية **مؤسسة حديثية** تلتزم بالرواية والنقل حتى يستمر **(الحديث النبوي)** كالقرآن الكريم خاليا من أفات التزوير والكذب إذا أنّ أسلوبه (بشري) وليس (الهي) وقد يتاح تقليده ونشر كلام مشابه له أو حذف أو اضافة مايريده كل محدّث، بعد ما حجب فترة طويلة عن المسلمين بحجة احتمال تأثيره واختلاطه بالنصوص القرآنية مما قد

يسبب خلل في تلك النصوص، إذ قد يحسب المسلمون الحديث من القرآن القرآن من الحديث[١].

وإذ أنّ قداسة و«عصمة» قد منحت لمجموع المعاصرين لرسول الله ﷺ، بل حتى الذين لم يعيشوا معه ولم يروه، أو رآه بعضهم لفترة وجيزة لا تتجاوز دقائق، فإن من رووا عن هؤلاء ارادوا منذ البداية وضع خطوط حمراء أمام الشك باي حديث من أحاديثهم بحجة اننا إذا ما شككنا بأي (صحابي) فكيف ستتاح لنا فرصة نقل (الحديث) إلى الاجيال المقبلة من المسلمين، إذ أننا بذلك سنّضيع هذا الحديث برمته. أي أن حديث مكذوب غير موثق خير لنا من عدم وجود أي حديث.. وهذه حجة لا تصمد أمام أي منطق يتقبله العقل البشري. فهل ان الارادة التي حجبت الحديث عقوداً عديدة قد أرادت ان يظل كما هو بعيداً عن التزوير والتلفيق. أم أنها ارادت فسح المجال - فيما بعد لنسيان الأحاديث الصحيحة؛ وضخّ أحدايث كاذبة وملفقة وموضوعة ومدّلسة، كما اصبح الحال فعلاً؟

لقد فتح باب واسع لاختلاف المسلمين وتفرقهم بعد أن ساعدت دول

---

(١) وهي حجة لا تصمد أمام حقيقة النص القرآني الذي لم يستطع ولن يستطيع أحد تقليده أو الإتيان بمثله حتى الآن أو في المستقبل، وهذا أحد أسرار إعجازه. والمعلوم ان القرآن الكريم قد تحدى الجميع ان يقوموا بذلك وأخبرهم مسبقاً أنهم لن يقدروا عليه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣-١٤] ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ان التحدي القرآني لا يزال قائماً؛ وإلا فهل استطاع أو يستطيع أحد أن يأتي بسورة أو آية أو بمثل هذا القران.!

الخلافة اللاحقة على تمرير ما ارادت تمريره؛ وحجب ما يناقض وما لا ينسجم مع سياساتها وأهدافها. .

ورغم وجود مؤسسات متخصصة في علوم الدراية والحديث في أوقات لاحقة لتمحيص وتدقيق الأحاديث، فانّ ما مرّر من الأحاديث الكاذبة المزورة يبلغ حداً كبيراً. وهذا موضوع لن نستطرد فيه ولن نتحدث إلا في حدود البحث الذي نحن فيه. غير اننا نؤكد تزوير الحديث النبوي[١]، ووضع اعداد كبيرة منه وروايتها عن (صحابة) ربما ماتوا لم يرووها أصلاً، في ظروف مظلمة أوجدتها السلطات الحاكمة نفسها وشجعت عليها، جعلت الإسلام أدياناً لا ديناً واحداً كما ينبغي ان يكون، وأوجدت البيئة المناسبة لظهور فرق ومذاهب وتيارات مختلفة إلى يومنا هذا. وكان العمل بالرأي والقياس والاجتهاد غير المنضبط وغير المؤطر بشروط وأسس من العلم والتبحر والادراك القائم على معرفة حقيقية بالإسلام وتصوراته، بل المقترن بمصالح الفئات الحاكمة والمتنفذّة وحواشيها وأنصاراها أكبر أسباب الخلل التي أدت إلى الانحراف التزوير.

○ ○ ○

إن الامثلة التي أوردناها في بداية هذا الفصل عن محدثّين اشتهروا بالتزوير والكذب والتدليس، دعت فئات واسعة من علماء المسلمين إلى اللجوء إلى علوم مستحدثة في (الدراية) و(الرجال) و(الجرح) و(التعديل) بعد

(١) ولذلك وردت اخبار وروايات متناقضة عن النبي ﷺ حتى في حياته، وقد نبه هو ﷺ إلى كثرة الكذّابة عليه وحذّر من ذلك بقوله: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. مع ذلك فلم يرتدع الكذابون الوّضاعون تقرباً إلى حكام وملوك وسلالات الانحراف، التي استحوذت على مقدرات المسلمين وثرواتهم، وظلت مكانة بعضهم راسخة كمحدثين ثقاة بنظر الناس بفعل دعم أعلامي لم ينقطع طيلة العصور الإسلامية المتعاقبة.

الفوضى التي نجمت عن بث عشرات الالوف من الاحاديث المفتراة المكذوبة على رسول الله ﷺ.

ولو أن موضوع البحث هنا هو التزوير والاختلاق في الاحاديث لعرضنا هنا أمورا عجيبة عن (**محدثين**) امتهنوا التزوير والكذب، وقد حفلت مدوّناتنا وكتبنا التراثية بقصص تفوق تصوراتنا العادية عن الاساليب الغريبة التي لجأ إليها هؤلاء عامدين لتمرير أكاذيبهم وتلفيقاتهم مما جعل الدين يبدو وكأنه أسطورة مكرسة لخدمة الطغاة وسلالات حكم الاستبداد أو كأنه نسخة من دين بدائي لا يلامس إلا الجوانب الحسية أو الطفولية الخرافية التي آمن بها إنسان ما قبل الأديان.

إن كتباً وموسوعات و(**صحاحاً**) حديثية أصبحت لها قداسة لا تقل إلا بقليل عن قداسة القرآن الكريم. قد اغترفت منها (**أحاديث**) تلائم أمزجة من كرسوا أنفسهم لخدمة أهداف خاصة أو الدّين انحازوا إلى مواقف لم يريدوا التحول عنها.

○○○

ولو أننا عرضنا الحجج التي استندنا إليها بخصوص ما روي عن (أبي الهياج)، ورأي علماء الحديث برواة أمثال (ابن جريح) و(أبي الزبير) و(الوكيع) و(سفيان الثوري) و(حبيب بن أبي ثابت) و(أبي وائل) وأوردنا كل ما قيل بشأنهم وشأن امثالهم من الكذابين المدلسّين وعرضناها على من قرروا الإلتزام بالنهج الوهابي الذي حسم مسألة القبور والقباب والاضرحة والآثار الإسلامية استناداً إلى نقلهم، وطلبنا منهم التحقق والنظر والتدقيق والاطلاع على آراء الاساتذة المتخصصين بالحديث، وهم من المذاهب الإسلامية المختلفة، لرأينا على الأغلب إعراضاً عن الاستجابة وإصراراً على تبنّي مواقف أشياخهم الاسلاف حتى وأن كانوا مخطئين، لن نجد استجابة لفهم

دوافعهم الحقيقية وراء اتخاذ المواقف التي اتخذوها، وهو ما تحدثنا عن جانب منه وسنتحدث عن الجوانب الاخرى فيما بعد، فلهم - كما قلنا - كسلف صالح، مكانة راسخة في النفوس إضافة إلى ان العديد قد كوّن قناعات راسخة أخرى عزّزت قناعاته السابقة بسلامة نهج اولئك الاشياخ؛ الذين اصبحوا معصومين وعدول بنظره.

إذا ما أضفنا إلى ذلك قيام المؤسسات الوهابية المقتدرة ماليا وإعلامياً بضخ الفكر التكفيري في أدمغة ملايين المسلمين في شتى أنحاء العالم عبر أكبر منظومات (خيريّة) وإعلامية متطورة مستغلة حاجتهم إلى رغيف خبز أو صحن شوربة، بأساليب تلقينية نسقيّة مكرورة تلّح على زرع المعلومة وترديدها لتصبح كحقيقة في تلك الاذهان المفرغة التي عاشت أجواء حياة فقيرة لم تتح لها تلقي أي علم أو معرفة كما هو الحال في جماعات واسعة في شبه الجزيرة أو الباكستان أو أفغانستان أو غيرها؛ أدركنا سر قبول تلك الاحاديث كنصوص صادقة مقدسة لها مصداقية النصوص القرآنية نفسها.

○ ○ ○

ـــ ٣ ـــ

هناك مبدأ فقهي التزم به الوهابيون وهو الأخذ بالمحرّم حتى وإن تعارض مع الواجب (مثل أخذ المكوس «الضريبة» من قبل الحاكم). . فهو يعتبر بنظرهم محرماً، أما الواجب فهو أن لا يفعل ذلك. . غير أنه إذا فعل وأخذ المكوس فعليهم أن يسكتوا ولا يخرجوا عن طاعته لأن جمع الكلمة أهم من أخذ المكوس رغم انه مفسدة. إذ ان هناك مفسدة أعظم ستترتب على شق عصا الطاعة وأخطر من المفسدة الأقل ضرراً وهي أخذ المكوس من الناس

بالإكراه[١] . . . وكذلك كان موقفهم تجاه الملك عبدالعزيز آل سعود بالنسبة

---

(١) المتغلّب «الحاكم» يصبح ولي الأمر إذا مابويع قبل غيره من الناس ولو من قبل شخص واحد. ان الادبيات الوهابية تدعو لذلك انطلاقاً من رؤيتها المناصرة للحكام المتغلبين بحد السيف إذ اعتبرتهم أولياء الامور الشرعيين الذين ينبغي إطاعتهم حتى وان كانوا ظالمين أو جائرين أو مفسدين، لأن مقاومتهم ومنعهم من الظلم يسبب فساداً ودماراً وفتناً حسب زعمهم. وقد اسندوا رؤيتهم المضللة إلى أحاديث مزورة وكاذبة نسبت إلى رسول الله ﷺ لإضفاء الشرعية على نظام الحكم السعودي القائم. ومن هذه الاحاديث:

(يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنْسٍ. قال [الراوي] قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع. من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنّه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية. . . شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، لا تنزعوا يداً من طاعته. .) صحيح مسلم عن ميزان الحكمة ج ١ ص ١٦٥ (. . من يطع الامير فقد أطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني.

عليك السمع الطاعة في عسرك ويسرك ومَنشطك ومَكرهك وأثَرَةٍ عليك. .

. . لا تكفّروا أهل ملّتكم وإن عملوا الكبائر، وصلّوا خلف كلّ إمام، وصلّوا على كل ميّت، وجاهدوا مع كل أمير. الجهاد واجب عليكم مع أمير، بَرّاً كان أو فاجراً وإن هو عمل الكبائر، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم براً كان أو فاجراً وإن هو عمل الكبائر. . انها ستكون بعدي أثره وأمور تنكرونها. قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم. صحيح مسلم، كنز العمال؛ سنن أبي داوود عن ميزان الحكمة ١- ١٦٤

مع أن رسول الله ﷺ صرّح بشكل قاطع بأنه: لا طاعة لمن لم يطع الله (كنز العمال - عن ميزان الحكمة ١- ١٦٦).

عن الإمام علي: احذروا على دينكم ثلاثة: . . . رجلاً أتاه الله عزوجلّ سلطانا فزعم أن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، وكذب، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر وإنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم.

وعن الرسول ﷺ: يا علي: أربعة من قواصم الظهر. . (إمام يعصي الله ويُطاع أمره. .) شرح نهج البلاغة - كنز العمال؛ الخصال؛ عن ميزان الحكمة ١- ١٦٦.

للتبغ، والمكروفون والراديو واللاسلكي وغيرها إذ يعتبرونها محرمة يجب تركها، غير انهم ركعوا أمام إرداة الملك بإباحتها واستعمالها وأخذ الضريبة عنها باعتبار انه ولي أمر واجب الطاعة، وهذا ما يناقض صرامتهم وادعاءاتهم بعدم التساهل المداراة على حساب الدين كما انه يناقض المبادئ الإسلامية التي أشرنا إليها في ذيل الهامش السباق.

والواقع ان الرسول ﷺ لم يكتف بحثّ المسلمين على عدم طاعة السلطان والحاكم الجائر والظالم، وإنما بمقارعته ومقاومته حتى وإن أوذوا أو قتلوا، وهناك أحاديث عديدة وردت بهذا الشأن. إن ما يهمنا قوله هنا هو إنهم استُخدموا مطية لتنفيذ أهداف أشخاص طموحين أرادوا الوصول للسلطة والتمتع بامتيازاتها وإقامة عروش شبيهة بعروش الخلافة الأموية والعباسية المستبدة يتربع على دستها (**ولي الأمر المزيف**)[1] الذي يجب أن يطاع وإن عمل الكبائر وكان فاجراً يبغضهم ويبغضونه يلعنهم ويلعنونه وضرب ظهورهم وأخذ أموالهم ورأوا منه ما يكرهون. فطاعة هذا (الولي!) هي طاعة لرسول الله ﷺ وعصيانه عصيان للرسول، ولتبرير ذلك قيل من فارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. . لابد ان الجماعة هنا هي جماعة الأمير أو الملك الخليفة؛ لا الجماعة المتلزمة **بخط الرسول** ﷺ.

مع ان هذا الامير ممّن (لا يهتدون بهداي لا يستنّون بسنّتي؛ وفيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين) وقد اتخذوا إلههم هواهم.

اترى ان الإسلام كان مصنعا لانتاج الهة الاستبداد، وهل أنّ الرسول كان يبشر بهؤلاء الحكام الذين ينتمون للشياطين الفجرة والذين يبغضون الجميع؟ فأين الإسلام إذن؟ وأين دعوة القرآن للعدالة والمساواة والمحبة؟ وأين ذهبت

---

(١) ان ولي الامر هو النبي ﷺ أو من ينصبّه بعده خليفة فتجب إطاعة أوامره ونواهيه، ومن هنا قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

حياة الرسول التي كانت تشّع مودة ورأفة أرادها أن تنتشر بين المسلمين وان يحب بعضهم بعضاً؟ ألا يناقض ذلك الدعوة المزعومة لطاعة ولاة الجور الشياطين الفجرة؟ وهل السبب هو الخوف مما سينشأ من مفسدة إذا شقت عصا الطاعة؛ أم ان المفسدة بالانجراف وراء كل حماقات الحاكم دون تساؤل؟

○ ○ ○

فإذا ما كان الوهابيون الذين التزموا بهذا الأمر بصرامة طيلة عهود الدول السعودية الثلاثة، منذ أكثر من ٢٥٠ عاماً وتغاضوا عن انحرافات امرائهم حتى لا تنشأ من ذلك مفسدة ويحرموا من ثمار الغزو الحلال.. أما كان الاجدر بهم ان لا يسببوا مفسدة عظمى حينما يجرحون مشاعر مئات الملايين من المسلمين بالاعتداء على مقدساتهم؟ وأن ينتهجوا نفس المسلك الذين انتهجوه حيال **المرقد النبوي** الذي كانوا يرون وجوب هدمه، غير انهم امتنعوا عن ذلك لقداسته لدى جميع المسلمين خشية احتراقهم بنار عملهم المجنون؟

الاستجابة والخضوع للحاكم الظالم الذي جعل الهه هواه، وجعل الكراهية مبدأ لحكمه وتصرفاته مفسدة لا شك فيها، وحتى لا يقع المسلمون في مفسدة اكبر إذا ما تفرقوا وتخاصموا جيء بهذه الاحاديث ليبرر هذا الخضوع.. مهما يكن راي القارئ بها فأن من سوقوها أرادوا القول أن وحدة المسلمين العددية واجتماعهم الشكلي أهم من كل شي.. وان أي عمل يخلّ بهذه الوحدة وينتهكها يعتبر انتهاكاً للاسلام. وسيكون الوهابّيون أول المستجيبين لمثل هذه (القناعات)، وفي مقدمة المدّعين الحرص على الوحدة الإسلامية والاجماع، بدليل حرصهم على رضى (ولي الأمر) الذي تعارفوا على تسميته كذلك، وهو بمفهومهم أي حاكم يلي أمورهم ويحكمهم باسم الاسلام حتى عن طريق الشعارات الكاذبة، وكان من ألد أعداء الإسلام. لقد كان الاجدر بهم ان لا يقوموا بأعمال من شأنها أن تفرّق المسلمين وتثير

مشاعر الاستياء لديهم وتدخلهم في خصومات وحروب لا نهاية لها؛ لو أنهم كانوا صادقين في ادعائهم الحرص على سلامه التوحيد ووحدة المسلمين، وقد أدركوا عندما استثنوا قبر الرسول ﷺ وضريحه من الهدم والدمار أنهم سيدفعون الثمن غالياً وسيطاح بهم إذا ما اقدموا على ذلك، فجعلوا منه مشروعاً مؤجلاً ينفذونه فيما بعد، وحرصوا الآن على تعميره وتوسعة مسجده لامتصاص غضب المسلمين، واستجلاب رضاهم وتجنّب نقمتهم.

إلا أنهم استهدفوا (المنبوذ الذهبي) هم الشيعة بطبيعة الحال؛ بخطواتهم المتعجلة، وجعلوا ديدنهم هدم قبور وأضرحة أهل البيت وبعض الرموز الأخرى بزعم انها لا تخص كل المسلمين وان أهل البيت ماهم - بنظرهم - إلا فئة محدودة لا تتمتع بقداسة إلا لدى أتباعها وحسب، وليس لدى الجميع؛ وان المشروع إذا ما مرّر دون استهجان أو مقاومة فسيتاح لهم في المستقبل اكمال ما تبقى منه ومسح كل الاضرحة والآثار والعمائر الإسلامية بدعوى انها من مظاهر الشرك كما يكررون ذلك دون ملل، في أدبياتهم، التي يسوّقونها بمختلف الوسائل والاساليب، ولو أن دعواهم كانت صادقة بخصوص الحفاظ على وحدة المسلمين لما أقدموا على هذه الخطوة التي لا تزال تثير مشاعر المرارة في قلوب مئات الملايين منهم في العالم، والذين يعرفون أهل البيت حقّ المعرفة ويعرفون أدوارهم الفاعلة في الحفاظ على التجربة الإسلامية وإغنائها.

إننا نلمس براغماتية واضحة في تصرفاتهم و(تقيّة) طالما تبجّحوا بأنهم بمنأى عنها واتّهموا خصومهم الشيعة بانتهاجها وتندروا عليهم بأساليب تحقيرية متعددة[1]، فقد انحنوا لعاصفة الشجب وللاستنكار التي انطلقت من

(١) رغم أن التقية لدى الشيعة تتمثل بكتمان بعض الأمور تلافياً للعنف الذي قد يواجهون به من قبل أعدائهم، إلا ان تقية هؤلاء تتمثل في كتم النوايا واعلان خلاف ما يبطنون من أهدف ريثما تتاح لهم الفرصة المناسبة فيضربون ضربتهم، وانهم غالباً ما يلجأون =

أرجاء العالم الإسلامي ضد مشروعهم لنسف قبر النبي ﷺ، كما انحنوا أمام إرادات المتملكين والمتغلبين على الحكم والذين تزعموا حركتهم واستخدموهم لتنفيذ أجنداتهم الخفيّة التي تتضح معالمها يوماً بعد يوم، والتي تستهدف شق وحدة المسلمين ومنع تقاربهم أو أي نوع من الحوار فيما بينهم، كما تستهدف زجهم في معارك ماراثونية وغير متكافئة مع الآخرين سيدفع المسلمون ثمنها بالتأكيد لأنهم الجانب الاضعف في أي صراع عالمي. . ولعلها كانت العامل الاول في تأخر المسلمين وعدم قدرتهم على النهوض طالما انها كانت كابحا يحول دون تحركهم وتخلّصهم من مشاكلهم. ومع ان التقية كوسيلة من وسائل الحماية واردة في أدبيات الإسلام، إلا ان الوهابية اعتبروها وصمة عار وألحقوها بالشيعة دون غيرهم، مع انهم يلجأون إليها كلما واجهتهم مشكلات حقيقية. هنا تكمن المفارقة التي تجعلنا على يقين من نفاقهم وعدم تمسكهم بالشعارات التي يتبجّحون بها أمام الجميع باعتبارهم أصحاب التوحيد الخالص الذي لا تشوبه أية شائبة، وليتهم أعلنوا صراحة المقتضيات التي تستدعي الحفاظ على الكيان الإسلامي، ونبذوا في هذا الزمن التغير ما لجأ إليه أسلافهم من عنف وتشدد، واعتذروا عن ذلك، وحاولوا مسايرة عجلة التطور التي كانوا هم سبباً بتأخيرها لزمن طويل قبل أن تسحقهم جميعاً، غير انهم يقومون الآن بأدوار متطورة في لعبة الصراع العالمية، وقد زُجّوا كلاعبين ثانويين قد يزاحون عندما يرى اللاعبون الرئيسيون ذلك. وحتى إذا ما أدركوا حقيقة اللعبة التي سيكونون من ضحاياها في نهاية الشوط، فليس أمامهم الآن وقد زجّوا فيها رغم ارادتهم إلّا أن يواصلوا اللعب بالتآمر على القريب الديني لحساب الكيانات العالمية ذات السطوة والنفوذ.

= إلى التقية تلافياً لغضب الناس من عقائدهم التي تتناقض مع العقائد العامة للمسلمين، ونجد ذلك واضحاً في مسألة التشبيه والحلول والرؤية الالهية حيث جعلوا الله جسماً محدوداً متنقلاً تمكن رؤيته؛ وطلبوا من اتباعهم كتم اعتقادهم بهذا الشأن.

ـــ ٤ ـــ

لا شك ان طاعة الله - تقترن بذهن المسلم - بالاستجابة التامة لكل ما يأمر به سبحانه أو ينهى عنه دون أن يكون له حق الاعترض أو التدقيق حول جدوى ما يطلب منه القيام به أو حتى طريقة الاداء، كما هو الأمر في الصلاة والحج والصيام وغيرها. . وقد يكون هذا الأمر محيراً لمن لا يملكون التصور الاعتقادي الإسلامي المبني على الايمان بعالمي الغيب والشهادة، والاستجابة لتعاليم القرآن الكريم والرسول العظيم وخلفائه عليهم السلام. . كما تساءل (الحجّاج) - الحاكم الاموي على العراق وأشهر الجزارين في التاريخ - شاهد جموع الحجيج تطوف بالكعبة: لماذا يفعلون ذلك ويطوفون بأحجار لا يرى هو قيمة لها، ومع ذلك يتدافع المسلمون حولها ويحرصون على استلام الحجر الأسود وتقبيله احتراماً له هو صخرة صماء؛ واحترام وتقديس صخرة صماء أخرى، بسبب وقوف إبراهيم الخليل عليه السلام عليها حين بنى البيت، فطلب الله من المسلمين أن يتخذوا من مقام إبراهيم عليه السلام مصلّى[1].

ولا شك ان الاعداد الهائلة من المسلمين على امتداد التاريخ عندما يتكبدون عناء السفر إلى الحجاز في رحلات قد تصل إلى العام بسبب وسائط النقل البدائية وبعد المسافة - وخصوصاً في السابق - فإنهم يعتقدون ان مايقومون به من شعائر هو واجب يكملون به دينهم ويؤدون حق خالقهم الذي فرض عليهم ذلك. . لم يتبادر إلى ذهن أحدهم إلى التساؤل حول طبيعة الطقوس التي يؤديها ووجوب القيام بها من عدمه. . فقد أوضح الله الحكمة من ذلك وبيّنها لنبيه وفي كتابه، وأصبحت دلالاتها الرمزية في أذهان المسلمين عملاً ينبغي أداؤه كشيء ضروري وأساسي باخلاص. فالطواف والسعي

(١) ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

والوقوف في عرفة والمبيت في المزدلفة والإقامة في منى والنحر والحلق؛ لم يكن لأحد ان يتجاهل أياً منها إذا ما أراد ان يكون حجّه كاملاً صحيحاً..

فهل أن المسلمين - على امتداد تاريخهم - ألغوا عقولهم وإرادتهم أمام إرادة غيبية لم يؤمنوا بها، وانساقوا وراء أوهام مجردة؟ أم أنهم كانوا يرون وراء كل عمل حكمة يعلمها الله ويعلمون انه هو العالم الحكيم، حتى وإن لم يدركوا بعض أسرار علمه وحكمته التي استيقنتها قلوبهم وآمنوا بها..

ولو أن أحداً لا ينتمي للمنظومة الإسلامية إطلع على ما يقوم به المسلمون لحسب أن ذلك عبادة للمساجد والاماكن والأحجار، لا يختلف عن سجود أو ركوع غيرهم للاصنام والتماثيل. غير أنه هو غريب عن العقلية الإسلامية لا يرى ما وراء ذلك وهو أن استجابة المسلمين لاحترام المساجد والاماكن والاحجار انما هو بسبب استجابتهم للأمر الالهي بتعظيمها كشعائر مقدسة وليس لأنهم رأوا ذلك أو فعلوه استجابة لأوامر ملك أو إمبراطور أو رجل دين.. أو انهم فعلوا ذلك استمراراً لممارسات من آبائهم سبقت الإسلام.. إن ما يقومون به ينّم عن وعي وإدراك منهم لحقيقة الإسلام وروحه. غير أن من لم يدركوا تلك الحقيقة ولم يفهموها حسبوا أنها ممارسات شكلية لا تنفع أو تضر..

وإذا ان الإسلام وحدة واحدة مترابطة الاسس والجذور، وأنه أكد على احترام الإنسان أكثر من احترام المكان والاحجار وأن حرمة المؤمن أعظم حتى من حرمة الكعبة (أشرف وأقدس مكان في الأرض) فإنه سبحانه لا بد أن يطلب مصاديق حقيقية وأمثلة حيّة لهذا الاحترام؛ وخصوصاً للرموز التي لا تقل أهمية عن القرآن الكريم كالرسول الأعظم وأهل بيته، القرآن الناطق والذين أُمر المسلمين بالتمسك بهم حتى لا يضلوا من بعده كما ورد في

روايات وأحاديث موثقة ومسندة وطلب محبتهم ومودتهم مقابل ما منحه لهم من إيمان به[١].

إن الصراعات التي حفل بها التاريخ الإسلامي منذ صدره الأول؛ والتي احتدمت قبيل بداية العهد الاموي استمرت إلى يومنا هذا، واتخذت في أغلب مراحلها بعداً دموياً، أفرزت كيانات وعوامل صادرت التجربة الإسلامية ووظفتها لصالحها وأخلّت بكل المقاييس والأسس التي جاء بها الإسلام، عن طريق تزوير الحديث وتحريفه كما أشرنا في هذا الفصل وبواسطة عجلة مالية وإعلامية وإمبراطوية متمكنة متطورة استطاعت شراء الذمم وتضليل الناس لإبعادهم عن المقدس الصحيح إلى المقدس الملفق أو المختلق، وعن ولي الأمر الحقيقي المنصّب من الله؛ إلى ولي الأمر المزيّف الذي نصب نفسه إلهاً من دون الله.

وقد نشأت أجيال على ذلك مستندة إلى مواقف الاجيال السالفة، أو السلف الصالح كما أصبحت تسمى لدى البعض، وأصبح التعصب لمواقفهم ضرورة دينية وأخلاقية دون النظر في ملابساتها ظروف تشّكلها. وإذ أن الدم والسيف اصبحا فيصلاً في المعارك القائمة فلم يعد من السهل على الكلمة والحوار أن يقاربا بين الجميع. فمصدر الاختلاف الاول ليست أموراً عقائدية أو فكرية مجردة، وانما تحقيق مصالح عوائل مافياوية متنفذة متنافسة تريد كل منها الاستئثار بكل شي وفق (الشرعية) و(الذرائع) التي استخدمتها العوائل المتنافسة الأولى. وسيكون الطعن بشرعية تلك العوائل الأولى طعنا بشرعية الاخيرة. وهذا خطّ أحمر لا يسمح بتجاوزه وحتى النظر إليه أو الاقتراب منه. ان ما سمّي بالدولة السعودية أقامت شرعيتها على أساس الطاعة المطلقة لمحمد بن سعود وأولاده فيما بعد وفق ما صمّمه ورتّبه شريكه محمد عبد

(١) ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

الوهاب مستعملاً الوصفة الجاهزة التي أعدت من قبل للملوك الأمويين ومن جاء بعدهم من السلالات الأخرى

○○○

ان العقلية الإسلامية التي تذهب إلى حد تكريم الامكنة الأحجار واحترامها لمجرد أن نبياً أو أحد ابنائه وأزواجه قد اقام فيها أو وضع قدمه عليها أو سعى بينها لا يمكن ان ترفض اعتبار بقعة غيرها من أشرف وأفضل البقاع أيضاً إذا ما ضمت جسد نبيّ أو ولي أو عالم أو مجاهد نصر الإسلام بسيفه أو بيانه. وخصوصاً إذا ما كان الجسد الطاهر جسد نبينا الذي أخرجنا بصدقة وأمانته وأخلاصه وتضحياته من الظلمات إلى النور. فتكريم وتفضيل البقعة التي تضم أحد اجساد هؤلاء وجعلها معلماً شاخصاً وبناء مسجد بجوارها يجعلها مقصداً للعبادة والخشوع ومن معالم بناء الجماعة الإسلامية وتماسكها لأنه يشير إلى تاريخ وتضحيات هذا النبي أو الولي. بل لعل المسجد يشير إلى تاريخ ومسيرة دول عديدة كما هو حال (**المسجد النبوي**).

أو دولة من الدول كما هو الحال «**الأزهر**» في القاهرة مثلاً، إذ تستعرض فيه مراحل عديدة من تاريخ مصر.

ان عقلية المسلم التي تؤمن بالتوحيد ومحبة الآخرين والاحساس بجمال الخالق ومخلوقاته لا تؤدي العبادات كفرض واجب ثقيل لا بد منه، بل تعتبره تسبيحاً بالروح وانفتاحاً على عالم الله الفسيح الجميل الذي خلقه له ومن أجله.

إن هذه العقلية التي تقدس وتكرم الحجر وبقعة الأرض وما أليها لمجرد أنها آمنت بما أخبر به القرآن بأنها بقع وأماكن مباركة وهو قول حق وصدق منزّل. فكيف إذا ما كانت البقعة قد ضمت أكمل وأعظم شخصية عايشوها - وإن لم ترها عياناً أجيال عديدة منهم - وشاهدوا أعمالها ومراحل قيامها

بأشق الاعمال في سبيلهم وقد أرشدتهم إلى صراط الله المستقيم؟ ألا يشعر كل مسلم بأن عليه ديناً لرسول الله ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وجعله مسلماً موحداً بعد ان كان مشركاً يرسف بأغلال الضلالة؟ لا شك ان أغلب المسلمين يشعرون بمودة صادقة له أكثر من مودتهم لأهليهم وذويهم، ويتمنون لو يفتدونه بأموالهم وأنفسهم بل لعلهم يفعلون ذلك لو أتيحت لهم فرصة مشاهدته أو اللقاء معه والاستماع إليه ولو ساعة واحدة.

ومثلما كان مركز جذب ومحبة لهم في حياته فانه يظلل القريب إلى نفوسهم وضمائرهم حتى وهم يذكرون اسمه مجرد ذكر، فكيف إذا ما زاروا مرقده الشريف وأطلت عليهم روحه وشعروا بأنفاسه تغمرهم وهم يزورونه ويتذكرون أيامه التي حدثهم عنها القرآن الكريم، ورسمتها لهم سيرته الحافلة. وكيف سيكون شعورهم إذا ما ادركوا ان زيارتهم جاءت نتيجة دعوته لهم؟

فهل عبد احدٌ محمداً في حياته إذا ما التقاه وزاره حتى يعبده إذا ما زاره في ضريحه الشريف. . ألم يدع هو ﷺ الجميع لزيارته إذا ما وفدوا إلى مكة حاجيّن أو معتمرين، وصرّح بقول واضح أن من حجّ ولم يزره فقد جفاه. . وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان، أم أن الجزاء هو الجفوة والقطيعة والنسيان. . ان لسان المودّة والمحبة والتواصل هو ما اراده الله بينه بين عباده إذ قرن طاعته بمحبته ورحمته. لا الخوف من عقوبته وانتقامه وكذلك بينهم وبين نبيّهم وآله ولذلك طلب منهم المودة في القربى. ثم بين بعضهم البعض متوادين متراحمين. . .

ان محمداً ﷺ ليس أثراً من اثار الماضي حتى نعفي ونطمس آثاره وبما جاء به. بل هو حي بيننا. وإذا ما كان تصور ذلك على عقليات البداوة التي ألفت الغزو والخشونة وسفك الدماء ولم تنظر للأمور من خلال جوانبها الحسية بل بعقليات طفولية ساذجة وكذلك بعقليات معطوبة مخبولة. فان عقلية

المسلمين عموماً في كل مراكز الحضارة الإسلامية ابتداء من المدينة حاضرة الرسول ومكة مهبط الوحي وغيرها ترى رسول الله ووحيه شاخصاً أمامها على الدوامة حبيباً وقائداً قدوة..

كيف لابن نجد المتعجرف[١] هو يفكر بعقل مسليمة الكذاب وخوارج هذه الامة ان يكون قريباً من الرسول ويحبه كحبه لنفسه؛ وهو يرى أن عصاه أفضل منه طالما انها تؤدي له الآن بعض الخدمات؟ .. وكيف للذين أريد تسخيرهم لطاعة ولي أمر مزيف يعيش أبهة السطان أن يطيعوا من عاش زاهداً لم يتمسك بسلطان أو ملك إلا سلطان الله وملكه؟

كيف يمكن أن توضع الامور في نصابها الصحيح وعلماء السوء وأبطال التحريف يلوون اعناق النصوص ويفسرونها كما يريدون، ويضعون من عندهم نصوصاً يدّعون انها من عند رسول الله ليقيموا اسلاماً غير الذي أقامه ويجبروا الناس على اتباع صراطهم الاعوج وطريقهم الملتوي.

لا بد للمسلم من وقفة تأمل لمناقشة كل ذلك. فهم ليسوا أجراء عند أحد. ولم يطلب الله منهم إلا أن يعملوا عقولهم وينظروا بعينة الباصرة ويسمعوا باذنه الواعية..

○ ○ ○

(١) يذكر محمد حسين هيكل الصحفي والكاتب المصري المشهور انه خلال سفرة الحج التي قام بها عام ١٩٣٤ كان يسمع خلال السعي بين الصفا المروة أصوات الداعين والمستغفرين متضرعين في انكسار وخشية، عدا صوت البدوي ابن نجد (الذي لا يعرف الخضوع حتى في خطابه ذا الجلال الاكرام والذي يعلو بنفسه أن يتخذ من مطوف إماماً) محمد حسين هيكل/ في منزل الوحي؛ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة ١٩٥٧ - ط - ٣ - ص ٨٤.

ـ ٥ ـ

ونحن نتحدث عن قضية اسلامية نعالجها بأدوات اسلامية نشير هنا إلى ان الله قد أوجب تعظيم بعض مخلوقاته واحترامهم والتبرك بهم وطاعتهم والذل والخضوع لهم، كما امر بتعظيم بعض المساجد الاحجار والاماكن والمياه[1] . . . فهل انه سبحانه وحاشاه يدعونا إلى الشرك به؛ هو يحذرنا منه ويخبرنا بانه سبب للخلود في نار جهنم وان الله لا يُغفره ويغفر مادونه من

---

(١) فقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ [طه: ١١٦ - الإسراء: ٦١ - الكهف: ٥٠ - البقرة: ١٤] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠] ص ٧٣ كما وردت في سور أخرى بصيغ أخرى.

كما أمر يعقوب أولاده بالسجود ليوسف ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠].

أمر الولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وأمر باطاعة الرسول وأولي الأمر منا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] كما وردت بصيغ أخرى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

ودعا إلى الائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وأمر بعدم رفع اصواتنا فوق صوته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢].

ودعا إلى تعظيم المساجد والكعبة والطواف بها وتعظيم المقام والحجر الأسود وبئر زمزم والتبرك بمائه وتعظيم الحرم.

﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٩] ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

الذنوب. أم أنه يريد ان يؤكد لنا ان مثل هذا العمل ليس شركاً ما دام استجابة لأمره، ولم نقم به تلقاء انفسنا!. فكيف يتاح لمن يدعي عكس ذلك إثبات صحة دعواه بان ما يقوم به المسلمون من تعظيم واحترام المقدسين بأمر الله الاماكن المقدسة التي تضمهم هو شرك. لا بد ان وراء ذلك عصبية جاهلية وعقلية متحجرة بعيدة عن الإسلام وتصوراته عقيدته السمحاء [١]. ولا بد أنّ وراءه غرضاً خفياً لمحاربة الإسلام وتمزيق وحدة المسلمين والقضاء عليهم.

○ ○ ○

ـ ٦ ـ

وعودة إلى الاعتقادات التي رسّخها ان تيميّة وضخها في عقول مريديه البدو فيما بعد تلميذه محمد بن عبد الوهاب نجد أن في أدبياتهم الراسخة الاعتقاد بأنّ السفر لزيارة قبر الرسول والاستغاثة والتوسل به وطلب الشفاعة منه إلى الله والتبرك بقبره والصلاة الدعاء عنده وتعظيمه ولمس ضريحه وتقبيله شرك وكفر وعبادة للأصنام والاوثان، يوجب عليهم هدر دم ومال من يقوم به. ولكي يمنعوا ذلك من أساسه أوجبوا هدم ضريحه وقبته باعتبارهما من الاوثان والاصنام، بل

(١) وقد اندفع الوهابيون إلى حد تكفير جميع المسلمين بسبب احترامهم لمراقد الرموز الإسلامية وفي مقدتها مرقد الرسول واله ﷺ وأوجبوا قتالهم واستحلال دمائهم، حيث ساووا بينهم وبين من عبدوا الاصنام في الجاهلية في الاشراك في العبادة. وقد صرح الصنعاني في (تطهير الاعتقاد) ص ٧ - ١٢ بما يؤكد ذلك حيث قال: من فعل ذلك لمخلوق فهذا شرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الامور إلهاً لعابديه وصار الفاعل عابداً لذلك المخلوق، وإن أقرّ بالله وعبده، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذرايهم ونهب أموالهم. فمن رجع وأمدّ حقن عليه دمه وماله وذرايه؛ ومن أصر فقد أباح الله منه ما اباح لرسوله ﷺ من المشركين.

الصنم الأكبر والوثن الاعظم. وكذلك الأمر نفسه بالنسبة لأضرحة وقباب سائر الأنبياء والصالحين.

ولا يخفي الوهابيون نواياهم واعتقاداتهم بخصوص ذلك، بل انهم يظهرون تأسفهم على (غفلة وجهل) عموم المسلمين الذين يمنعونهم من تنفيذ مشروعهم لتدمير وطمس القبور المقدسة وما اقيم حولها من منشآت ومساجد. ولم يتّعد رأيهم رأي شيخهم ابن عبد الوهاب الذي يصف النبي بأنه (طارش)[1]. بل ذهب احد اتباعه إلى اعتبار ان عصاه خير منه ﷺ باعتبار انه ينتفع منها في مثل قتل الحية ونحوها، ومحمد ﷺ قد مات ولم يبق فيه نفع وانما هو طارش ومضى. . وكان هذا التابع يقول اراءه الفجة هذه بحضور شيخه الذي لم ينكر عليه ذلك، بل ارتضاه وأقّره. .

لقد كان جميع المسلمين بنظرهم منحرفين، وقد كفروا وأشركوا بعد توحيدهم بل هم شرّ من الكفار. وطريقة الردع الوحيدة - بنظرهم - كانت ايقافهم بكل وسيلة متاحة عما يقومون به من تعظيم واحترام للرموز الإسلامية والدينية حتى ولو اقتضى الأمر قتالهم واستحلال دمائهم وأموالهم وذراريهم. بل انهم جعلوا ذلك من أولوياتهم لتحقيق مشروعهم دون إبطاء قد يسببه اللجوء إلى الوسائل العادية في الحوار والاقناع.

إننا هنا لا نستعرض أموراً عفى عليها الزمن وضاعت مع التاريخ. فامتداداتها وتأثيراتها لا تزال قائمة تؤشر لجولات من الصراعات الدامية على

(١) (طارش) باللغة الشعبية المتداولة في مناطق الجزيرة العربية والعراق وغيرها تعني (رسول) يرسله أحد الناس إلى اهله يبلّغهم أمراً أو يرسل أو يأخذ منهم حاجة ومهمته موقتة لا تتعدى ابلاغ الرسالة وهو - كساعي البريد - عادة ما يكون غريباً لا شأن له بما يرسل به ما دام قد أدّى مهمته وانتهى أمر ذلك. راجع عن هذا الوصف عن كتاب خلاصة الكلام ص ٢٣٠.

أيدي متأسلمين و(مصلحين) آخرين وحركات جهادية متطرفة جديدة تتبنى نفس عقيدتهم التي ترى أنّ جميع المسلمين مشركون وكفرة، وان بلادهم دار حرب تجب الهجرة منها إلى بلاد الإسلام التي يحكمها الوهابيون الموحّدون. وان قتالهم واستحلال دمائهم هو جهاد في سبيل الله. وان هذه أمور ثابتة في حق عبدة (الاوثان الاصنام) (والهجرة فريضة على هذه الامة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى ان تقوم (الساعة))[١].

لقد تبنّى هذا التوجه التكفيري منظّرون إسلاميون وحركات متطرفة في مصر أولا[٢]، وفي باكستان وافغانستان والمغرب العربي والجزيرة العربية التي أقيم فيها في عهد عبد العزيز آل سعود في مطلع القرن الماضي ما سمي (بالهجر) التي هي مستعمرات للبدو الوهابيين الذين استخدموا ادوات ضاربة لمحاربة خصوم العرش السعودي. ان العالم - والعالم الإسلامي - على وجه

---

(١) الأصول الثلاثة - الشيخ محمد بن عبد الوهاب - طبع المنار بمصر ط ١ ص ١٢.

(٢) من هذه التيارات المتطرفة التي خرجت من عباءة السلف الصالح وشيخهم ابن تيمية مروراً بمحمد بن عبد الوهاب أبي الأعلى المودودي وغيره، وصولاً إلى عمر عبد الرحمن وأيمن الظواهري، والجماعات السلفية المتطرفة في مصر والتي انتشرت في جميع انحاء العالم بمسميات متعددة مثل الجمعية الشرعية، وجماعة انصار السنة المحمدية وجماعة التبليغ والدعوة وجماعة شباب محمد والجماعة الإسلامية، والجهاد و«جماعة المسلمون» أو التكفير والهجرة والناجون من النار.. وغيرهم.
قد ورد في ادبياتها اعتبار المجتمعات القائمة جاهلية، وعلى من ارادوا الانضمام إلى صفوفها اعتزال المجتمع الكافر والانسحاب منه تماما سواء بالاقامة في الصحراء أو داخل المدينة في الشقق المفروشة مع اعتزال كل الناس من الأهل والاقارب والاصدقاء وعدم الاهتمام بقضايا المجتمع ورفض التعامل مع شخوصه ومؤسساته والعيش حياة بدائية للغاية بما اسمي (المفاصلة الشعورية) ما يعني الانفصال الشعوري التام عن الوسط والمحيط ليكون ذلك بمثابة غسيل مخ جماعي لاعضاء التنظيمات المتطرفة. راجع بالتفصيل: نبيل شرف الدين: أمراء ومواطنون/مكتبة مدبولي١٩٩٨ ط ٣٠ - ٤٦.

الخصوص لا يزال يدفع الثمن الباهض لتصرفات هذه الجماعات المتطرفة التي يمتد نفوذها في أغلب مناطق الدول الإسلامية وتجد لها المزيد من الأنصار والمؤيدين، ولعلنا سنشهد استناداً إلى ما حلموه من افكار مضللة بخصوص هذه المسألة التي اعتبروها من اعظم المسائل التي تقف بوجه التوحيد الصحيح. معارك طاحنة يديرونها في كل قطر وهو أمر ستكون له خطورته البالغة وعواقبه الوخيمة المدّمرة.

انّ الفتوى التي استصدرها قاضي قضاة الوهابيّين عبد الله بن سليمان بن بليهد[١] من علماء المدينة، أو التي صدّرها هو بأسمهم، وهم لا يستطيعون إلا السكوت خوفاً من اتهامهم بالشرك وإباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم إذا ما أريد مناقشتها وفق المفاهيم التي تقبلها عقلية المسلمين على اختلاف مذاهبهم لن تكون لها أية قيمة علمية إذا ما نوقشت بموضوعية، ومعلوم أنّ صياغتها تمت بأسلوب تقديري تلقيني وارد في أصل الاسئلة المفبركة التي أريد لموضوعاتها أن تبدوا وكأنها قد صدرت عن علماء المدينة حقاً.

وقد نشر ابن بليهد مقالة في جريدة أم القرى سنة ١٣٤٥هـ؛ زعم فيها ان البناء على القبور بدعة حصلت بعد عصر التابعيين، ولم نسمع في خير القرون

(١) ذكر محمد حسين هيكل الكاتب الصحفي المصري المشهور، انه قابل ابن بليهد عام ١٩٣٤م عند ذهابه للحج وقد رآه يسعى بين الصفا المروة ممتطياً جواده. كان رجلا قد تقدمت به السن. وقد وصفه بأنه (ناحل الجسم يعلو عنقه الدقيق رأس عريض الجبين، ذكي النظرة، تلمع عيناه ببريق لم تطفئه السنون يدل على حيلة واسعة وبصيرة نافذة، وهذا الرجل خليفة محمد بن عبد الوهاب الحنبلي «مجدّد» المذهب في نجد الذي خلع اسمه على الوهابيّين الذين اقتدوا به. وابن بليهد هو روح الحركة الوهابيّة في هذا الدور من أدوار حياتها، وهو موضع التبجيل والاحترام من النجديّين جميعاً ومن مليكهم عبد العزيز بن سعود إلى أصغر صغير فيهم). في منزل الوحي/ محمد حسين هيكل؛ مكتبة النهضة/ مصر/ الطبقة الثالثة ١٩٥٧ ص١٤٤.

(القرون الإسلامية الثلاثة الأولى على حد زعمه) ان هذه البدعة حدثت فيها، بل بعد القرون الخمسة[١].

قد اتكأ ابن بليهد على فتوى ابن القيم انه يجب هدم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، ولا يجوز إبقاؤها بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها بمنزلة اللات العزّى أو أعظم شركاً عندها وبها، ويجب على الإمام صرف الأموال التي تصير على المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، كما أخذ النبي ﷺ، أموال اللات. وكذا يجب عليه هدم هذه المشاهد، وله أن يقطعها للمقاتلين، أو بيعها ويستعين بأثمانها على مصالح المسلمين وكذا حكم أوقافها، فان الوقف عليها باطل؛ وهو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين[٢].

لقد اعتاد الوهابيون الاستناد إلى الروايات الشاذة التي لم تثبت صحتها. ومن المعلوم أنّ جميع طوائف المسلمين دون استثناء طيلة الاحقاب والعهود قد بنت على القبور دون أن ينكر ذلك أحد من العلماء، فلو أنّ إنكاره كان مجمعاً عليه لأفتوا جميعهم بهدم ما بني؛ ولم ينفرد به مجموعة محدودة من تيار متطرف مثل ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، ولا حاجة بنا إلى إعادة ما أوضحناه من تهافت حديث أبي الهيّاج سواء من ناحية السند أو المتن، ونضيف أن أغلب رواة هذا الحديث مثل (أبو وائل) كانوا من المنحرفين عن علي والمعروفين بعداوتهم له، حتى أنّ أبا وائل هذا كان في مرحلة من حياته في صفوف الخوارج وحارب معهم علياً..

ان هذا الحديث اليتيم لأبي الهيّاج حول تسطيح القبور وتسويتها لا هدمها جُعل سنداً وركيزة لقيام الوهابيين بأكبر حملة لتدمير القبور والآثار والعمارات

(١) كشف الارياب - مصدر سابق ص ٢٨٦.

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٦ عن زاد المعاد ص٦٦١.

الإسلامية التي بنيت في كل مراحل التاريخ الإسلامي لا بعد القرون الثلاثة أو الخمسة الأولى. انه لا يشير إلى عدم جواز البناء، وانما على عدم الرفع كثيراً فلو جعل على القبر نحو شبر أما يعادل عشرة إنجازات، وبنيت عليه حجرة لم يكن ذلك منافياً لمعنى الحديث على فرض صحته، فقد روي (أنّ القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: دخلت على عائشة، فقلت لها: اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه، فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصّة الحمراء أي لا مرتفعة ولا لاصقة بالأرض)[1].

ولا ندري كيف عرف ابن بليهد أن (البقيع) كانت ارضاً موقوفة، ولم يسبق لأحد غيره ذكر ذلك. ولو فرض انها كانت موقوفة لهذا الغرض، فلم نجد ما يدل على عدم جواز الانتفاع بها إلّا بقدر الدفن أو عدم جواز البناء على قبر شخصيات مرموقة لها شأن كبير في تاريخ الإسلام؛ ونشره وإعزازه ولها أهمية كأهمية آل النبي وذويه لحمايتها عما لا يليق بها والانتفاع بها والاحتماء من الحر البرد عند زيارتها؛ وقراءة القرآن والصلاة والدعاء لله عندها، فيكون هدمها تجاوزاً على حقوق من أوقفها وأوقفت لهم. وإذا كان من غير الثابت انها أرض موقوفة فلا بد أن نحتمل انها مملوكة إذا ما حملنا أقوال وأعمال المسلمين على الصحة فيكون هدمها أمراً محرماً وتصرفاً في أموال الغير دون رضاهم. بل الثابت تاريخياً أنّ البقيع كانت مباحة أو مملوكة

(١) القسطلاني: إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج ٢ ص ٤٦٨ عن كشف الارتياب: مصدر سابق ص ٢٩٦، وإذا ما كانت القبور هي المشكلة العائق أمام التوحيد فلماذا استهدفت بعض والاماكن المساجد الاخرى التي لا تضم قبوراً، مثل ما كان مولد النبي ومنزل خديجة والمساجد الأربعة وغار حراء غيرها، مع انها معالم وشواخص على مسيرة الرسول ﷺ ووجوده ومسيرة بعض اصحابه، لا بد أن ذلك تم بذريعة ان المسلمين قد يتعلقون بها ويعبدونها من دون الله. أي ان كل ما يتعلق به المسلمون ويحبونه سيعبدونه في نهاية المطاف وهذا جزء من الادبيات والاعراف الوهابيّة.

ليست موقوفة أو مسبلة على حد تعبير ابن بليهد، وأن أول من دفن رسول الله فيها عثمان بن مظعون ثم دفن ابنه إبراهيم عنده، فرغب الناس فيها، واختارت كل قبيلة مقابرها، ثم دفن العباس بن عبد المصلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل. فيدل ذلك على ان قبر العباس وقبور أئمة أهل البيت: (الحسن وزين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام) كانت في تلك الدار التي صارت لمحمد بن زيد بن علي أي أنها مملوكة له. وتدل شواهد أخرى على ملكيّة دور في البقيع لأشخاص آخرين مثل دار المقداد بن الأسود؛ التي كانت تعلوها قبّة، وقد دفن الرسول صلى الله عليه وآله لصقها سعد بن معاذ.

ولا داعي للاستطرد حول الاحاديث المكذوبة الأخرى عن جابر عن الرسول صلى الله عليه وآله التي ترد اسماء نفس الرواة الذين ذكرناهم سابقاً في حديث أبي الهيّاج مثل ابن جريح وأبي الزبير بخصوص القعود على القبور ومسحها بالجص والبناء أو الكتابة عليها وما إلى ذلك. فاننا سوف نجد المزيد من الرواة غير الثقاة؛ أمثال حفص بن غياث (الذي كان مدلّساً كثير الغلط) والرجوع إلى الكتب المتخصصة بالدراية وعلم الرجال ستؤكد ذلك بشكل قاطع.

كما تؤكده اختلاف نصوص الرواية الواحدة، مما يخلّ بمعناها إخلالاً كبيراً..

○ ○ ○

ومن منطلق العقيدة والتصورات الإسلامية نحب أن نشير إلى أنّ تعليم القبر[1] بدأ على يد الرسول صلى الله عليه وآله عندما وضع حجراً يتوضأ منه (مهراس) على

(١) أي وضع علامة عليه كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله عندما وضع «مهراس» وهو الحجر المنقور يتوضأ منه؛ علامة على قبر عثمان بن مظعون ليدفن الناس حوله، فلما استعمل معاوية =

قبر عثمان بن مظعون كعلامة أم منار لمعرفته والاهتداء إليه وعدم اندراسه، وكان الذي حمل الحجر هو رسول الله ﷺ نفسه. . . ولعل نفس السبب هو الذي دعا المسلمين فيما بعد لتعليم قبور الذين كانت لهم مواقف وادوار متميزة في نصرة الإسلام، وإغناء التجربة الإسلامية بعلامات أو قباب لحفظها من الاندراس والنسيان؛ لتذكّر تلك المواقف والادوار والاقتداء بمواقفهم وسلوكهم. .

وليس من المعقول أن تكّرم مشاهد الطغاة أو الظالمين وأن يكون الأمر نفسه مع أعداء الإسلام أو حتى جميع الناس العاديين. ولعل تحسن أحوال المسلمين بعد الفتوحات أتاحت لهم فرصة توسيع المسجدين **النبوي والمكي** وتحسين بنائهما وبناء الحجرة الشريفة التي تضم قبر الرسول وسائر المساجد. ولم يكن هناك من مأخذ على ذلك طيلة الفترات التي تم فيها تحسين وتوسيع هذه البنايات وإقامة اضرحة ومساجد جديدة، إلى حين مجيء محمد بن عبد الوهاب الذي حاول أن ينسف كل ذلك لمنع ورود الزائرين الموحّدين إليها والصلاة بجانبها؛ وهي بقع طاهرة مشرّفة وقراءة القران والدعاء عندها والذي هو أدعى للاجابة والثواب، ببركة من حلّ فيها، وكذلك التدريس والقاء المواعظ. . وما من شك ان العناية بها وتعميرها يعتبر من تعظيم شعائر الله التي أمر بتعظيمها كما أشرنا في بداية هذا الفصل[1]. قد ذكرنا الاسباب الداعية لهذا التعظيم والتكريم.

= مروان بن الحكم على المدينة حمل المهراس فجعله على قبر عثمان، سنن ابن ماجه ج ل ص ٢٤٣ عن زبالة عن ابن شهاب.

(١) لقد اسهب السيد محسن الامين العاملي في كتابه «**كشف الارتياب**» ببيان واضح وحجج قوية مستندة إلى روايات موثوقة من صحاح المسلمين لدحض المزاعم الوهابية، ولأن كتابنا هذا ليس كتابا تخصصّياً في أمور العقيدة أو الحديث فقد اكتفينا بالتعرض للأمور العامة التي تتعلق بالموضوع الذي نتناوله هنا من جوانب أخرى. ولا يفوتنا أن نذكر =

إن فضائل ومناقب النبي أهل بيته عليهم السلام ينبغي ان تكون ماثلة أمام الجميع، واحترامهم بل ومودتّهم واجبة بأمر الهي وملزم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] والمقصود بالقربى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهل ان احترامهم ومودتهم وإقامة الاضرحة والمساجد بجوارها كما هو الأمر مع ضريح النبي الأكرم يعتبر عبادة لهم بعدما ثبت من شرفها وحرمتها عند الله. أم ان تعظيمها سيكون كتعظيم الحجر الأسود ومقام إبراهيم والمساجد والكعبة والحرم وكل ما أمر الله بتعظيمه..

ألعل العقلية البدّوية المعتادة على بيوت الشعر والتنقّل اختزنت في داخلها احتقار كل بناء قائم. ثابت وراسخ.

إنّ تيار النصب والعداوة لأهل البيت الذي تشكلت دوائره في عهد بني امية ثم اتسعت في العهد العباسي وفي ظل دول الظلم المتعاقبة، حاول ان يحجب فضائلهم وانكار ما ورد من أحاديث مستفيضة مشهورة بشأنهم. وأراد بنفس الوقت حجب آثارهم وقبورهم حتى لا يكون لهم ذكر إطلاقاً.. فأتكأ على حديث أبي الهيّاج، وبعض الأحاديث التي ليس لها سند من الرواة الصادقين أو الدليل المقنع بصحتها وواقعيتها. فهل ان احترام النبي حيّاً وميتاً هو الذي يدعو لهدم قبره وضريحه أو الجلوس على القبر والاتكاء عليه أو وطئه بالاقدام؟ فما الضرورة التي تدعو لذلك. إن لم يكن الضرر الذي سيلحق به صلى الله عليه وآله وسلم وبالمسلمين.. إذ أن ذلك أمر أكيد بانتهاك حرمته.

فهل يمكن أدعاء تقديسه وتكريمه ونحن نطمس قبره وآثاره مواقفه ومساجده بدعوى هزيلة لا تصمد أمام أي واقع؛ وهي خوف ان نجعل قبره

= أن عشرات العلماء والكتّاب المسلمين ومن مختلف المذاهب؛ قد وضعوا كتباً ومقالات تفند الحجج الوهابية لتدمير الآثار، وتكفير المسلمين.

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

عيداً أو نتوجه إليه بالعبادة، ويكون سبباً لشركنا وكفرنا. رغم اننا لا نزال نردد شهادة ان **لا إله إلا الله وانّ محمداً عبده ورسوله** عدة مرات في الصلاة الواحدة، ولم يخامر أحدنا شك بعبوديته لله جل وعلا بل وأكرم عباده المخلصين.

ولا زال القرآن يذكرنها بذلك. وتذكّرنا الاحاديث الصحيحة؛ والأدعية المأثورة عنه عن أهل بيته. .

فهل أن قبر النبي كشجرة ذات أنواط التي اشار إليها الشيخ الوهابي في معرض احتجاجاته، أو انها كحجر من الاحجار المرمّية في الطريق حتى يكون ذلك مانعاً لنا من زيارته، والاعتقاد بكراماته وبركاته وشفاعته والتوسل به؟

إن الاخبار تدل على ان موضع قبر النبي ﷺ وقبري أبي بكر وعمر كان مسقفاً تحت سقف المسجد، وان الحجرة التي دفن فيها كانت مكسوة بالرخام ايام العباسيين. وطيلة عهود التاريخ الاسلامي جددت القبة والضريح والجدران والابواب ووسع المسجد. ولم ينقل عن صحابي أو تابعي أو عالم قوله بان ذلك كان شركاً أو محرماً؛ رغم كثرة **العلماء** في المدينة ومكة. . والمتقدمون من الصحابة هم من بدأ في بناء الضريح والمسجد فوق القبر واستمرت توسعته وتطويره وبناؤه إلى مراحل متأخرة استكمالاً لما بدأه الصحابة في عصره، وكان الجميع يتبارون في تعمير الضريح وترميمه وإكسائه والحفاظ عليه ويتباهون بعملهم ذاك مهما كانت دوافعهم، فلم يختلف أثنان من المسلمين على ضرورة حفظ قبر نبيهم من الاندثار والزوال، إذ رأى الجميع ان تكريمه تكريم وتعظيم وحفظ لشعائر الله التي أمرهم بتعظيمها والوقوف والتعبّد له عندها.

○○○

ـــ ٧ ـــ

لقد استند الوهابيون على قياسات وأكاذيب زائفة لتمرير مشروعهم التدميري للأضرحة والابنية والمساجد والاثار الإسلامية. فبدعوى ان مجموعات من المسلمين بدّلوا دين الله! فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة للمشركين ومخالفة للمؤمنين، **(هي ضربة سجع ذات وقع جميل على اسماع أتباعهم المفرغين من العلم والثقافة)** بدت دعوتهم لتحطيم المشاهد التي هي مساجد أيضاً تقام فيها انواع العبادات لله، وكأنها تدعو حقاً للحفاظ على المساجد الأخرى مع انها كلها مساجد لا فرق بينها إلّا من حيث وقوع بعضها قرب أضرحة الرموز الإسلامية المقدسة مثل قبر رسول الله ﷺ.. وأهل بيته.. وقد يكون التساؤل هنا: هل أنّ المسلمين عطّلوا المساجد حقاً وانشغلوا بالمشاهد؟ أم أن أعداد المساجد العامرة بالمصلين القائمين القاعدين والركع والسجود، وقارئي القرآن والداعين تفوق كثيراً أعداد الاضرحة والمشاهد المقدسة التي تؤدي فيها كل تلك العبادات أيضاً؟

هل اقتصر تعمير المشاهد على أتباع أهل البيت. وهم الفرقة المنبوذة من قبل الوهابيّن المستهدفة بمشاريعهم التدميرية الاستئصالية. أم أن جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم عمّروا وقصدوا الاضرحة المقدسة وفي مقدمتها ضريح الرسول ﷺ، ونظروا إليها بالتقدير والاعزاز وتوجهوا من عندها تجاه الكعبة المشرّفة يؤدون فروض الصلاة والعبادة؟

وهل ان المسجد المقام قرب أو فوق ضريح هو ضد نوعي لمسجد ليس قربه ضريح أو قبر، ولا بد ان يزال أحدهما ليبقى الآخر قائماً؟

ان المساجد كلها عامرة بالمؤمنين، مهما كانت مسمّياتها (مسجد -

حسينية)[١] أو تكية أو زاوية تقام فيها كل أنواع العبادات الواجبة المشروعة. .

○○○

ولئن جرح أسماع الوهابيين (**اسم الحسينية**) فاعتبروها مركز شرك لمجرد أن الاسم اقترن باسم الحسين الذي تميل إليه قلوب جميع المسلمين، ولأنه وقف بوجه طغمة الانحراف الاموي ومنعها من إحكام دائرته وتدمير التجربة الإسلامية برمتها ولأن الوهابيين أقاموا دولتهم على نفس ذرائع (الشرعية) الاموية، فليس من المعقول أن يسمحوا لأحد بالطعن في تلك (الشرعية) لأنها طعن بشرعية وجودهم هم. ومن هنا موالاتهم المطلقة للخط الأموي، رغم علمهم بانتهاكاته غير المبررة للاسلام والمسلمين وكونه أول نظام عائلي دكتاتوري غير مقيد بمبدأ أو دين.

وإلا فما سر سكوتهم عن منظومة الانتهاكات الاموية الهائلة. على صعيد العبث بالناس وقتلهم وبناء القصور الباذخة واقتناء الجواري والغناء وشرب الخمور وغيرها، وهم يدّعون أنهم لا يتساهلون بقص شعرة واحدة غير مشذّبة من لحاهم الكثة، أو تطويل بضعة سنتيمترات من ثيابهم بدعوى أنّ ذلك بذخ وإسراف غير مبرر، ستقوم له قيامة الملائكة الحافظين إذا ما اكتشفوا ذلك ورفعوا تقريراً به إلى رب العزّة.

هذا تساؤل ينبغي ان لا يرمى في سلة المهملات. إذ أصبحت اعداد غفيرة منهم الآن تعيش البذخ الاموي الغابر في قصور وفلل ويخوت ومنازل

(١) الحسينيات في مساجد أيضاً سميت باسم الإمام الحسين تيمنا به واحتراماً لموقفه المشرّف من الإسلام ولا توجد فيها قبور أو أضرحة، يصلي فيها المسلمون صلاتهم العادية جماعة أو فرادى، ولأنها سميت كذلك فإن المنظّر الوهابي أوجب هدمها وتدميرها دون أن يكلف نفسه إيجاد التبريرات المناسبة لذلك؛ واكتفى بوصفها بأنها أماكن شرك لمجرد تسميتها.

طائرة اصبحت شرعية، لمجرد بقاء اللحية غير المشذبة والدشداشة القصيرة. كأن النظام الاجتماعي والعبادي والسياسي والديني العام قد جاء لتحقيق هذا الهدف الكبير، الذي اضيف إليه هدف إزالة الاضرحة والمساجد المقامة عليها ليتّم دين الله وتختفي جميع مشاكل المسلمين واسباب تأخرهم وانحطاطهم. وكأن الطواغيت والاصنام البشرية وأنظمة الحكم العائلية غير المقيدة بدين أو دستور لم تكن هي سبب هذا التأخر والانحطاط.

○○○

انهم يستشهدون بحرمة اقامة المساجد على الاضرحة أو القبور التي تضم الرموز الدينية الكبيرة؛ بما قام به رسول الله ﷺ بحرق مسجد الضرار وهدمه ويعتبرون هذه المساجد مساجد ضرار وشرك أحق بالهدم والحرق[1].. هذا قياس فاسد مبنيّ على رأى شخصي لابن القيّم الجوزية لا يستند إلى قرينه صحيحة. إذا من المعروف ان جماعة من المنافقين بنوا مسجد الضّرار (الغرض منه الضّرار بغيرهم والكفر والتفريق بين المؤمنين والإرصاد لمن حارب الله ورسوله ﷺ) فكيف تقارن المساجد التي تبنى لنصرة الله ورسوله وأوليائه بمسجد أسسّ بنيانه على جرف هار فانهار به في نار جهنم. واقيم على الكفر والتفريق والضرار بالمؤمنين أولهم رسول الله ﷺ، وقد بيّن الله غرض

(١) يقول ابن القيم الجوزيّة تلميذ ابن تيميّة في كتابه: زاد المعاد/ج ٢ ص ١٦ ما ملخّصه: (.. إنّ النبي حرق مسجد الضرار وأمر بهدمه، فكذلك مشاهد الشرك أحق بذلك وأوجب والوقف لا يصح على غير بر أو قربة، فيهدم المسجد إذا بنى على قبر كما ينبش الميت إذا دفن في المسجد، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق). ولا داعي ان نستفيض هنا بذكر الادلة على تهافت الاحاديث التي استندت إليها، وعدم صحة السند فعلماء السنة المدققين المتخصصين قد تحدثوا عن كذب وتزوير العديد من المحدثين الرواة ومنهم هؤلاء الذين نقلوا مسألة تحريم البناء على الاضرحة أو القبور، وقد كتبت عشرات الكتب والمجلدات عن ذلك يمكن للمتخصصين الرجوع إليها.

هذه الطائفة من المنافقين في اتخاذ هذا المسجد هو الضرار بغيرهم، والكفر والتفريق بين المؤمنين والإرصاد لمن حارب الله ورسوله والاغراض المذكورة خاصة ترتبط إلى قصة خاصة بعينها، وهي ما اتفق عليه أهل النقل [بطرق كثيرة من طرق أهل السنّة]: أن جماعة من بني عمرو بن عوف بنوا مسجد قُبا، وسألوا النبي أن يصلي فيه، فصلّىٰ فحسدهم جماعة من بني غنم بن عوف وهم منافقون، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قُبا، ليضّروا به ويفرقوا المؤمنين منه وينتظروا لأبي عامر الراهب الذي وعدهم أن يأتيهم بجيش من الروم ليخرجوا النبي ﷺ من المدينة، وأمرهم أن يستعدّوا للقتال معهم. ولما بنوا المسجد أتوا النبي ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، وسألوه أن يأتيه ويصلي فيه ويدعو لهم بالبركة فوعدهم إلى الفراغ من أمر تبوك والرجوع إلى المدينة، فنزلت الآيات؛ فوجّه رسول الله ﷺ عند قدومه مِن تبوك مَنْ حرّق المسجد وهدمه[1].

○ ○ ○

لقد وصل الأمر بفصائل الارهاب الحديثة التي سوقّت الوهابية وأفكارها البدائية غير المنسجمة مع الاطار الفكري الإسلامي البنّاء الذي يتسم بالتسامح والعقلانية، إلى اعتبار أغلب مساجد المسلمين مساجد ضرار، بعد أن حكمت عليهم بالنفاق والشرك والردّه، وبدت الصرعة الوهابية بنظر بعض أمراء هذه الفصائل وأفرادها فكراً حداثوياً متطوراً لم يصل جميع المسلمين بعد إلى مرحلة فهمه واستيعابه، ناهيك عن العمل بمفرداته وآلياته واعتقدوا أنّ عليهم

---

(١) ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٧-١١٠].

إجبارهم بالقوة لتبني آرائهم ومعتقداتهم. إن سنين طويلة من العمل الدؤوب في دهاليز العمل السري والازقة الخلفية، واعتياد التلقين النسقي المعاد المكرور مدعومة بأموال البتردولار التي تضّخ إلى جمعيات وأمراء الارهاب والتطرف رسخت بعض المفاهيم والقيم الطارئة على الإسلام، والتي لن تكتشف سذاجتها وسطحيتها إلا بعد أن يلحق أكبر قدر من الأذى بالمسلمين وعندها لن يكون هذا الاذى مقصوراً عليهم وحسب؛ وانما ستنال شظاياه أجزاء اخرى من العالم غير الإسلامي.

فما دام باب الاجتهاد المنفلت غير القائم على الضوابط التي تعارف عليهم علماء المسلمين اصبح مفتوحاً على مصراعية أمام فقهاء التكفير في كل خلية إرهابية لا يتجاوز عدد أعضائها العشرة، فاننا سنواجه جيوشاً من هؤلاء (الفقهاء) الذين لا يتورعون عن تدمير الإنسانية إذا ما اتيحت لهم الفرصة. ورغبوا في ذلك بعد أن أصبحت الوهابية مرجعيتهم الدينية الوحيدة، وبعد أن تخطّوا أسوار مذاهبهم التقليدية وقفزوا فوقها إلى الفضاء الأرحب الذي أتاحته لهم هذه المرجعية الجديدة ليخوضوا آفاق ومعارك ومغامرات خطيرة باسم الإسلام، ولعل بعض الشعارات الرنانة التي تبجحوا بها دون المسلمين سهلت مهمتهم بالنفاذ إلى قلوب وعقول - بعض - الأمة المغلوبة التي حكم عليها بالجهل والتخلف والقهر[1].

---

(١) يقول أحمد بن زيني دحلان في كتابه: **الدرر السنيّة** (عن ابن عمر أنه ﷺ قال: **(أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأوّل للقرآن يضعه في غير موضعه)**.

فهذا صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه. وأعجب من ذلك كله أنه كان يكتب إلى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين: اجتهدوا بحسب فهمكم وانظروا واحكموا بما ترونه مناسباً لهذا الدين، ولا تلتفتوا لهذه الكتب، فإن فيها الحق والباطل. وقتل كثيراً من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوا على ما ابتدعه. وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه. وكان أصحابه لا يتخذون مذهباً من المذاهب بل =

لقد وضعت الوهابية المسلمين في حالة فوضى جارفة أخذت تسبب لهم الآن مآزق ومشاكل حقيقية، ووضعتهم في مواجهة غير متكافئة مع عالم باسلحة فتاكة لا قبل لهم بمواجهتها، ولا ندري كيف تتحكم حماقات رجل مختل بمصير أمة؛ مع ان أتباعه لا يتجاوزون الواحد بالمائة منها. إلا ان مشكلتهم تكمن في انهم ينخرطون في أحزاب منظمة تكفر جميع ما عداهم.

غير انه العصر الوهابي العجيب الذي تتلاعب به إرادة الحمقى والجهلة والمجانين. وليس أمام الأمة لمواجهته إلا أن تراجع حساباتها جيداً. ولن يكون الأمر هيّناً ما دامت مافيات الارهاب هي الأكثر مالاً وسلاحاً ونفوذاً، فهذه دورة من دورات الحياة لا بد أن تمر. غير ان الجميع يأملون أن يكون ذلك دون خسائر فادحة إذا ما انتبه كل أحد لموضع قدميه؛ وأدار رأسه بالاتجاه الصحيح.

= يجتهدون كما أمرهم مع أنهم يتسترون ظاهراً بمذهب الإمام أحمد، ويلبسون بذلك على العامة. وكان ينهي عن الدعاء بعد الصلاة؛ ويقول إن ذلك بدعة وإنكم تطلبون بذلك أجراً. وقد اعتنى كثيراً من العلماء من أهل المذاهب الاربعة للرد عليه في كتب مبسوطة عملاً يقول النبي ﷺ: **«إذا ظهرت البدع وسكت العالم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»** وبقوله ﷺ: **«ما ظهر أهل بدعة إلا وأظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه»** فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق المغرب من جميع المذاهب. والتزم بعضهم في الرد عليه بأقوال الإمام أحمد وأهل مذهبه؛ وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها ـ لأنه لم يكن له تمكن في العلوم، وانما عرف هذه النزعات التي زيّنها له الشيطان).

عبد الله القضيمي - الثورة الوهابية/ منشورات الجمل/ المانيا - بغداد ٢٠٠٦ ص ١٩٢-١٩٣.

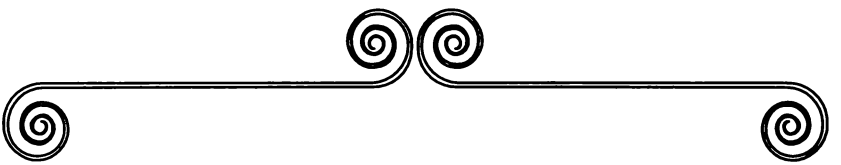

الفصل السادس

تفنيد الذرائع المزيّفة لنسف الآثار الإسلامية
تعطيل العقول
وتزوير الحقائق وموالاة الانحراف

الفصل السادس

تفنيد الذرائع المزيّفة لنسف الآثار الإسلامية
تعطيل العقول وتزوير الحقائق وموالاة الانحراف

الوثنية: بين الاصنام البشرية والحجرية

لا بد إن واضع مشروع تدمير القبور والاضرحة والآثار الإسلامية والمسوّق عن طريق الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتمتع بحنكة ذكاء كبيرين جديرين بخطط دولة عظمى ذات اطلاع واسع على الطبيعة الديموغرافية والاجتماعية لكل جزء من أجزاء العالم الإسلامي؛ المفككة والمنعزلة عن بعضها، بحدود بيئية ومذهبية واجتماعية ذات حدود وعرة، فلو أنّه بذر بذور هذا المشروع في بغداد أو القاهرة - أو حتى الحجاز - أو أية حاضرة تتمتع ببعض مظاهر التمدن والوعي والانتاج، لما كان له أن يحظى بأية نتائج (مثمرة) ولمات مشروعه منذ البداية. غير أنه وضعه في البيئة المناسبة؛ نجد؛ هي بيئة (مثالية) لتقبّل جميع الافكار الغريبة والساذجة التي ما كانت لتجد لها أي قبول في أي مكان آخر إلا فيها، وفي مثيلاتها من البيئات المعزولة حيث يمتاز أغلب سكانها البدو بنظرات بدائية حسيّة ساذجة، وميل لتقبل افكار تجسيم الذات الالهية والنزوع إلى ابقاء القيم والعادات والاعراف القبلية القديمة التي حسبوا أنها تضمن بقاء كل منهم على قيد الحياة. ويرون أنها الطريقة المثلى للعيش والحياة في ظل قانون خاص بهم، يتيح لهم الالتصاق ببعضهم والتعامل على

قدر المساواة حتى مع شيخهم الذي يحترمهم، ويتصل بهم بشكل مباشر دون وساطة أو شكليات ما دام بحاجة اليهم وما داموا يحترمونه ويقاتلون تحت رايته ويعترفون بزعامته ويؤثرونه بأكبر حصة من غنائم الغزو.

ان تاريخ العرب في الجاهلية يشير إلى أن سكان المناطق البدوية المنعزلة كانوا يرون أنفسهم أشرف وأهمّ من غيرهم، حتى أنّ بني تميم كانوا يزعمون أن الله لم يخلق أذكى أو أشعر أو أشجع منهم، حتى جاء الإسلام وأراهم حقيقتهم حين علموا أنهم أقّل من غيرهم بكثير، بل إن بيئتهم انتجت شذوذاً وانحرافاً ومتّنبئين كذّابين مثل مسيلمة وسجاح وغيرهما. من الغريب أنها لم تتوقف عن نتاجها الشاذ الذي بلغ النهاية بالوهابية المتشددة والمأزومة المعادية لجميع المذاهب الإسلامية، والتي زاوجت بين عقلية البداوة البدائية والتصورات الوثنية الحسيّة الساذجة المجسّمة للذات الالهية. ويبدو اندفاعها لحماية هذه الذات المحدودة بجسم وأوصاف تشابه أوصاف البشر، إلا انها تمتاز بضخامة غير عادية بسبب خوفها من خطر الالهة الصغار الذين قد يشاركونها نفس الاوصاف والصلاحيات، فهكذا يبدوا التوحيد الوهابي المجسم للذات الالهية التي تجل عن الوصف والتشبيه والمشاكلة عن طريق مجموعات تسللت من اليهودية والمسيحية إلى الإسلام؛ مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام ووهب بن منبل غيرهم. فإنّ هذه المجموعات جلبت معها خزينها الموروث من الاساطير القديمة المغلّفة بالدين أو ما سمّي بالاسرائيليات. وهي أساطير لا تجد لها إلا صدى في الأوساط التي لم تتعرف على الإسلام جيداً لم تتثقف بتعاليمه وتصوراته التي حاول القرآن الكريم والرسول توضيحها والتعريف بها في كل مناسبة. وفي الوقت الذي حجب فيه الحديث النبوي ومنع الصحابة من بثّه بين الناس، فان المحدثين الإسرائيليين أدّوا مهمتهم بيسر بعد أن احتلوا المساجد وأعدت لهم المنابر لضخ وبث اساطيرهم بدعم واضح من الدولة؛

وازداد بشكل ملحوظ منذ عهد معاوية حتى اعتبرت لدى البعض مصدراً من مصادر المعرفة والتاريخ الإسلاميين.

فقد لقيت الاسرائيليات ولا تزال تلقى قبولاً واسعاً بين محدودي العلم والثقافة ممن لا يتمتعون بتصور إسلامي مبني على مفاهيم الإسلام الصحيحة، كما أرساها القرآن الكريم[١] ورسوله الكريم ﷺ بل بتصور حسّي طفولي، كان مقبولاً في المجتمعات الوثنية التي سبقت الاديان السماوية الكبرى، والتي اعتنقت ديانات بدائية قائمة على اساس الخوف من قوى شريرة مجهولة ذات سطوة خارقة لها كهّان وسدنه، وعلى شعور بضرورة حماية النفس ومقاومتها على تصور آلهة تحرسهم وترعى مصالحهم. وقد انتشرت هذه الديانات في مصر وغيرها، ومن غير المعقول في تلك البيئات التي سبقت نضج البشرية ان لا تتكون في الاذهان أشكال لهذه الالهة المتصورة، والتي تختص كل منها بشأن من شؤون الحياة أو الطبيعة. وان تتجسد في تماثيل حاول الفنانون اتقان

---

(١) إنّ الاساطير التي شابت علم التاريخ عند المسلمين فيما بعد أتت من مصدر آخر غير الحديث وهو التفسير، ذلك أنّ أوائل من تعرضوا لتفسير القرآن الكريم لم يجدوا بين أيديهم تفاصيل يشرحون بها الكثير مما ورد في القرآن الكريم من أخبار الامم الماضية، فالتمسوا المادة فيما وصل إليهم من تفاصيل ما روي من هذه الاحداث في الكتب الدينية المتداولة بين اليهود النصارى، وفي الحكايات التي كان يتناقلها الفرس والهنود والمصريون والاغريق وغيرهم ممّن دخل الإسلام أو صار في ذمة دولته، وساعد على ذيوعها بينهم أن نفراً من أهل الكتاب هؤلاء دخلوا الإسلام حاملين معهم ما ورد في كتبهم الدينية من اخبار عن الماضيين وخاصة الأنبياء والرسل ومن تبعهم أو لم يتبعهم من الاقوام، وما قام بينهم وبين خصومهم من صراع. فدخل الكثير من ذلك كله في تفسير القرآن الكريم. وقد أنكر فقهاء المسلمين الكثير من هذه التفاصيل وسموّها بالإسرائيليات، وتحاشوا ترديدها وحذروا الناس منها، ومع ذلك فقد لقيت قبولاً واسعاً عند طلاب الاخبار من الناس. إذ لم يكن لديهم سواها، ثم إنّ حسّهم التاريخي كان قليلاً، حقاً لقد دخل الاخبار بعد ذلك الوضع والتزييف لخدمة أغراض سياسية أو مذهبية.
د: حسين مؤنس، **الحضارة**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط١، ١٩٧٨، ص ٦١-٦٢.

صنعها. وقد برع الاغريق بصورة خاصة بالرسوم والتصاوير وصنع التماثيل لتلك الالهة. ولا يزال العالم يكتشف آثاراً لفن بارع في هذه الصناعة. لا بد هنا من الاشارة إلى ان الفكر البدائي الطفولي الذي يتقبل فكرة وجود إله مجسّم له أبعاد وحدود، وإن تكن ضخمة هائلة مع انه يعترف بانه إله خالق رب السماوات والأرضين؛ يميل إلى فكرة أنّ الإنسان وإن كان مسلماً قد يتخذ الهة اخرى (شريكة لإلهه الذي رسمته مخيّلته) يتوجه إليها بالعبادة وقد تكون قبراً أو ضريحاً أو شجرة أو حجراً ما دام حملة هذا الفكر قد وضعوا الله في حدود وأشكال محدودة قد تصوروها كأمور ثابتة أو حقيقية[١] مع ان ذلك غير ممكن عملياً وغير

(١) وإذا ما حمل الفكر من يدعي وراثة العلوم الإسلامية ويتزعم الفرقة الناجية على حد زعمه مثل ابن تيمية ومن تابعه امثال ابن القيم الجوزية وابن عبد الوهاب، فانّ في ذلك كارثة تعصف بالفكر الإسلامي المحمدي، إذ ان مسألة التشبيه أخذت عن اليهود (لقد كان التشبيه صرفا خالصا في اليهود. لا في كلّهم؛ بل في القرّائين منهم إذ وجدوا في التوراة ألفاظاً كثيرة تدل على ذلك) الملل والنحل - الإمام الشهرستاني/ مكتبة الانجلومصرية القاهرة ص ٨٤. . . وعن هؤلاء أخذ ابن تيمية تصوراته التي حاول فرضها على المسلمين ففشل إلى أن قام ببعثها تلميذه ابن عبد الوهاب بين صفوف إعراب نجد الذين تقبلوها مع العديد من أفكاره التي لا تنسجم مع الافكار الإسلامية العامة، التي لم تتعرض للتأويل بهذا الشأن وكانوا يتحرزّون عن التشبيه. ومع ان الوهابيين ينكرون عقيدتهم في تجسيم الذات الالهية وتشبيهها إلا انها كانت أمراً معروفاً عنهم وعن شيخهم وقدوتهم ابن تيمية. فقد كان يعظ الناس بدمشق يوم الجمعة - كما ذكر ابن بطوطة وقد شاهده عياناً - فكان من جملة كلامه أن قال: (إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا) ونزل درجة من المنبر، فعارضه فقيه مالكي انكر ما تكلّم به فقامت العامّة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال حتى سقطت عمامته. . فهو يجيز عليه تعالى الانتقال والتحوّل والنزول وفي هذا التصوّر من التجسيم ما لا يخفى، فالذي ينتقل من مكان إلى مكان وينزل ويصعد، فلا بد أنه كان أولا في مكان ثم انتقل إلى مكان آخر، فخلا منه المكان الاوّل، واحتواه المكان الثاني، والذي يحويه المكان لا بد أن يكون محدود. وهذا مخالف لرأي أحمد بن حنبل والسلف المتقدمين من أصحاب الحديث راجع بالتفصيل - صائب عبد الحميد/ ابن تيميّة - حياته عقائده/ الغدير/ بيروت ط١ - ص ١١٨ - ١١٩.

ثابت واقعاً ولم يحدث أن عبد أحد من المسلمين صنماً أو قبراً أو شجرة أو حجراً، ولم يتصور أحد لخالقه شكلاً أو حجماً. وإذا ما كانت عامّة دمشق وغوغاؤها - في حينها - قد قبلوا كلام ابن تيمية بخصوص تشبيه وتجسيم الذات الالهية، وضربوا فقيهاً مالكياً بالأيدي والنعال لأنه اعترض على تشبيهاته فكيف لا يقبلها غوغاء البدو وجهالهم الذين لا يجيدون حتى القراءة الابجدية وكيف لا تلامس وجدانهم وتصوراتهم الطفولية الحسيّة ويستمالون بها إليه وإلى حملة افكاره الشاذة مثل تلميذه الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ان العقلية الطفولية الحسيّة التي تقبل التجسيد والتشبيه هي قبل غيرها التي تقبل فكرة الشرك بصورته الوهابية. وإذا ما اعتقد حاملوها انهم يعبدون ذلك الاله الضخم الذي لا يمكن مقارنة أحد به، وتقبّلوا ما وضع له من صفات من قبل مشايخ مرموقين لهم صفة التبحر في العلم، بل الأولوية والاسبقية ويحملون لقب شيخ الإسلام، أصبحت أية فكرة أخرى مقاربة مثل الاعتقاد بالهة أخرى على شكل حجر أو قبر (تعبد) من قبل فئات اخرى من المسلمين مقبولة في أذهانهم. مع أن تلك الفئات لا تحمل تصوراتهم الساذجة ولا تعبد الاحجار أو القبور حتى وإن كانت قبور الصالحين والأولياء، بل وحتى لو كان القبر قبر رسولهم المفّدى ﷺ الذي يقدسونه ويحبونه أكثر من أهليهم وذويهم وربما أنفسهم، لكنهم يحترمونها ويتوجهون منها - لا إليها - بالعبادة لله الذي لم يرسموا له صوراً كاريكاتيرية مضحكة في أذهانهم كما يفعل هؤلاء. ان البشرية في مرحلة نضج كبير الآن ومسألة تألية أو عبادة صنم لم تعد واردة في الاذهان بعد ان تخلصت قبل الاف السنين من سلطان الاساطير والاوهام التي علقت بالديانات الأخرى - بفعل مقصود - كما سنبيّن هنا في هذا الفصل والتي سعى الإسلام للتخلص منها وتحطيمها بعد أول فرصة اتيحت فيها للمسلمين التمتع بالقوة والنفوذ، إثر فتح مكة كما هو ثابت في تاريخهم. ولئن عادت الاصنام والطواغيت البشرية إلى الواجهة وحدها بعد حوالي ثلاثين عاماً

من وفاة الرسول ﷺ . . فان هذه الطواغيت والاصنام عبّدت الناس لمنهجها ودينها الذين زوّرته بعد أن حاولت إبعاد الإسلام عن الحياة. وهو الأمر الذي لم تنجح فيه تماما رغم كل سلالاتها المتعاقبة على الحكم والتي ألقت بوطأتها الثقيلة عليهم

لقد كان الأجدر بمن يدّعي الحرص على التوحيد الخالص أن يخلص الناس من الطواغيت والاصنام البشرية الجاثمة على الصدور، وأن لا يدّعي تخليصهم من أصنام وهمية متمثله بقبر أو حجر، وأن لا يخرجهم من الاماكن التي توجهت إليها قلوبهم قبل أن يتوجهوا إليها بأجسامهم لأنها تضم أجساد من أحبوهم وهدوهم من الظلمات إلى النور، وكانوا نبراساً لهم في الحياة. فمن يتوجه بالعبادة إلى محمد ﷺ أو علي أو أحد من الصحابة أو الصالحين. .؟ كان الاجدر بمن يدعي التوحيد الخالص أن يحارب الطغيان، لا أن يمهد لسلالة أخرى من الملوك والأمراء المستبدين الذين يعملون ويديرون الامور بقانونهم، لا بقانون الإسلام وإن ادعوا الحرص على الدين والتمسك بشكلّياته كما فعل اسلافهم من الملوك المستبدين من قبل. وإلا فهل ان الإسلام بحاجة إلى النظام الاسري المستبد من جديد ليكون مؤثراً وفاعلاً. أم انه بحاجة لتخلص من وطأة الاستبداد حتى يكون الناس أحراراً لا يعبدون إلا خالقهم القادر الحكيم. ولا بد لنا هنا ان نفرق بين عقائد اليونان القديمة: (التي تسرب بعضها إلى المسيحية بفعل مقصود كما سنوضح ذلك، وبُين عقائد المسلمين فقد (كان اليونان يرون أنّ ولكل مظهر من مظاهر الكون لكل فرع من فروع الحضارة إلهاً أو آلهة تخلق المظاهر والفروع، حتى الفنون كان لها آلهتها التي اخترعتها وأهدتها إلى البشر). الفكر اليوناني العام كان يرى ان الحضارة كلها من صنع الالهة؛ وان هذه الالهة أهدتها إلى الناس وظلت ترعاها.

وأما المسلمون فغالبية مفكريهم يرون على ان الله أعطى الإنسان العقل

والفكر والحكمة وإنّه اهتدى بعقله إلى أسس الحضارة والعمران وسار في معارج التقدم[١].

كان لا بد من هذه المقدمة وما سنذكره هنا لنؤكد فيما بعد ابتعاد المسلمين عن مظاهر الوثنية (الشرك)، وإن كان بعض العوام دون إدراك أو قصد فيما يفعلون يقومون ببعض الممارسات الفجة التي هي وفق رؤيتهم القاصرة تفيدهم أو تخلّصهم من بعض مظاهرة المعاناة اليومية، ويلجأون للسحر ويستنجدون ببعض المظاهر الكونية وغيرها. وهذا لا يعني ان عموم المسلمين يؤيدون ما يقوم به هؤلاء وانهم يجعلونه ضمن مرجعياتهم الدينية ومتبنياتهم العقائدية، وهم عموماً ليسوا مسؤولين عن أفعال هؤلاء البسطاء الذين جُعلوا ذريعة لاستهداف جميع المسلمين واتهامهم بالشرك والكفر ونشر الافكار المتطرفة التي تدعو لشن الحرب عليهم، والأولى أن يقوم الجميع بمهمة التعليم والارشاد بدل التكفير والاتهام بالشرك، وإصدار الأحكام بالموت وإباحة الأموال والأعراض.

○○○

ان ما حصل في المسيحية لا يمكن ان يتكرر في الإسلام، مع ان محاولات جادّة من قبل المتسللين إلى الإسلام والداعمين لهم قد جرت لوضع المسلمين في أجواء (الاسرائيليات) من خلال منابر اعلامية وضعت في أغلب المساجد الإسلامية في مركز الملك الاموي وغيره، من حواضر الإسلام لسبب واضح هو وجود القرآن الذي أعجز الناس عن تزويره والأتيان بسورة أو آية واحدة من مثله، ولأن الإسلام كان غضاً طرياً ولوجود عشرات من

(١) الحضارة ص ٦٠ - ٦١ مصدر سابق.

الصحابة وغيرهم من حملة الحديث النبوي الصحيح؛ والذين شكلّوا سداً أمام نشر الاسرائيليات فظل اغلبها يدور في تلك الاساطير والقصص المسلية عن حياة الامم السابقة والأنبياء القدماء دون أن تمس جوهر الدين الإسلامي. مع ذلك فان ما تسرب منها على شكل أحاديث وضعت عن لسان بعض الصحابة كان له أثره في بعض العقول التي تقبلته دون مناقشة، ومكمن الخطر فيها هو تقبلّها من قبل التيار الشعبي غير المحصّن بالعلم أو الوعي. وهذا التيار هو الذي يمكن التلاعب به وتوجيهه حسب إرادة الطموحين وأهل السلطة. وقد أمكن استخدامه عدة مرات في مراحل لاحقة في المعارك المذهبية الدائرة في حواضر الإسلام. وكما يتم الآن استخدامه لسهولة تخديره وغشه في اللعبة الكبرى التي يديرها الوهابيون ومن يقف خلفهم.

○ ○ ○

إنّ ما حصل في المسيحية هو المزاوجة بينها بين الوثنية الذي تم على مرحلتين وبإرادة مصممة تعرف جيداً ما تخطط له وتفعله[١].

(١) ويمكن ايجاز هاتين المرحلتين بما ورد في (الكتب المقدسة)، والأدبيات المسيحية وكتابات بعض رجال الدين والمفكرين المسيحيين، والتي أوجزها الباحث والمفكر سعيد أيوب، ونكتفي هنا بايراد النصوص والملاحظات المتعلقة بهذا الشأن:
ومن المعلوم أن الفريسيين كانت أشد الطوائف بغضا للمسيح (تاريخ الكنيسة ص ٥٣)، وقد قاد حملات العنف ضد أتباع المسيح يهودي من طائفة الفريسيين يدعى: شاؤول، الذي دخل النصرانية دون مقدمات وأطلق على نفسه اسم بولس، فأنشأ (المسيحية. النصرانية. الصليبية)، التي بين أيدينا كتبها الأن، وكان (سباقاً إلى قبول انفصال المسيحية عن اليهودية ومهد بانشاء العقيدة المناسبة)، يواكيم برنز - باباوات من الحي اليهودي ص ٧٤ - ١١٢
لقد دخل بولس الذي لم ير المسيح على بعض عقول القوم بانجيل تسلمه من المسيح، الذي نفى عنه كونه انسانا، وتلك هي النكبة الأولى!! إنه جعل المسيح إلهاً. وألوهية =

ان الحديث الذي يستشهد به محمد بن عبد الوهاب وجماعته الآن عن أن

= المسيح إختراع ليس عشوائياً. ومن المعلوم «ان هناك عددا من النقاط مؤكدة تاريخياً منها أن أحداً من خصوم المسيح لم يره بعد موته». أحمد عبد الوهاب - المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٣٠٣، وبولس كان من الخصوم وكانت دمشق مركز نشاطه، لذلك (فأن المسيحيين المخلصين اعتبروه خائناً وتصفه وثائق مسيحية بالعدو وتتهمه بالتواطؤ التكتيكي) حقيقة التبشير/ أحمد عبد الوهاب ٥٩. ويقول موريس بوكاي (ان بولس كان أكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش. ولم يكن قد عرف المسيح في حياته) (ولما جاء شاؤول (بولس) إلى أورشاليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير المصدقين أنه تلميذ) - أعمال ٩/ ٢٦. يقول مايكل هارت في كتابه: (الخالدون). (.. إنّ عدداً من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة المسيحية هو بولس وليس المسيح. وليس من المنطق في شيء ان يكون المسيح مسؤولاً عما أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الدين المسيحي. فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه. مجلة التكوير عدد ١٠٤، ١٠٦.

فألوهية المسيح، وعقيدة التثليث. كما جاء في دائرة المعارف الامريكية ط ١٩٥٩ هي العقيدة المسيحية التي تقول بالطبيعة الثلاثية للإله، وهي عقيدة ليست من تعاليم العهد القديم. حقيقة التبشير - أحمد عبد الوهاب ص ٨١.

إنّ المسيحية كما يقول وول ديورانت:

لم تقض على الوثنية، بل تبنتها. قصة الحضارة م ١١ ص ٢٧٦. بعد أن هضمت تقاليد العقل الوثني فكرة الاله المسيح. المصدر السابق م ١١ ص ٣٢٠.

وقصارى القول: «إن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم» نفس المصدر م ١١ ص ٢٧٦. لقد كان بولس «يرتحل من بلدة إلى أخرى ولا يقيم بضعة أيام في أي منها إلا حينما يجد جاليات يهودية هامة». المسيحية نشأتها جينيبر ١٠٣. (وكانت روما مركزاً لمستعمرة يهودية كان بولس يزورها ويتوقف فيها) باباوات من الحي اليهودي.

ان المرحلة الثانية من المزاوجة بين المسيحية الوثنية بدأت أيام قسطنطين الكبير - ولد سنة ٢٧٤ م نودي باسمه ملكا على بريطانيا سنة ٣٠٦م اعتنق الدين المسيحي سنة ٣١٢م نقل كرسي السلطة إلى القسطنطينية سنة ٣٣٠م.

فقد اعلن قبيل احدى المعارك: «لقد رأيت صليبا في الهواء حول الشمس» الدولة والكنيسة د. رأفت عبد الحميد ٢/ ١١٩، وقال انه انتصر بفضل هذا الصليب واعتنق المسيحية ليصدر بيانا يقول فيه: أنا عِدّة الرب التي اختارها، وقدّر صلاحها لإنفاذ مشيئة. المصدر السابق ٢/ ١١٩. أنا اسقف نصبّني الرب على جميع شؤون الكنيسة =

المسلمين سيكونون كمن سبقهم في مسألة الشرك، وانهم سيكونون مثل اليهود والنصارى، كما روي عن أبي سعيد: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم، حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله اليهود النصارى؟ قال: فمن؟» يحاولون من خلاله اثبات أنهم بمنأى من الانحراف الذي اشار إليه الرسول ﷺ وانهم عندما يستثنون أنفسهم عن الانحرافات التي وقعت من اليهود النصارى، والتي ستقع من بقية المسلمين تشبّهاً بهم ويكونون بذلك الفرقة الناجية الوحيدة من بين أكثر من سبعين فرقة، فإن شواهدها لهم تدل على انهم أول من تمسك بالانحرافات اليهودية والمسيحية الأولى وورثوا تصوراتها الوثنية عن الذات الالهية التي تشبه البشر وتضع قدمها في النار، وتضحك، وتجلس على كرسي وما إلى

= الخارجية. باباوات من الحي اليهودي ص ٩١ عن ذلك يقول المؤرخ موسهم: (لماذا لم سيتند إلا على شهادة الامبراطور برؤيته الصليب في الهواء؟ ولِمَ لمْ يذكر شهادة أحد من الالوف الذين كانوا ينبغي أن يكونوا قد شاهدوا ذلك؟) الدولة والكنيسة ٢/ ٩٧. وكانت تعاليم بولس هي التي شاعت وكان لها الغلبة) المسيح في مصادر العقائد/ أحمد عبد الوهاب ص ٣٢. حتى جاء قسطنطين في مجمع نيقية بالاناجيل الأربعة المتداولة واليوم التي تسمى بالعهد الجديد (**وأقرُّها بالقوة**) تاريخ البشرية - توينبي ٢/ ٥٨ وتلك كانت نقطة تحول كبيرة فقسطنطين يوم اختياره للاناجيل الاربعة كان يحتفظ بلقب الحبر الأعظم للوثنيين وهو يحفظ هذا اللقب قام بتغيير في قانون الايمان المسيحي. الدولة الكنيسة ٢/ ١٨٣ فاضاف عبارة (مساوله في الجوهر) أي ان المسيح له نفس جوهر الذات الالهية وهي الكلمة التي كان قسطنطين يمقتها من قبل (تاريخ الجنس البشري ٢/ ٥٨). فإذا كان يمقتها وهو وثني فكيف يفرضها وهو مسيحي؟ (لقد فك قسطنطين القيود وساوى بين النصرانية والوثنية) حرب في الكنائس د أسدرستم ص ٨. (وما ان اصبحت المسيحية دين الامبراطور الرسمي حتى أصبح كثير من الناس مسيحين لدواع سياسية) الغرب والعالم/ د كافيين رايلي ١/ ١٦٧ حتى هم يحملون جذور عقائدهم الوثنية الأولى. . لقد كانوا يؤمنون بالالهة. عندما آمنوا بالله - مهما تكن دوافعهم - وصنعوا له شريكا له نفس جوهر الذات الالهية. هكذا أراد الملوك؛ والناس على دين ملوكها، أو هكذا ينبغي أن يكونوا.

ذلك من تصورات بدائية وثنية متوارثة ظلت تعشعش في الاذهان. ولو أننا تتّبعنا مدى اهتمامهم بالسحر مثلاً ونظراتهم إليه لبدا لنا العالم وكأنه موضوع على كف ساحر. إذ تسخّر الآن فضائيات ومواقع الكترونية وإذاعات ومطبوعات للحديث عن هذا العدو الخارق الذي تحمله أفواج من الجن والانس لغرض تخريب المنظومات الاجتماعية البشرية. وقد يبدو الأمر إذا ما اتفقنا وتفاعلنا وصدقنا بكل ما يقولونه وكأننا نخوض حرباً عالمية شرسة يقودها سحرة متمرسون يقودون هذا العالم نحو الدمار. وكأنهم باستحضار عدو خفي لا قبل لنا بمواجهته إلا بالاستعانة بفضائياتهم يريدون وضع الجميع في حالة حرب ضروس لها الاولوية في كل شيء. كأن شعارهم: كل شيء من أجل المعركة، ولا صوت يعلو على صوتها وأصوات البنادق التي تصوب إلى صدور الاعداء من السحرة والجن والقوى الخفية. والبنادق هي ما يعدونه من علاج حاسم وسريع (**مجرب بإذن الله**) لتخليصنا من العدو الذي تفوق قوته الدول الاوروبية مجتمعه وأميركا وإسرائيل. ولعل هذه الدول لو أدركت القوة التي يتمتع بها هؤلاء السحرة للجأت اليهم لتحقيق مآربها والانتصار في حروبها بدل أن تنفق مئات المليارات من الدولارات لتضيع الاسلحة وتجييش الجيوش وبناء المعسكرات والمعدات. وبالتأكيد لن تبدو هذه المقالة ساخرة ومبالغ فيها إذا ما رأينا اهتمامهم الكبير بهذا الموضوع الطازج المتجدد، الذي يبدو دائماً من مواضيع الساعة الأكثر سخونة وجلباً للاهتمام والذي لا ينبغي اهماله والسكوت عنه. ومع أن مسألة السحر والجن مسألة واردةفي أدبيات المسلمين العامة، إلا أنها لا تحتل حيزاً كبيراً من تفكيرهم واهتمامهم وانشغالاتهم اليومية، بعد أن وضعهم الإسلام في حالة عقلية وفكرية متطورة لمعالجة قضايا حياتية أهم من قضايا السحر والجن التي أصبحت على الهامش. أن غسيل الادمغة المعدّ له بحنكة هو تخطيط شيطاني لوضع الناس

في حالة استنفار وخوف من أعداء خفيّين، لا يعرف أحد متى وأين سيوجهون ضرباتهم الماحقة. فهم يعيدون الناس إلى حياة بدائية طوطمية تحكمها الاشباح والسحرة والالهة المنحوتة نحتاً ردئياً.. ولا يمكن ان تكون الاهتمام، الكبيرة بها أمراً عفوياً بريئاً ناتجاً عن الاعتقاد العام بوجود الجن والملائكة، وإنما هو تخطيط مدبر لجعل المسلمين يتخبطون وهم يفتشون عن الاعداء المجهولين غير المرئيين، بينما الاعداء الحقيقيون الذين يتلاعبون بمقدراتهم يحققون مشاريعهم الشيطانية المتعسفة لإذلالهم واستغلالهم..

○○○

اننا إذا ما اضفنا إلى مسألة السحر هذه التي أريد لها ان تكون مخيفة ومقلقة على الدوام، مسألة التخويف من (الشرك الأكبر) المتمثل بزيارة قبور النبي ﷺ والاولياء والصالحين أو الاحتفال بالمناسبات الدينية وغيرها، فسنجد - وفقاً للرؤية الوهابية - أنّ المسلمين يقفون الآن فعلاً على حافة هاوية لاخلاص منها إلا باعتناق الافكار الوهابية التي جعلت شعب الجزيرة العربية يتقدم على جميع الشعوب في العلم والمعرفة والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ويكاد يخلو - بعد أن اصبح يعيش في مدينة فاضلة - من كل مشكلة كالفقر والادمان على المخدرات والجهل والتمزق العائلي..!!

وإذا ما كان الأمر على العكس من ذلك في ظل الامور التي تريد تحقيق الاجندات الشريرة لمن يمسك زمام الامور ويجعل الدين كابوساً ثقيلاً ومجموعة من التصورات البدائية التي لا تنتمي لأي مجتمع متحضر، فلا شك ان الدين سيبدو كلعبة يمسك خيوطها حواة مدربون كسحرة بني اسرائيل الذين واجهوا رسالة موسى.. وإذا ما أفاق اولئك وآمنوا بعد فشل سحرهم وحيلهم السرية وغيرها، رغم اعتراض فرعون على ذلك. فهل سيترك فرعون الحالي

سحرته ليؤمنوا كما آمن أولئك أم انهم لا يزالون مضلّلين يشاركونه بمصائر الناس إلى أن تلقف عصا أخرى عصيّهم وحبالهم ومكائدهم..؟

○○○

إن إله الوهابيين الذي ابتدعته مخيلة ابن تيمية الجريئة، جدير ان يخاف عليه من السحرة والجن والقبور أن تشنّ ضدها معركة لا هوادة فيها، حتى يكون الدين خالصاً لوجهه الباقي بعد فناء كل شيء[1] كما دافعوا عن عقيدتهم

---

(١) لقد ورد في أدبيات الوهابيين أن الله يفنى ويهلك كله ما عدا وجهه بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ويمكن رؤيته بدليل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وبأحاديث نسبوها إلى الرسول ﷺ. رغم نفي الائمة وبعض الصحابة وعائشة لها، فقد روى مسلم عنها قولها: (من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية)... (والله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]). والثابت علميا أن الرؤية تتم بوقوع الاشعة الضوئية على سطح الجسم المرئي لتنعكس بعد ذلك إلى البصر. فينبغي ان يكون المرئي ذا سطح مادي وهذا ينافي صفات الذات الالهية، كما ينافي في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ وهذا لا يعارض قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ لأن الرؤية يوم القيامة مجهولة وقد تكون بلون من الانكشاف والتجلي، ورؤية المزيد من آيات الله من غير حاجة للباصرة أو العيون ولذلك قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ﴾ لم يقل عيون في قوله: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ ما يدل على السرور بهذا الانكشاف.

لقد زعموا أن الرسول ﷺ اشار إلى الله إشارة حسية باصبعه رافعا لها إلى السماء. فأي سماء هذه التي اشار إليها الرسول. ولو كان غيره يقف على الجانب الآخر المقابل من الكرة الأرضية واشار باصبعه إلى ما فوق رأسه فهل انه يشير إلى نفس الجهة أو نفس السماء التي اشار إليها الرسول ﷺ أم إلى سماء أخرى.؟

فكيف تتحقق صحة اشارته والرسول اشار إلى جهة أخرى.

فهل ان الأرض مسطحة غير كروية - كما هو اعتقادهم - وهو ما ينافي العلم، حتى تكون للسماء جهة واحدة يشار إليها. وهي الجهة التي يزعم الوهابيون ان العرش فيها وان الله مستقر فيه.

يقول الاستاذ الشاعر الكبير محمد صدقي الزهاوي - من أهل السنّة -: لو جاز أن يشار =

في الرؤية والتجسيم والتشبيه دفاعاً مستميتاً، ولا يزالون إلا أنهم يكتمون ذلك عن الناس باعتبار ان ذلك علم ينبغي أن لا تختص به إلا الصفوة من العلماء. والعلماء هم وحدهم بزعمهم دون شك !! كما انهم بذلك يلجأون إلى أسلوب التقيّة لأن أغلب المسلمين يستهجنون هذه النظرة الفجّة والخالية من الاحترام للذات الالهية. ولو أنهم اعلنوا آراءهم صراحة لفقدوا احترامهم ومصداقيتهم التي يحاولون بناءها وإثباتها بشق الأنفس. إذا وما جعل الوهابيون معبودهم على صورة مجسمة تجلس على عرش، تصعد إليه وتنزل صعوداً ونزولاً حقيقيين كما مثّل لذلك ابن تيمية على أحد منابر الشام، وله وجه وعينان ويد وأصابع وأرجل يهرول بها، فقد خلقوا وثناً مثل تلك الاوثان التي عبدتها الشعوب بالبدائية[1].

○○○

= إليه بالاشارة الحسيّة لجاز أن يشار إليه من كل نقطة على سطح الأرض (حيث ان الأرض كروية، ويلزم أن يكون سبحانه محيطاً بها من جميع الجهات وإلا ما صحّت الإشارة إليه. ولما كان تعالى مستوياً على عرشه ومستقراً عليه كما تزعم الوهابية، وإن عرشه محيط بالسماوات السبع، فيلزم من نزوله إلى السماء الدنيا وصعوده منها - كما يقول الوهابيون - أن يصغر جسمه تعالى عند النزول [لتسعه الأرض] ويكبر عند الصعود [ليحتل السماوات السبع] فيكون متغيراً من حال إلى حال، تعالى الله عما يقول الجاهلون) جميل صدقي الزهاوي - الفجر الصادق - تجسيم الوهابية ص ٢٨ عن الوهابية والتوحيد/ علي الكوراني/ دار السيرة/ لبنان/ ط ١ - ١٨١٤ ص ١٢٧ - ١٢٨.

(١) وللمرحوم الشاعر العراقي الكبير محمد صدقي الزهاوي وهو على مذهب الإمام أبي حنيفة؛ آراء بناءة بهذا الخصوص اذ كتب في (الفجر الصادق) تحت عنوان (تجسيم الوهابيّة) ص ٢٨ وما بعدها:

فالوهابيّة التي تسمّي زائري القبور عبّاد الاوثان انما هي قد عبدت الوثن، حيث أنها جعلت معبودها جسماً كالحيوان جالساً على عرشه، ينزل ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقيّين وله وجه ويد ورجل واصابع حقيقية، مما يتنّزه عنه المعبود الحق.

وإذا ردّ عليهم بالبراهين العقلية وأثبت ان ذلك مناف للالوهيّة عند العقل، قالوا في =

وللشاعر العراقي الاستاذ الزهاوي رأي آخر جدير بالملاحظة عندما بلغت الانظار إلى التناقض بين ادعاءات الوهابيين بالحرص على التوحيد وتكفير من يزور قبر الرسول ﷺ باعتبار جعله وثناً يعبد، وبين ما يؤمنون به هم من وجود شكل مجسم متحرك لله (أي وثن له أبعاد محدودة).. (ان ذلك يعني انهم يريدون حماية هذا الوثن الذي تصوروه (جل الله وعلا عن ذلك) من أوثان أخرى رسمتها مخيلاتهم تمثلت بقبر الرسول الكريم ﷺ آله وصحابته والصالحين من المؤمنين. يقول الزهاوي في الفجر الصادق ص ٢٨ تحت عنوان (تجسيم الوهابية): (إن الوهابية التي كفّرت من زار قبر رسول الله ﷺ

= الجواب: لا مجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الامور التي طورها فوق طور العقل.

فأشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث، فإنك إذا سألتهم قائلاً: كيف يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة؟ قالوا إن معرفة هذا فوق طور العقل، ولا يجوز إعمال الفكر في ذلك. مع ان النقل (أي الاخبار والنصوص) لا يمكن إثباته إلا بالعقل. وذلك لإنّ إثبات الصانع ومعرفة النبوة لا يتم إلا بطريق العقل، الذي يتعّين تقديمه على النقل...

.... فالاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] هو الاستيلاء يؤيده قول الشاعر:

قد استوى عمرو على العراق من غير سيف ودم مُهراق

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢] أي جاء أمره.

قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] أي: يرتضيه فالكلم عرض يمتنع عليه الانتقال بنفسه وقوله سبحانه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] أي: يأتي عذابه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨-٩] أي قرّب رسوله إليه بالطاعة. والتقدير بـ ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ تصوير للمعقول بالمحسوس.

وقوله ﷺ: انه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؛ هل من مستغفر فأغفر له؟ معناه: تنزل رحمته وخص بالليل لأنه مظنّه الخلوات وأنواع الخضوع والعبادات.. عن الوهابية والتوحيد/ علي الكوراني/ دار السيرة/ لبنان ١٤١٨ ص١٢٩ - ١٣٠.

متوسلاً به إلى الله وعُدّت ذلك شركاً في الإلهوية، وقالت بوجوب تنزيهه تعالى عن ذلك قد خبطت كل الخبط، حيث أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه واستقراراً وعلواً فوقه، وأثبت له الوجه واليدين، وبعّضته سبحانه فجعلته ماسكاً بالسماوات على إصبع، والأرض على إصبع والشجر على إصبع، والملك على إصبع، ثم أثبتت له تعالى الجهة، فقالت: هو فوق السماوات ثابت على العرش يشار إليه بالاصابع إلى فوق إشارة حسيّة؛ وينزل إلي السماء الدنيا ويصعد..

وهذا نقص، يقول الزهاوي يجب تنزيهه عنه)..[1] فمن أي مكان من

---

(١) وكما كان (أسلاف) محمد عبد الوهاب في مقدمة المعجبين برواة القصص من اليهود المتسللين إلى الإسلام لنشر (الاسرائيليات)، فإنه التحق بهم ليروي لنا مزاعم حبر من أحبار اليهود أو عالم من علمائهم التي أسمعها للنبي وأعجب بها ﷺ، وضحك لها ضحكة عريضة تصديقاً له. فكأنّ هذا (الحبر) هو الذي يعلم رسول الله دينه ويرشده إليه. وان تصديقه به هو دليل على نبوّته وقد نزل القرآن أيضاً بتقرير ذلك، وكأن الله نفسه جل وعلا، لم ينتبه لولا ان ذكّره هذا الحبر اليهودي.

ولنستمع إلى الرواية التي أوردها الشيخ عن (ابن مسعود)، والتي أوردت عن (ابن عباس أيضاً)، وأبي هريرة، وغيره، بألفاظ مختلفة، وقال عنها علماء (الحديث والرواية)، وكذلك الدراية والجرح والتعديل، بأنها حديث غريب وطعنوا ببعض رواتها، بحيث يصبح من التعذر قبولها لولا الأجندات الخفية التي اقتضت نشرها وبثها لتخريب الإسلام وجعله يبدو كأحد الأديان الوثنية الأخرى، أو مأخوذاً عنها، يقول الشيخ في كتاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)، وهو المنشور السري للوهابيين في باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، راوياً عن مسعود هذه الرواية الملفقة، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنّا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ الأية. وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على إصبع ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الله. وذكر الشيخ أيضاً «أحاديث» متشابهة حول إصبع الله، و«شماله»، و«كفه»، =

الكرة الأرضية يشار إليه، وإلى آية جهة يشار، والأرض كروية متحركة ليست

= و«كرسيه»، و«عرشه»، والمسافات بين سماء وأخرى، وبين الكرسي والعرش خمسمائة سنة؛ والعرش فوق الماء! والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم.
وما لم يوضحه القرآن تحدثت عنه الاسرائيليات، واستفاض الشيخ في توضيحه واستنبط منه عشرات المسائل التي لا يقدر عليها إلّا (الحاخام)، وأمثاله من العلماء الكبار!
يقول الشيخ وفيه (أي في ما ذكره من الأحاديث المنسوبة للرسول) مسائل:
الأولى: تفسير قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.
الثانية: أن هذه العلوم! وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ، لم ينكروها ولم يتأولوها (ونسي أن يقول ولم يبتكروها).
الثالثة: أن الحبر لمّا ذكر ذلك للنبي ﷺ، (صدّقه)، ونزل القرآن بتقرير ذلك، [وكأنه كان بحاجة لعلم الحبر ليكمل ايمانه ﷺ، وإن الله بحاجة لمن يذكره لينزل ذلك في محكم كتابه الكريم].
الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ، لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم!
الخامسة: التصريح بذكر اليدين وأن السماوات في اليد اليمنى؛ والأرضين في اليد الأخرى.
السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.
السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.
الثامنة: قوله كخردلة في كفّ أحدكم.
التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء.
العاشرة: عظم العرش بالنسبة للكرسي.
الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.
الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء.
الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.
الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.
الخامسة عشرة: إن العرش فوق الماء.
السادسة عشرة: إن الله فوق العرش.
السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.
الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.
التاسعة عشرة: ان البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة. =

مسطحة أو ثابتة كما حاول فقهاء الوهابية أن يؤكدوا ذلك[١].

المأزق الوهابي بين نبذ المقدس. وتقديس المدنّس

لم يعلم الوهابيون انهم كانوا داخل الدائرة التي حذّر النبي ﷺ من الوقوع فيها، كما وقع فيها من سبقهم بل هم مركز هذه الدائرة وربما علموا ولم يعترفوا بذلك، فظلوا يرددون الحديث المنسوب له ﷺ (لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذارع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ . وقال: ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم من أهل الكتاب حذوا القذّة بالقذة) وأن هذه الأمة ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إلا واحده. وقد عرضوا أنفسهم وكأنهم هم هذه الفرقة الوحيدة الناجية، مع انهم التقوا مع اليهود والنصارى على أرضية واحدة، يكفرون بالقران بعد ان أوّلوه وفسّروه على هواهم، ويكون تأويله هو قرآنهم الحقيقي، ويتوجهون إلى وثن معبود رسمته مخيلاتهم أو رسمه لهم من اندس في هذا الدين، وأخذ ينخر فيه من داخله. . . فهم اقرب من غيرهم إلى الهاوية مع انهم ادعوا تمسكهم بالقران والسنة التي ابتدعتها لهم دائرة النفاق الرئيسية المتمثلة بالشجرة الملعونه في القران الكريم، بني أمية وال مروان والتي وردت تحذيرات شديدة من فتنتها على لسان الرسول ﷺ . .

= لقد جاءنا الشيخ بهذا العلم وجزم به بعد أن جزم به الحبر اليهودي وضحك له رسول الله ﷺ، وأنزل الله فيه أية تؤيد ذلك، وكأنها جاءت بتفاصيل ذلك كله، كما يريد أن يوحي الشيخ بعد أن اغترف من الأحاديث المنسوبة للرسول زوراً وبهتاناً. كتاب التوحيد/ دار الكتب العلمية/ بيروت ط - ١٩٨٩ - ص ١٦٤ - ١٧٤.

(١) فقد كتب الشيخ عبد الله بن باز رسالة (علمية) يثبت فيها عدم كروية الأرض وأسماها (رسالة الادّلة النقلية والحسية على جهيان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب) راجع الفتاوى ج ١ - طبعة خاصة للشؤون الإسلامية بسفارة خادم الحرمين الشريفين بواشنطن ١٤٠٩ هـ ص ١٢.

ولأن الوهابين اعتصموا بهذه (الشجرة الملعونه) رغم انهم يعلمون جيداً أن لا ثمار ولا مناقب لها، بل لانها تفيأت على ملك عضوض آخر أقاموا على نفس الذرائع المزيفة التي ارست دعائم حكم الامويين، فانهم جعلوا أنفسهم ورثة وأولياء لهم... فنبذ المقدس وتقديس المدنّس لم يكن ليتم دون سبب، ولم يكن التجاهر به ممكناً دون التظاهر بنقيضه وهو ادعاء التمسك بالإسلام وبعض الطقوس المظهرية التي تّجمل صورهم بأعين المسلمين.. مع أنهم لم يعتقدوا أن مهمتهم ستكون سهلة.. فشدّ الناس إلى هذه الشجرة وإلى المنبر الاموي وإبعادهم عن الحضرة النبوية المطهرة وشجرته المثمرة لن يتاح لهم بوسائل عادية إنما بأساليب معقدة جديدة وبعقلية شيطانية[1].. وقد بدأت بالدعوة لتعطيل العقل وتجميده والايمان بالإرجاء والعزلة وإطاعة الحاكم الظالم والاعتقاد بأن الخير والشر كله من الله وبإرادته. لقد حاولوا تكبيل العقل بالنصوص التي سطرها الآباء والاحبار ومنعوه من الحركةبعد ان نسبوا تلك النصوص للرسول ﷺ وأمروا الناس بالالتزام بها حرفياً ولم يتيحوا لهم حرية تفسيرها. وقد أصبح تعطيل العقل طقساً واجباً والتفكير فريضة معطلة. فكأن الإسلام جاء لإناس لا عقول لهم ولا إرادة ولا رأي وهكذا سادت المفاهيم السلبية التي تدعو للعزلة وعدم الاكتراث والتواكل والهزيمة حتى يتمكن (ولي الأمر) المزيف من تمرير كل مشاريعه وانحرافاته...

ان ذلك يتم في (العصر الوهابي) تحت مظلة محاربة أوثان مزعومة لم تخلقها إلا خططهم بدعوى عبادة إله خلقه لهم خيال وثني ماكر بدلاً من عبادة

---

(١) هكذا نكتشف سبب حرصهم المحموم لتنفيذ مشروعهم الذي يستهدف محو وتدمير كل ما شأنه أن يذكر الناس برسولهم وآل بيته وصحابته في الوقت الذي يسعون فيه لرعاية الشجرة الاموية الملعونة وسقيها وحراستها، رغم انها لم تخضر ولم تثمر، بل كانت مأوى لأبطال الانحراف على مرّ التاريخ الإسلامي.

الله الذي لا تدركه الابصار، لا تحيط به العقول ولا ينافسه قبر أو ضريح أو حتى أكبر عمارة أو بناية حتى تعبّد من دونه. ان مكتشفات العلم الحديث التي صار بامكان الجميع أن يطلعوا عليها تخرج بنا من حدود الأرض والشمس إلى الفضاء الاوسع الذي يضم ملايين المجرات التي تضم كل واحدة منها مليارات الكواكب والنجوم، وكل منها أكبر من الأرض ملايين المرات. ولا ندري هل ان هذه المجرات التي اكتشفها العلم هي في السماء أو غيرها. فكيف يمكن ان نجعل خالقها جميعاً على كرسي محدود الحجم فوق هذه الأرض الصغيرة التي لا تعدو أن تكون ذرة صغيرة بالنسبة إلى ما خلقه. انه العقل الحسي الطفولي الذي لا يستطيع صاحبه النظر إلى أبعد من أنفه.

ولن يكون من الصعب على المسلمين اكتشاف اللعبة الوهابية؛ التي تُؤدى بدأب وحرص ومهنية عالية، عندما يكتشفون واقع ما يؤمنون به انهم امتداد للعبة خبيثة وفتنة ماحقة بذرت بذورها في وقت مبكر من ولادة الإسلام وسقتها الايادي الغريبة من الاحبار والآباء التي حاولت العبث والتلاعب والتي نشأت على المزاوجة بين أديانها وبين الوثنية. (لهذا قال بعض أهل الكتاب ان المسلمين هم اتباع المسيح الدجال، ظناً منهم ان المنافقين هم قاعدة الإسلام العريضة، ولكن هذا فهم خاطئ، فالمعروف تاريخياً أن النصرانية تقدم الكثير من التسهيلات لعبدة الاوثان لكي يعتنقوا النصرانية)[1]. . وقد استندوا إلى الكم الكبير من الاسرائيليات المتسربة كأحاديث منسوبة للرسول ﷺ اعتقاداً

(١) جاء في كتاب: يسوع المسيح؛ تأليف القس بولس إلياس (إنه في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا غريغوريوس الاول إلى القديس أغسطينوس أسقف كنبري بريطانيا يقول: دع البريطانيّين وعاداتهم، وأبق لهم أعيادهم الوثنية، واكتف بتنصير تلك الاعياد والموائد واضعاً اله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين) ملكوت الله، عبد المجيد الجندي ص ١٧٣ راجع سعيد أيوب: عقيدة المسيح الدجال، دار الهادي، بيروت ط١ - ١٩٩١ ص ١٨٩ - ١٩٠.

منهم ان جميع المسلمين قد انطلت عليهم الأكاذيب والتخرصات التي حملتها هذه الاسرائيليات. ان هناك من يمهد لإقامة مجتمع النفاق الذي لاتهمه إلا المظاهر والذي تنخره سوسة الكذب والغش والاحتيال، وتكبله أغلال أهل الكتاب الذين بثوا طلائعهم في الإسلام وبشروا بدين لم يدع إليه محمد بن عبد الله ﷺ وبإله لم يعرفه، لأن الذي رسمه هو مخيلاتهم التي لم تتعرف على طريقه ولم تهتدي بهداه. انها اعتقدت ان ما نجحت فيه مع الوثنيين المتحولين إلى المسيحية ستنال به إعجاب المسلمين وانبهارهم. غير ان ذلك لم يحدث إلا على نطاق محدود، إذ ترفض الاغلبية من المسلمين تمرير الاسرائيليات وهضمها، وإذا ما ظن المنافقون أنهم عبدّوا الناس لإلههم وأنجزوا مهمتهم عندما أسكتوا الاصوات عن استنكار تصرفات أبطال الانحراف وخططهم وبدوا كأنهم قبلوا تزويراتهم وأكاذيبهم.

○ ○ ○

وعندما جعلوا أنفسهم سدنة حُماة لمنهجهم.. بادعاء انهم على منهج السلف الصالح والمتحدثون باسم جميع المسلمين. فان واقع الحال يكشف عن ان المسلمين لم ينخدعوا بضجيجهم وحماسهم المزيف؛ ولم يقبلوهم متحدثين باسمهم أو مدافعين عنهم..

فالعقول لن يلغيها إلا خالق العقول وتضليل عشرات الملايين من الناس لن يكون أمراً ممكناً في وجود كفاءات لا يستهان بها بين أوساط المسلمين وغيرهم.

○ ○ ○

إن المدونات التاريخية والتراثية العربية تتحدث عن انتهاك مبيّت لقيم الإسلام وشريعته؛ من قبل الامويين تزامن مع القيام بأكبر حملة تزوير للحديث

النبوي. وقد أخذ الانحراف صفة العلن منذ يزيد، حيث لم يجد ما يدعوه إلى التستر على سلوكه بعد سقوط الأمة جثة هامدة بين يديه، ثم استمر من جاء بعده على منواله فكانت الخلافة والتهتك والاسراف في الملذات وبناء القصور واقتناء الاف الجواري والغلمان من لوازم العرش وخصوصياته وليس لأحد توجيه أي نقد (لولي الأمر) المنحرف الفاسد. . حتى ان بعض (الخلفاء) العباسيين كانوا متخصصين في الغناء واستعمال مختلف آلات الطرب، وكانوا ينافسون المغنيين المحترفين وكان ذلك مدعاة لتفاخرهم واعجابهم بأنفسهم، فكأنهم يديرون ماخوراً كبيراً؛ وليسوا خلفاء لرسول الله ﷺ كما يحاولون عرض أنفسهم.

○○○

إن موالاة الخط الاموي المنحرف عن الإسلام علانية يضع الوهابيين المتزمتين في مأزق كبير، لا تخرجهم منه إلا الاحاديث الموضوعة بشأن إطاعة الحاكم الامير مهما فعل وكيفما تصرف. غير ان ذلك لن يكون مقبولاً من غيرهم مهما كانت قناعتهم به.

وقد التفتت بعض الفئات منهم إلى ذلك مؤخراً فأخذوا يوجهون النقد وينظرون بحذر إلى ممارسات (الخلفاء) السابقين من الامويين وغيرهم غير المنضبطة، وإلى ممارسات الأمراء والملوك واعضاء البيت السعودي الحاكم التي فاق بعضها التصرفات السابقة بعد تدفق أموال البترو دولار بشكل مذهل يفوق تصوراتهم. رغم حملات التعتيم على مباذل ومفاسد رموز هذه العائلة، عندما يخرجون من قمقم بلدهم إلى فضاءات الحرية المنفتحة في الغرب، وبعض دول الشرق؛ فان ما تسرب من أخبارها يرسم صورة واضحة لخلاعة واستهتار من يضعون انفسهم في مرتبة ولي الأمر واجب الطاعة، ويؤكد عدم صلاحيتهم لقيادة قطيع صغير من الخراف حتى لا يضيعوه أو يقامروا به. .

وتبرز قصورهم الباذخة وما تحفل به من أدوات لهو وترف أمام حالة الفقر العامة، وفي بلدهم وفي البلدان الإسلامية شاهداً على استئثارهم بكل الخيرات وعبثهم بها ودون رقابة ودون ضوابط (شرعية) - و(إنسانية). ولعل الشيء الوحيد الذي أبدوا فيه كرمهم تجاه المسلمين هو تزويد الحركات المتطرفة بالأموال والسلاح لتدمير العالم مستغلين حالة الفقر والتخلف في العالم الإسلامي لبث أفكارهم المتطرفة.

صحيح ان المتطرفين المدعومين بأموالهم سينجحون في مهمة التدمير هذه؛ غير انه لن تستثنى منه الخاضنة الام التي تنتج الافكار الوهابية المتطرفة؛ فهي ليست جزيرة معزولة بعيدة أو أنها في كوكب آخر، بل هي في قلب العالم الإسلامي المضطرب بسببها هي، وإذا ما استطاعت تفادي نيران الحرائق بمصادفات سعيدة ومساعدات من حلفاء تقليديين لهم مصلحة في بقائها. فان المصادفات السعيدة لن تتكرر دائماً، ومصالح الحلفاء قد لا تتحقق في المستقبل عن طريقهم وبواسطتهم..

ويبد الآن أن لا أحد سينجو من النار التي أجّجوها ولا بد ان يكونوا من ضحاياها على المدى القريب إذا ما استمر تسارعها بهذا المنوال الجنوني.

○○○

بين منع الحديث الصحيح وضخّ الاسرائيليات المزوّرة - عودة إلى حديث سابق-

تحدثنا في الفصل السابق عن منع الحديث النبوي الصحيح وضخّ الاسرائيليات المزوّرة، ونضيف: أن اهمال السنة النبوية ومنع المسلمين من التدوين ورواية الحديث في عهد الخلفاء الامويين حتى بداية الحكم العباسي أيام أبي جعفر (المنصور) في منتصف القرن الثاني؛ سبب ضياع اعداد كبيرة من الأحاديث بعد ان مات الصحابة وأغلب التابعين وتابعي التابعين. ورواية

الاحاديث، بعد كل هذه المدة من الذاكرة يفسح المجال للتغيير والتبديل والتزوير والوضع. فالذاكرة لا يمكن ان يعول عليها لحفظ كل شيء كما هو، هذا إذا كانت النوايا سليمة، اما في اجواء اضطربت فيها الامور واختلف فيها الناس وتوالت سلسلة طويلة من الحكام، فان التغيير والتحريف كان متعمداً معروف النتائج. المهمة الأكثر اهمية هي تمحيص السيرة النبوية، أي فرز السيرة الواقعية عن السقيمة والمزيفة المنقولة عن طريق اناس غير ثقات أو معرضين للخطأ والنسيان وذلك لا يفي الشك في السنة وانما هو طريق للوصول إلى الحقيقة بعد البحث والتدقيق في السند والمتن.

نشير هنا إلى كلام جميل للإمام أبي حنيفة النعمان بيّن فيه ان تكذيب الحديث لا يلازم تكذيب النبي ﷺ، وانما يراد به تكذيب الراوي. (اكذّب هؤلاء، ولا يكون تكذيبي لهؤلاء وردّي عليهم تكذيباً للنبي ﷺ. انما يكون التكذيب لقول النبي ﷺ ان يقول الرجل: انا مكذب لقول نبي الله ﷺ. فأما إذا قال الرجل: انا مؤمن بكل شيء تكلم به النبي، غير ان النبي لا يتكلم بالجور، ولم يخالف القرآن فان هذا القول منه هو التصديق بالنبي والقرآن، أو تنزيه له من الخلاف على القرآن، ولو خالف النبي القران تقوّل على الله غير الحق، لم يدعه الله حتى يأخذه باليمين ويقطع منه الوتين كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

ونبي الله لا يخالف كتاب الله تعالى، ومخالف كتاب الله لا يكون نبي الله[١].

(١) العالم والمتعلم - أبو حنيفة/ تحقيق محمد رواس قلعة جي وعبد الوهاب الهندي الندوي. مكتبة الهدى - حلب ١٣٩٢ هـ ص ١٠٠ - ١٠١.

فأبو حنيفة هنا يقطع الطريق على أولئك الذين يريدون اخذ كل الأحاديث المروية عن النبي ﷺ جملة وتفصيلاً وعلى علاتها دون غربلة أو تصحيح أو عرض على كتاب الله أو تدقيق بالنصوص أو الرواة ويريد العودة إلى الاصل ولما جاء به الإسلام وهو تطبيق كلام الله وعدالته في خلقه ويؤكد ان الشك ليس في السنّة الواقعية انما في (السنّة) المتداولة المنقولة عن طريق رواة مختلفين من الصحابة وغيرهم.

وأخيراً:

ان من أهم الاسباب التي دعت إلى غربلة الحديث النبوي وتنقيته رواج الكذب على رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته، وقد تنبأ هو ﷺ بذلك واشار إليه إشارات صريحة: قال «**من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار**» وهو حديث متواتر متضافر[١].

ومن الطبيعي ان يلجأ اولئك الذين لفقوا الأحاديث في حياته إلى تصعيد وتائر التلفيق والكذب والتزوير بعد وفاته في تناسب طردي بين بُعد المدة وازدياد الاحاديث المكذوبة التي بلغت مئات الالوف[٢].

---

(١) الحديث النبوي ص ٣٧.

(٢) وكلما بُعد الناس عن عصر الرسول ازداد عدد الاحاديث، حتى أن الإمام البخاري اخرج صحيحه عن ستمائة الف حديث (ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ١/ ٢٩) وان أبا داود قد اورد في سننه أربعة الاف وثمانمائة حديث وقال: انتخبته من ٥٠٠ ألف حديث (سنن أبي داود) قسم المقدمة، كما ان مسلم اورد في صحيحه أربعة آلاف حديث مع حذف المكررات وقال انتخبتها من ٣٠٠ ألف حديث (تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٨٩) وذكر الإمام احمد بن حنبل في مسنده قرابة ثلاثين ألف حديث، وقد انتخبها من أكثر من سبعمائة ألف حديث، وكان يُحفظ ألف ألف حديث (تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٣١ برقم ٤٣٨) ولأجل ذلك نرى ان قمة هرم الأحاديث تتصل بزمان النبي ﷺ وقاعدة ذلك الهرم تنتهي إلى القرون المتأخرة فكلما قربنا من عصر النبي ﷺ نجد قلة الحديث عنه، والعكس بالعكس المصدر السابق ٣٧ - ٣٨.

وقد ادلى مستسلمة اليهود والنصارى وغيرهم من الاحبار والرهبان بدولهم حينما ضخوا كماً هائلاً من إسرائيلياتهم التي تتحدث عن تشبيه وتجسيم الذات الالهية وبثوها على انها من أحاديث الرسول ﷺ وقد انطلت على بسطاء الناس ولامست العقليات الطفولية لأغلبهم[١].

وقد اورد ابن خلدون رأياً جميلاً في تقبّل البدو الاميين لمرويات أهل الكتاب لتعزيز تصوراتهم البدائية الساذجة:

(ان السبب في ذلك ان العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وانما غلبت عليهم البداوة والامية، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكوّنات وبدء الخليقة واسرار الوجود؛ فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات؛ واصلها كما قلنا عن أهل التوراة[٢].

إن المتاجرين بالحديث والمستفيدين من وضعه قدموه هدايا شبه مجانية للحكام في محاولات للتقرب منهم، كما أن بعضهم استخدموه لنصرة مذاهبهم وتوجهاتهم، الزنادقة واصحاب الاهواء ادلوا بدلوهم أيضاً ووضعوا الكثير من الاحاديث.

وقد ذكر ابن الجوزي أسباباً مهمة وراء الغارة على القرآن الكريم والحديث النبوي، يقول: (ولما لم يمكن احد منهم ان يدخل في القرآن ما

---

(١) على هذا الوتر ضرب ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب عندما عمدا إلى ترويج هذه الاحاديث الكاذبة بين أتباعهم المفرغين من العلم المعرفة.

(٢) المقدمة: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢ هـ.

ليس منه، أخذ اقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ وينقصون ويبدلون ويضعون عليه ما لم يقل)[١].

وقد اختلفت دوافع وصنّاعي ومزوري الأحاديث والأخبار[٢]، فربما كانت لاشعورية تدفعهم إلى التزيّد أو النقص لا يرون حين تأديتها إلا أنهم يقومون بوظائفهم في تأدية ما يعتقدونه واقعاً، وربما كانت بدافع عامل الكبر والنسيان وضعف الذاكرة مع الاختلاف بالفهم وحسن التلقي. وربما كانت شعورية يشعر فاعلها بما هو مقدم عليه استجابة لبعض العوامل والاسباب التي قد تكون مادية مصلحية أو سياسية أو عنصرية أو قبلية. وقد رأينا مصاديق كثيرة لمثل هذه الدوافع غير النزيهة، والتي تصب لمصلحة ساسة أرادوا توظيف كل شيء لصالحهم كعاهل البيت الاموي الأول ومن جاء بعده.

قد شاع الكذب على رسول الله ﷺ حتى قال ابن عباس في ذلك «إنا كنا نحدث عن رسول الله، إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس من الصعب والذلول تركنا الحديث عنه» وربما كان أبو هريرة من هؤلاء فقد استكثر عمر بن الخطاب عليه كثرة رواياته مع قصر المدة التي عاشها مع النبي ﷺ. ونظير هذا ما شاع عن القصاصين، «**ومعظم البلاء في وضع الحديث؛ فيما يقول ابن الجوزي من القصّاص**»..

وقد يكون العامل العقيدي دافعاً للوضع والدس خدمة للمبادئ التي يؤمن بها الواضع، إذ يعتقد أن خدمة مبادئه تبرر له التجني والكذب عَلى حساب التاريخ. ففي صدر الإسلام عندما كثرت الفتوح واعتنق قسم من الملاحدة

(١) الموضوعات - عبد الرحمن بن الجوزي - دار الفكر ط٢ - ١٤٠٣ هـ ١ - ٣١؛ عن كتاب الحديث النبوي.

(٢) الحكيم: محمد تقي - مناهج البحث في التاريخ - مكتبة المنهل - دار الزهراء - بيروت - لبنان ط ١ - ١٩٧٨.

والمسيحيين واليهود الإسلام، كان الكثير من الوضّاعين من هؤلاء، من هنا وجدنا في أكثر التفاسير وكتب الحديث أخباراً تشيع فيها الخرافة، وعليها طابع واضعيها لمشابهتها لما ورد في كتبهم مع اجراء بعض التحوير والتشويه فيها فابن أبي العوجاء - وهو من هؤلاء - يصرح عند وفاته انه وضع في أحاديث المسلمين أربعة الاف حديث، حلّل بها الحرام وحرّم بها الحلال[١].

إن بعض ارباب المذاهب لا يتحرجون من الوضع في سبيل دعم مذاهبهم ويذهبون إلى حد الادعاء أن النبي ﷺ قد بشّر برؤساء هذه المذاهب كما نسب اتباع أبي حنيفة إلى النبي ﷺ قوله: «ان سائر الأنبياء تفتخر بي وأنا أفتخر بأبي حنيفة. الخ» حديث ضعيف وموضوع. وربما كان لبعض الصوفية دوافعهم لوضع بعض الاحاديث أو الاعتماد على الرؤى والمنامات. كما ان للكلاميّن دوافعهم أيضاً وبخاصة في مسائل صفات الله والقضاء والقدر، كما انتشر نوع من الوضع منشؤه ادعاء الحرص على مصلحة الدين قد شاع بين الزهاد والقديسين في العصور الإسلامية الأولى حتى قال يحيى بن سعيد القطان وهو الرجالي المعروف: «ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد» وقال: (ما رأيت الصالحين في شيء اكذب منهم في الحديث) وكانوا يتقربون إلى الله في ذلك. قيل لأبي عصمة من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: اني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن فوضعت هذا الحديث حسبة. وقال ميسرة بن عبد ربه عندما قيل له: من أين جئت بهذه الاحاديث. قال: وضعتها أرغب الناس بها. وقال: (اني احتسب في ذلك). كما برر أحدهم فعله في وضع الحديث

(١) قد اعتمدت أحاديث هؤلاء لدى الفقهاء امثال ابن تيمية وبعض المذاهب المستحدثة؛ مثل الوهابية لاعتناق عقيدة التجسيم والتشبيه للذات الالهية؛ وهي بعيدة عن العقيدة الإسلامية الصحيحة كما جاء بها القرآن الكريم.

في فضل القرآن انه كان يحب ان يرغب الناس فيها. فقيل له: فان النبي ﷺ قال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فأجابهم: أنا ما كذبت عليه؛ وإنما كذبت له. فكأن النبي ﷺ بحاجة إلى الكذب لدعم وتأييد رسالته.

ويبدو الغرض مما ثبته الوهابية من اوهام حول (خطر) زيارة النبي ﷺ وأهل بيته وصحابته والأولياء والصالحين؛ اضافة (الاخطار) أخرى توشك ان تحيط بالمسلمين؛ وتطيح بكيانهم **مثل السحر**. انها تريد اشغال المسلمين بهذه الاخطار المزعومة عن الاخطار الحقيقية التي يتعرضون لها بسبب الوهابية نفسها. إذ لولاها لتقاربوا وتحاوروا واصبحوا قريبين من بعضهم واستطاعوا حل مشاكلهم والتغلب على التخلف والفقر والجهل المنتشر بين صفوفهم والتي تمثل عدوهم الأول..

لا يمكن - كما يقول الكاتب الفرنسي - ان يكون مشروعهم بريئاً لا يستهدف إلا تهديم الاضرحة أو القبور التي تعلو عن الأرض عشرة سنتيمترات وحسب، لتزال كل مشاكل المسلمين وتصبح الأرض عامرة بالخير العطاء. بل انه يريد تفاقم الاوضاع لتزداد سوءاً.. وبعد ذلك ستتضح حقيقته للجميع بعد أن اتضحت لمن تخصصوا في دراسته.. فهل سيكون ذلك في الوقت المناسب؛ أم بعد فوات الأوان؟

الفصل السابع

تدمير المعالم الإسلامية خطوة نحو تدمير العالم الإسلامي (قرنا الشيطان): ما وراء اللعبة الوهابيّة

الفصل السابع

تدمير المعالم الإسلامية خطوة نحو تدمير العالم الإسلامي (قرنا الشيطان): ما وراء اللعبة الوهابيّة

لو أنّ حصيلة جهود عدة عبقريات تضافرت لخلق مشروع من شأنه تدمير حصون المسلمين وشلّ قدراتهم، لما استطاعت مضاهاة عبقرية خالق المشروع الوهابي، الذي بدأ تأسيسه عن طريق الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل أكثر من قرنين ونصف في نجد في شبه الجزيرة العربية، وكان هو الواجهة المعلنة له المبشّر به على امتداد أكثر من نصف قرن.

ومهما تكن الاستنتاجات التي توصل إليها الباحثون عن أصل هذا المشروع والعقول الخفيّة التي كانت وراءه، فإن نسبته للأسلام وتدثره باغطيته وشعاراته والتزامه بالمظاهر العبادية الظاهرية جعل مهمته سهلة في تشتيت قدرات المسلمين، ووضعهم بعد ذلك في مواجهات وصراعات غير مبررة مع بعضهم ومع الآخرين. وإذا ما بدا المشروع الوهابي ساذجاً في أدواته وطروحاته ومتحيزاً إلى منهج خاص في التحريف والتزوير وحجب الحقائق بغية تمرير تلك الاطروحات، فينبغي أن لا يشك أحد بقدراته على التمويه والتضليل وتوظيف النصوص الدينية لصالح منهجه الذي بدا محكماً ومعقولاً بنظر اتباعه، الذين لم يكونوا من المعنيّين بالتعمق في الدراسات الفقهية واللغوية والأدبية، وإنما من عوام البدو الذين لا يجيدون حتى القراءة الابجدية. فالمشروع الوهابي الساذج بنظر الأغلبية الساحقة من المسلمين

استطاع أن يعيش طوال هذه المدة لأنه وضع في حاضنة مناسبة وفي الوقت المناسب، ولأن ضربة حظ موفقة من البداية استطاعت ان تجمع شريكين طموحين (محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود) لتفريخ بيضة الوهابية التي ما كان لها ان تفقّس في حاضرة إسلامية متمدنة، أو جامعة علمية رصينة مثل الأزهر أو النجف. وما كانت الفرصة ستتاح له لكي ينتشر ويتمدد في أجواء الحراك التقافي أو الحضاري حتى النسبي منه في أي منطقة أخرى عدا الحاضنة الأم ((نجد)) التي ظلت تنتج مفاهيم وقيماً لا تنتمي إلى حقيقة التصور الإسلامي وبديهياته المعروفة. بل ليمكن القول انه ما كان لينجح حتى في (الحجاز) القريب مقرّ الحرمين الشريفين. وقد سلبت آراؤه الضبابية ألباب الطلائع الأولى من عوام البدو، وأغلبهم من الشباب المتحمسين للغزو والنهب - فيما كان يعتبر بطولة في أعراف الصحراء - والذين لم يتمتعوا بأي قدر من المعرفة أو الخبرة. خصوصاً بعد أن جعل غزواتهم مشروعة باسم الدين لنشر التوحيد (الصحيح). فاندفعوا خلفه بحماس ديني أضافوه إلى حماسهم المتوراث في برّيات الرمل القاسية. وتلك كانت ضربة حظ موفقّة بنظرهم ومسنودة من قبل العناية الالهية أنّ (دعوة التوحيد الجديدة) انطلقت من احدى قراهم «المباركة»؛ الدرعية، التي شخصت في أذهانهم مساوية للمدينة المنورة؛ مدينة هجرة الرسول، وأنهم اختيروا بتسديد الهي خاص لنشرها بعد ان كانت تندثر، متوهمين ان شيخهم كالنبي في بداية دعوته وانهم يقومون بنفس دور الاسلاف من الصحابة؛ الذين هاجروا معه والذين ناصروه قبل ألف وأربعمائة عام.

ولولا (نجد) المنبوذة والجاثمة على حافات المناطق المتحضرّة، ولولا القرن الثاني عشر والأيادي الخفيّة المتمرسة بإقامة أوكار الخديعة المجلوبة من وراء البحار والتي اعتادت الهيمنة والتسلط لما أمكن لهذه الدعوة أن تقوم

وتنمو وتزدهر إذ لا يعقل ان يتمكن الشيخ الوهابي بقابلياته الفقيرة والمحدودة من إقناع اناس أسوياء لهم نصيب من العلم أو التصاق وثيق بأحد المذاهب الإسلامية السائدة، وشدّهم إلى أوهام ومزاعم لا تقوم على متبنّيات أي مذهب وجعلهم يعتقدون كما اعتقد أولئك البدو أنهم الفرقة الناجية التي امتلكت الحقيقة دون المسلمين جميعاً، وان خلاص العالم بأجمعه على أيديهم.

لا بد أن هوساً غريباً ناتجاً عن تصورات ساذجة هو الذي دفعهم لذلك وان عقولهم كانت مستعدة لتقبّل غسيل الافكار هذا، حيث انها كانت غائبة عن نتاج الفكر الإنساني المتقدم، إن التجربة الإسلامية افرزت كيانات وتيارات ومذاهب عديدة ادعى كل منها أنه فهم الإسلام - دون غيره - فهماً صحيحاً. . وكما افرزت في صدر الإسلام الخوارج الذين شذوا عن كل المذاهب والرؤى الإسلامية المعقولة، واندفعوا وراء تصوراتهم وعقائدهم الشاذة بهوس واندفاع حتى الموت، فانها مؤخراً أفرزت الوهابيين كنمط خوارجي جديد لا يقل جهلاً وتشدداً عن جهل وتشدد أسلافهم القدامى؛ وإن ادعوا عداوتهم والبراءة منهم. وقد بدت الفترة الطويلة لسباتِ الخوارج وعقائدهم والتي امتدت ألف عام كافية لينساها المسلمون، وإن ظلت مسطورة في مدوّناتهم التاريخية، إلا انها بعثت من جديد بروح متحفزة مشاكسة على يد الوهابيّين وكأنها ولادة جديدة لا تمت لتلك الأولى بصلة تدّعي حمل مشروع اصلاحي نهضوي يستهدف تنقية الإسلام مما علق به من شوائب وإعادة سيرته الأولى؛ مع أنها في حقيقتها نسخة من المشروع الخوارجي الأول[1].

(١) ولعل من اسباب عدم اهتمام الدراسين بالخوارج اعتقادهم أنها ظاهرة منتهية أو مقطوعة زمانياً وتاريخياً وانها لن تتكرر ثانية. وربما غاب عنهم أنّ عواملها ومسبباتها الاجتماعية والنفسية والثقافية قد تكون في كل عصر، مع انها قد تكون خاملة. لكنها قد تظهر بمسميّات إشكال جديدة. وهو ما حدث في الفترات المتأخرة إذ تقمصت الوهابية منذ =

وإذ يتعدّى أوّل الخوارج الخطوط الحمر ليوجه النقد اصابع التشكيك إلى الرسول ﷺ، فإن نتاج سلوكه هذا سيكون نتاج تيار متطرف بأكمله يدعي الانتماء للإسلام ولرسوله، ولكنه يتصرف وفق اجتهاد زعمائه الذي لا ينسجم مع مجمل العقيدة الإسلامية العامة؛ ولا يتطابق معها[1]. فكأن الرسول جاء

= أكثر من قرنين ونصف المنهج الخوارجي العام، رغم تذرعها بغطاء اصلاحي براق وجد تقبلاً في بيئة (نجد) في البداية؛ وفي أماكن اخرى من العالم الإسلامي فيما بعد وحتى وقتنا الراهن.

(١) لقد اشارت العديد من الوثائق والمدوّنات التاريخية الإسلامية وكتب السيرة والحديث إلى واقعة مهمة، مفادها ان النبي ﷺ كان يوزع بعض الاموال بين المسلمين، وقد اعترض على قسمته رجل من (تميم) يقال له (ذو الخويصرة) قائلاً: لم أرك عدلت! فغضب النبي وقال له: ويحك، إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ وقد حاول أحد أصحاب النبي قتل هذا الرجل لاعتراضه عليه وأسلوبه الفج معه، إلا أنه ﷺ منعه من ذلك قائلاً: «دعه، فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين [يتبعون أقصاه] حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية» ابن هشام/ السيرة النبوية ط مصر ١٩٥٥م ٢/ ٤٩٦.

وورد في (صحيح البخاري) أن رجلاً (غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية محلوق الرأس، مشمّر الازار قال للرسول ﷺ: يا رسول الله اتّق الله! قال: ويلك أولست أحق أهل الأرض ان يتّقي الله؟ ثم ولّى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: لا: لعلّه يصلي، فقال خالد: وكم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: إنّي لم أؤمر أن أنقّب قلوب الناس ولا أشق بطونهم. ثم نظر إليه وهو مقف فقال: إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأظنه قال: لئن ادركتهم لأقتلنّهم قتل ثمود) صحيح البخاري - شرح ابن حجر، ط مصر ١٩٥٩؛ ٩٠/ ٩٢١.

وورد في صحيح مسلم قول النبي ﷺ: انه سيكون من جنس هذا الرجل قوم يمرقون من الدين آيتهم رجل أسود محدّج اليد، وفي رواية أخرى في صحيح مسلم: «يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق» صحيح مسلم - شرح النووي ط القاهرة ١٩٣٠؛ م/ ٧ ص١٦٥ - ١٦٧. قد ورد ان اسم هذا الرجل ذو الخويصرة حرقوص بن زهير السعدي التميمي. =

بالدين من عنده وأن له رؤيته الشخصية التي تختلف عن رؤية الوحي، أو أنه يتصرف بوحي من مصالحه أو مزاجه الخاص؛ كما يتصرف أي إنسان عادي لا يحمل التصور الإسلامي الصحيح، وأنه مجرد ناقل الرسالة لا يعرف حقيقة محتواها، كما انه عديم الخبرة بالامور الحياتية العامة كما نسبوا إليه قوله: (انتم أعرف بدنياكم) وبذلك يتفوق عليه حتى معاوية أو يزيد وأنه وعاء فارغ للقرآن الذي نزل عليه وبلّغ به المسلمين وانتهت بذلك مهمته. ليظل تفسير القرآن وتأويله والعمل به من مسؤوليات المسلمين يجتهدون كيفما شاؤا حسب فهمهم.

ولذلك كان استعداد الخوارج من قبل؛ ثم الوهابيّين بعد ذلك لمناكفه ومشاكسة جميع المسلمين بخصوص الاجتهاد غير المنضبط، وكأن الرسول ﷺ لم يكن شريك القرآن، بل هو القرآن الناطق الذي هو مصداق وترجمة حقيقية للقرآن المنزل، مع انهم يستندون لإثبات دعاواهم وأفكارهم إلى مايلائم مشروعهم من أحاديث مسندة للرسول نفسه، اغلبها ملفق وغير حقيقي.

المطابقات مع الاوائل تؤكدها مجمل سيرة شيخ الوهابيين الذي ادعى فهم القرآن دون بقية المسلمين، خصوصاً الذين عاشوا بعد القرون الثلاثة الأولى (قرون الخيريّة) بزعم من استند إلى حديث منسوب للرسول بهذا الشأن.

وقد تعامل بطريقة انتقائية مع القرآن الكريم بتفسيره على هواه ودعوة

= والضئضئ الاصل والمعدن والعشيرة، لا النسل والعقب فالرسول يؤكدَ أنّ ظاهرة هذا الخارجي سوف تتكرر في عشيرته وقومه وأشباهه، وانها لن تستأصل حتى وإن قتل وصفيّ جسدياً. وحديثنا هنا ينصبّ على الظاهرة الخوارجية التي تميل للنقد المتشدد غير المنضبط وفق رؤيتها هي بدعوى الاصلاح والأمر بالمعروف النهي عن المنكر، وبروزها الآن في الحركة الوهابية، والحركات التكفيرية الأخرى التي خرجت من عباءة الشيخ ابن عبد الوهاب بعد ان أصبح مرجعاً لها؛ مثل اغلب التنظيمات الإسلامية العاملة في الساحة الآن.

اتباعه إلى انتهاج منهجه والخروج من ربقة التقليد حسب ادعائه. وكما فعل اسلافه الخوارج فانه استند إلى الآيات الواردة في كفار قريش لتكفير المسلمين الذين يؤدون الشهادتين، ويؤدون فروض دينهم بزعم انهم مشركون و(كفار بالمعصية) وتبنى الاحاديث الموضوعة المنسوبة للنبي (كما أوضحنا) لتقوية وتعزيز مشروعه التقاطعي التخاصمي مع المسلمين، رغم ضعف سندها وتدليس رواتها، وعدم مطابقتها لنهج القرآن العام ومجمل السيرة النبويّة.

إن حالة التشويش والارباك التي نجمت عن تداعيات المشروع الوهابي، أتاحت لقادته الافادة من الخزين البشري الخام؛ من الاجيال الجاهلة والمضللة وتجنيدها لخدمة أهدافهم.

○ ○ ○

ومع إنّ المشكلة لا تتمثل بعدد المنتسبين إلى الخط الوهابي، فهم قلة ضئيلة نسبة إلى مجموع المسلمين؛ وقد لا يتجاوزون واحداً في المائة منهم، فإنها تتمثل بقناعاتهم المطلقة بأفكارهم المحدودة، التي ترسخت نتيجة تلقيهم إياها باسلوب نسقي تلقيني مكرور معد سلفاً من قبل المؤسسات الدينية الوهابية، والتي تعاملت بصبر ودأب مع موروثها الذي تلقته عن الشيخ واستاذه الروحي (ابن تيمية) بغية ايصاله لأكبر عدد من الناس المتماهين ثقافياً واجتماعياً مع هؤلاء الاتباع. كما تتمثل باختيار هؤلاء النهج الدموي كخيار أول لاستئصال خصومهم أو إسكاتهم، ووضع امكانات هائلة من أموال ومؤسسات دينية ومبشرين وخطباء لدعم وترسيخ توجهاتهم ونشرها في مختلف انحاء العالم. لقد فهموا الإسلام بطريقتهم، وظل الفضاء أمامهم مفتوحاً لاجتهاد غير منضبط، وأصبحت جماعات عديدة منهم غير مؤهلة ولا تمتلك أي رصيد علمي أو ثقافي في مواقع تتيح لها إصدار الفتوى وتشكيل التنظيمات المتطرفة وبثها في أماكن متعددة من العالم؛ على شكل مجموعات صغيرة لا

يتجاوز عدد أعضائها خمسة وربما أقّل من ذلك، تدعمها مؤسسات ومساجد ومراكز دينية مسيّسة تعمل وفق الايديولوجية الوهابية التي اريد لها ان تترسخ عن طريق البترودولار. وقد انتقلت عدوى الوهابية وسطوتها إلى حركات (إسلامية) (جهادية) أخرى في جميع انحاء العالم الإسلامي (مصر، المغرب العربي، العراق، باكستان، افغانستان، الشام الكبرى وغيرها) بعد ان أصبحت مرجعية فكرية فاعلة، وبعد ان مارست المؤسستان السعوديتان الحاكمة والدينية؛ دور الحاضنة المثالية لكل حركات التطرف قبل معارك افغانستان واثناؤها وبعدها. . ولعل للدعم المالي الهائل من قبل السعوديين أثره الكبير في ضخ افكار التطرف الوهابية وعرضها بشكل براق مقبول، حتى بدأ تقليد الوهابيين في اللباس وغطاء الرأس واللحية الكثة، واستعمال بعض المفردات (الجذابة) والقاموس المحدود للكلمات والعبارات الفقهية والاسماء التراثية وغيرها من الامور اللازمة والواجبة، إذا ما أرادوا ان (يثبتوا) انتماءهم الحقيقي للإسلام وحرصهم على تطبيقه كرعاة حقيقيين مخلصين للدين يختلفون عن غيرهم، وقد اعتادوا أن ينظروا للآخرين باحتقار ويتعاملون معهم بدونية يدعون إلى الابتعاد عنهم وعدم مخالطتهم، والهجرة عنهم إلى ان تتاح لهم فرصة التزود بالقوة الكافية وما أسموه بالتمكن لينقضّوا عليهم ويبيدوهم[١].

(١) وقد عرفوا بالولع بكل ما هو بدوي وبدائي كأن الصحراء هي أرض الميعاد؛ وكأنهم يحسبون انفسهم في القرن الاول الهجري الذي اتسم ببساطة المعيشة، وكأن الانسلاخ عن متطلبات الحياة الحاضرة امر ضروري لإعادة نقاء الإسلام وصفائه، نذكر هنا - على سبيل المثال - ان العائدين من افغانستان ظلوا في شوق إليها، وكأن تورا بورا وأحجار الجبال والكهوف الافغانية هي جنة عدن التي حجبت عنها بعد أن أقاموا فيها معسكراتهم المقارعة «للكافر» الشيوعي بمباركة «الكافر» الرأسمالي، الذي تخلى عنهم فأصبحوا خصوصاً له. لقد ادعوا رفض كل المنجزات الجديدة رغم انهم يستعملونها بولع كالاسلحة النارية والمتفجرات ووسائل الاتصال الالكترونية وغيرها، وربما حاولوا =

بدا الوهابيون على الدوام مشغولين بمسألة القباب والاضرحة والآثار الإسلامية باعتبارها العقبة الأكبر، بل الوحيدة أمام التوحيد (الصحيح) الذي ابتكره شيخهم وفق رؤيته التي تبدو متكلّفة وبعيدة عن منطق الإسلام وآلياته. غير أن خطرها يبدو في تكلفها الفجّ عندما فصل الشيخ بين (توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية) مستدلاً بآيات نزلت في الكفار المعاصرين للنبي ﷺ حاول تطبيقها على المسلمين، مع أنهم يرددون الشهادتين ويؤدون فرائض دينهم كما هو حالهم أيام النبي ﷺ الذي اكتفى منهم بذلك، ولم يختبر أياً منهم بسؤاله عن توحيد الربوبية أو الالوهية معلنا انه لا يريد أن ينقب عن قلوب الناس للتأكد من إيمانهم؛ الذي لا يعلمه إلا الله وهو المثيب والمعاقب وقد عاتب أحد أصحابه؛ أسامة بن زيد عتاباً شديداً عندما قتل رجلاً في أحدى المعارك،

= تبرئة ذممهم عن ذلك بارتداء الملابس القصيرة وعدم تشذيب اللحية الكثة، والظهور بمظهر سلفهم حرقوص؛ ذي الخويصرة.

كما أولعوا بالاسماء التراثية غير المتداولة الآن مثل: أبو عبيدة، أبو عكرمة، أبو دجانة، أبو صهيب، أبو الدرداء، أبو حفص، أبو اليزيد... إلخ.

وقد تعاملوا وفق الاليات التي وضعتها الوهابية حينما كفرت المجتمع ودعت إلى نبذه واعتزاله، وما اسموه بالمفاصلة الشعورية ثم الانقضاض عليه بعد التمكن بدعوى احياء العقيدة الصحيحة والقضاء على البدع والعقائد الفاسدة، وإقامة دولة الخلافة، وتعبيد الناس لربهم. وذهبوا إلى حد التكفير بالمعصية وما أسموه بالولاء والبراء والعمل تحت لواء أمير للمؤمنين الذي يبايعونه فيما يحب ويكره في اليسر والعسر، على أن لا ينازعوا الأمر أهله أي الامير وإن أخذ ماله أو جلد ظهره، فهو اشبه بالحاكم العسكري المطلق يتصرف بكل شؤون جماعته وتنحصر كل الصلاحيات بيديه. فالبيعة بنظرهم هي المقابل الموضوعي للبيع، أي أن يبيع أحدهم نفسه لله من خلال البيعة للأمير ليكون أقرب إليه من نفسه وأولى بها وهي انواع: بيعة الجهاد، بيعة النصر، بيعة الهجرة، بيعة الموت، بيعة السمع الطاعة للأمير. لا شك ان من يطلع على افكار الجماعات المتطرفة يجد أنها مأخوذة عن الوهابية وقائمة على التراث الفكري لابن تيمية وغيره من فقهاء التطرف. وقد بدأوا مؤخراً مولعين بتدمير الاضرحة والآثار الإسلامية؛ بحجة منع الشرك والمغالاة وبذلك يكملون شوطهم في المسيرة الوهابية.

ردّد شهادة (لا إله إلا الله) وأخذ ﷺ يكرر عليه قوله: «اقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!؛ قال اسامة: فما زال يكررها علي حتى تمنيت؛ أني لم أكن اسلمت قبل ذلك اليوم»[١].

أما الوهابيون فاعتقدوا انهم يملكون صلاحيات أكثر من تلك التي امتلكها الرسول ﷺ وانهم يتمتعون بقوى استثنائية خارقة تتيح لهم معرفة (المسلم الموّحد) وتمييزه عن (المشرك) أو (الكافر) حتى إن ردد الشهادتين وأدّى الفرائض، ان ذلك لم يكن منه إلا تستراً، وأنّ من حقهم ان يبادروا بتنفيذ القصاص الالهي (العادل) به الآن خوفاً أن لا ينفذه الله في الغد، وبذلك يتضح ولعهم الشديد بل شبعّهم بالذبح والإبادة وهتك الاعراض ومصادرة الأموال وشتان بين ما يحكمون به وما يحكم به الله ورسوله وهو خير الحاكمين وأعدل العادلين. وإذا انهم لا يجدون أحداً من المسلمين يتوجه إلى تمثال أو نصب أو أحد بالعبادة، غير انهم يقدسون الرموز الدينية الكبيرة مثل النبي وآل بيته وبعض صحابته ويتعبدون عندها متوجهين منها صوب الكعبة يصلّون للعلي القدير ويدعونه لقضاء حوائجهم وتقبل شفاعة الرموز المقدسة لهم، فان الوهابيين اتخذوا ذلك ذريعة لاتهامهم بالشرك والكفر وأباحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ورفعوا مسالة تكريم وتقديس هؤلاء الأولياء والتعبد قرب أضرحتهم قضية كبرى ينبغي حسمها بالقتل والابادة وتقويض تلك الاضرحة وكل أثر يدل على وجودهم الشريف في هذه الدنيا.

ومع اننا لا نجد - طوال تاريخ الوهابيين بوادر مشروع إصلاحي حقيقي وأي حل للمشاكل المستعصية التي يعاني منها المسلمون أو العرب على وجه الخصوص، فاننا - على العكس من ذلك نجد ان مشروعهم ادى إلى تفاقم

(١) صحيح مسلم- ج١ ص٩٧.

المشاكل القائمة؛ لأنه تمحور حول تكريس سلطة استبدادية مطلقة بيد عائلة واحدة دعت إلى طاعتها وعدم الخروج عليها باية ذريعة. وبذلك استبدلت الاصنام الحجرية التي لا تضر ولا تنفع بالاصنام البشرية الفتاكة. كل ذلك تم بموجب الاليات الأولى التي انتجت نظماً وامبروطوريات استبدادية على مر التاريخ الإسلامي.

ولعل صراخهم الصاخب حول وجوب هدم الاضرحة والآثار المقدسة التي تعيد إلى الاذهان والادوار العظيمة التي قام الثاوون تحت تلك الاضرحة لارساء دعائم الإسلام والايمان القائم على التوحيد والعبودية لله، لا يوازيه إلا صراخهم بوجوب طاعة (ولي الأمر)؛ وإن استبد وظلم أو تجاوز على حقوق الاخرين ومقدراتهم..

وقد اشرنا إلى مجموعة من الاحاديث الملفقة والموضوعة التي تدعو إلى الخنوع والسكوت لأمراء الجور والاستبداد، وكأن الحكمة الالهية أرسلت الأنبياء مبشّرين بهم ومنذرين من الخروج عليهم أو مواجهتهم بكلمة الحق.

إن المؤسسة الدينية الوهابية، شريكة المؤسسة الحاكمة في المنشأ والحاضنة، جعلت مهمتها الرئيسية تعبيد الناس للحاكم الملك؛ وجعلت طاعته طاعة لله والخروج عليه خروجاً عن الإسلام. فمشرعها الاساس يتمحور حول عبودية دائمة أو بيعة بالسمع والطاعة لهذا الملك (وليّ الأمر) يسيرون خلفه في المكره والمنشط، يتحمل هو المسؤولية نيابة عنهم أمام الله، ويتخلّون هم عنها.. وبذلك يبدو الأمر كلعبة غير جدّية، رغم انها منسوبة لله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً وهو العادل الرؤوف بعباده.

إن اليات الدين الوهابي التي يتمسك بها الاتباع المتزمتون ولا يريدون التخلّي عنها أو الجدل بشأنها مع الآخرين تجعلهم يقيمون بينهم وبين هؤلاء حواجز عديدة، خصوصاً وان الاجيال اللاحقة منهم اعتقدت جازمة ان آباءهم

الاتباع الاوائل للشيخ هم على حق، وانهم يمتلكون حصيلة من العلم والمعرفة جعلتهم جديرين برتبة (الموحدين) التي منها اياهم. .

وهذه هي صورة الآباء دائماً بنظر الأبناء مشرقة وجميلة. وعلى هذا الاساس فإنهم في كل مراحل وجودهم وحراكهم فرضوا على انفسهم عزلة إجبارية عن المجتمعات الأخرى التي اعتبروها كافرة نجسة، تحل لهم دماؤها وأموالها وأعراضها، ولا يحل لهم مجالستها أو مجاملتها ناهيك عن مواكلتها و(ذبيحتها) حتى لو كان افرادها يرددون الشهادتين ويصومون ويصلون ويحجوّن. . . فما داموا ليس وهابيّين فأنهم غير مخلصين في ايمانهم، وما داموا قد اسقطوا فريضة واجبة وغيبوها وهي (الجهاد) خلف إمامهم هم لا غيره، لأنه بزعمهم أمام أو أمير مفترض الطاعة، فانهم يثبتون لذلك كفرهم ونفاقهم.

ان مفهوم (الجهاد) الخاطئ لديهم، والذي يستهدف المسلمين بالدرجة الأولى، مهد على الدوام لأجواء قتالية تخاصمية تمنع أي انسجام أو حوار أو تعارف بين أعضاء المنظومات الإنسانية.

إن تداول الخطاب الوهابي وان كان بعبارات منقحة ومختلفة عن الخطاب الاصلي للشيخ الذي غالباً ما يثير النفور لدى الاغلبية الساحقة من المسلمين، يتم الآن عبر فئات مجهرية صغيرة تسربت إلى مختلف انحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي لأن لا يتجاوز عددها المئات في بعض الاقطار، وهي تمثل جماعات إسلامية متطرفة تثير الصخب وتفتعل الازمات.

انها الخطر القادم لأن افرادها يتسمون بجراة ملحوظة واستعداد للانتحار إذا ماستطاعوا إلحاق أكبر اذى بخصومهم، وهم على استعداد للقيام بعمليات بطش وانتقام مروعة تثير الذعر والقلق، وهو ما يجعل كلاً منهم قنبلة موقوتة لا يعرف زمن انفجارها. انهم يعلنون عن انفسهم بطرق دراماتيكية لافتة للنظر

خصوصاً وانهم استخدموا بغباء من قبل عدة حكومات وجهات دولية للقيام بأدوار (الجهاد)، كما حصل ذلك في المملكة السعودية التي جندتهم في افغانستان ثم انقلب قسم منهم عليها، وفي سوريا التي جندتهم للقيام بعمليات ارهابية في العراق لافشال تجربته الجديدة بعد الاطاحة بصدام من قبل القوات الأمريكية واصبحت حاضنة ارادها السوريون أن تكون موقتة، وأرادوها هم ان تكون دائمية بعد تعثر مهمتهم في العراق، فرفضوا نزع اسلحتهم وأصبحت الساحة السورية ميدان عملهم الحالي الذي يشهد العالم تداعياته الكارثية وعلى الشعب السوري والمنطقة عموماً..

إن محاولة جعل هؤلاء مطيّة لتنفيذ مشاريع بعض الدول مثل السعودية أو سوريا لن تمنع محاولة هؤلاء جعل هذه الدول مطية لهم خصوصاً في اعقاب (الربيع العربي) وانفتاح الشهوة العارمة للتغير..

ومن المؤسف ان بعض الدول الأخرى مثل تركيا تنزلق نحو نفس الخطأ الذي انزلق إليه السوريون لاحتضان هؤلاء، إذا لا يدري احد مدى الوبال الذي يمكن ان يلحق بها فيما بعد، وهي تعتقد انهم مطية سهلة مع انهم ليس كذلك انهم كفايروس مميت لا يمكن لأي أحد ادخاله في جسمه لتجربة فعاليته. ووحدهم القطريون أدركوا هؤلاء فاكتفوا بتمويلهم بالسلاح والمال والفتاوى (الجهادية)، دون ان يسمحوا لهم بالتسلل إلى بلدهم في الوقت الحاضر على الأقل وهو ما يجعل قطر اخر من يدخل نادي الربيع العربي، إلا إذا استجدت فيه احداث أخرى.

○ ○ ○

لا يمكن أن يكون حراك هذه المنظمات التي اتخذت الوهابية مرجعية فكرية، غير ملحوظ أو مؤثر فهو واضح الآن في مصر ودول المغرب العربي واليمن والصومال ومنطقه الشام الكبرى وافغانستان وباكستان؛ ويتمدد إلى

مناطق مجاورة وبعيده في اقصى العالم. . حتى ليمكن ان نطلق على هذا العصر تسمية **العصر الوهابي** بامتياز، اذ يبدو أن الرؤوس القابلة للغسيل بالمبادئ الوهابية موجودة في كل مكان، وان البداوة والبدائية لا تكمن في صحراء نجد وحدها؛ وانما في كل الاماكن المتماهية معها والمشابهة لها.

○○○

ويتم الآن بعث رموز التطرف من قبورهم ليمثلوا بحلل جميلة تظهرهم بمظهر الغيورين على الإسلام دون غيرهم من بقية المسلمين، ويعاد الآن اكتشاف (ابن تيمية) وابن القيم الجوزيه، وتلميذها المتأخر محمد بن عبد الوهاب، ليكون هذا الكشف موازياً لاكتشاف الإسلام نفسه؛ ورموزه الكبيرة الأولى.

ان الفقيه ابن تيمية عرف بارائه الفقهية المتشددة والمتحيزة، كما عرف بالكم الهائل من محفوظات الحديث النبوي المنتقى من قبله بعناية لتمرير فتاواه وارائه؛ التي لا تنسجم أو تتناغم مع آراء عموم الفقهاء الذين سبقوه أو عاصروه أو جاءوا بعده؛ حتى من الخط الحنبلي الذي يعتبر احدى دعاماته المتأخرة. وبدت غزارة محفوظاته بنظر انصاره أو اصبحوا كذلك بعد انخراطهم في الوهابية جديرة بشيخ الإسلام القدوة والرمز بعد ان أتاح لهم الاغتراف من فتاواه التكفيرية واستخدامها في كل مناسبة. فما على من يريد ان يجتهد ويصبح فقيهاً مرموقاً في أية حركة تكفيرية؛ إلا أن يتصفح موسوعة الفتاوى لينتقي أو يقتبس منها ما يروق له[1].

---

(١) قد صدرت عدة طبعات انيقة مفهرسة لفتاوى الشيخ ابن تيمية بدعم من المؤسسات السعودية لنشرها في كل مكان في العالم، ولا تكاد تخلو منها مكتبات المراكز والجمعيات الإسلامية والمساجد والمكتبات الخاصة للجماعات الإسلامية وغيرها، ونشير إلى احدى الطبعات التي صدرت في سبعة ثلاثين مجلداً؛ هي المجموعة التي =

لقد نظروا دائماً بعين فقيههم المتعصب، ورأوا ان اشياخهم الآخرين، ابتداء من ابن عبد الوهاب وسلسلة المراجع من اولاده ومريديه، على حق طالما انهم يتخذونه مرجعهم الأكبر (رغم خروجهم عليه في بعض الفتاوى والاراء)، وقد ازداد بذلك رصيدهم لدى اعضاء المنظمات القتالية الذين يعرضون انفسهم في الشارع الإسلامي بمسميات مختلفة مثل الجهاد، التكفير والهجرة، القاعدة، جند محمد. . .الخ. وأصبحوا (أخّويات) دينية متضامنة لها برامجها المشتركة لإعادة الخلافة و(الحكم بما انزله الله) ولها اسرارها وأدبياتها وطقوسها ولغتها الخاصة - كما اصبح أي عمل انتحاري أو ارهابي يقوم به أي فرد أو جماعة منها رصيداً عاماً للمجموع يتفاخرون به وينشرونه في وسائل إعلامهم، ويعتبرون مجرد التفكير بأسلوب اقل شدة (مثل الدعوة باللسان وانكار المنكر بالقلب واللسان) خيانة عظمى لهم ولرفاقهم الذين سبقوهم بالانتحار؛ وقتل انفسهم والآخرين.

وفي المجتمعات الجاهلة والفقيرة يجدون على الدوام من يستطيعون ضمه إلى صفوفهم وتجنيدهم، وخصوصاً من طبقات الشباب الأقل خبرة ومعرفة عندما يعرضون عليهم بعض مفردات خطابهم بأسلوب براق يتغنى بالإسلام والماضي التليد. ودائماً ما يبدو الشباب الصغار مبهرين ومأخوذين بما يكشفه لهم هؤلاء وما يرونه فيهم من عزيمة واندفاع لتحقيق الدولة الإسلامية. . وكأنهم بذلك يكتشفون أسراراً لم يكتشفها أحد من قبلهم. وعموماً فإن هذا ما

= صدرت عن دار الكتب العلمية/لبنان - منشورات محمد علي بيضون - ط ٢- ٢٠٠٥ م. ١٤٢٦هـ. وقد نسبت مقدمة هذه الطبعة للشيخ كرامات لم تصح أن تنسب حتى لصحابة النبي ﷺ منها: انه يتمتع بقوى كشف خارقة تتيح قراءة المستقبل والغيب، ونوايا الناس وما يفكرون به ومعرفة احوالهم، وأن من يعاديه يصاب بأمراض ومكروه وخوف، وان من يحبه يعيش براحة وأمان وان مناقبه الكبيرة لا تعد ولا تحصى، مع ان الشيخ نفسه كان ينكر مثل هذه الكرامات حتى لأقرب المقربين من النبي ﷺ.

يحدث عادة في المجتمعات المحرومة من الحرية لأغلب المنتمين للحركات السريّة. فمراحلهم العمرية الصغيرة لم تتح لهم خوض أية خبرة أو تجربة.

إنّ المتتبعّ والدارس للمشروع الوهابي الذي يستهدف بالدرجة الأولى تدمير؛ ونسف العمائر والآثار الإسلامية بما فيها أضرحة وقبور الرموز الدينية المقدسة التي لها في المخيال الإسلامي مكانة خاصة، يستطيع رصد الاهداف الحقيقية من وراء هذا المشروع، والتي لا يمكن قطعاً أن تكون أهدافاً بريئة يقصد منها تخليص (التوحيد) الإسلامي من الشرك والكفر، كما هو معلن في الادبيات الوهابية، ويؤكد عليه بضرس قاطع، وان الأمر لا يتعدى ذلك، وإذا ما تم فسيعود الدين خالصاً لله، وانما سنجد أن الاستراتيجية الكامنة خلفه والتي تستهدف تخريب كل شيء بهذه الذريعة جديرة بمخططين ذوي خبرة غير اعتيادية، وأن تنفيذه عن طريق افراد ومؤسسات وتنظيمات من داخل النسيج الإسلامي سيبعد الاضواء عن هؤلاء المخططين الغرباء فمن هو (محمد بن عبد الوهاب) وما هي حصيلته الثقافية والفكرية حتى يقوم - دون مساندة غريبة - بهذا الدور الكبير الذي لن تستطيع القيام به بنجاح إلا دول كبرى بالاستعانة بخبراء ستراتيجيين متخصصين.

ويمكن في هذه الدراسة رصد بعض هذه الاهداف؛ وعرض الافكار التي تؤيد وجهة نظرنا حول هذا المشروع، وانه تخريبي لا يتسم بأقل قدر من البراءة والاخلاص لما أفرزه من نتائج وتداعيات كانت جميعها في غير صالح الإسلام والمسلمين، وأدت إلى تمزق نسيجهم وتفتت كيانهم.

١ - لاشك أن مشروع الهيمنة الغربي على العالم، ومنه العالم العربي والإسلامي لا يزال قائما لتعزيز المصالح والامتيازات وهو الأمر الذي لا

يخجل الغربيون من الاعلان عنه صراحة، وإن تذرعوا لذلك بمختلف الاسباب. وقد أريد لعموم المسلمين، وخارطة العرب تشمل حيزاً كبير من مجموع مساحتهم، ان يضلوا في وضع ضعيف لا يمكن فيه إلا أن يظلوا تابعين ومتأخرين، وبحاجة دائمية إلى خبرات الغرب ومنتجاته وصناعاته.

وإذ ان ذلك لن يتحقق في ظل مجتمعات هادئة بناءة غير متخاصمة تجمع بينها روابط وثوابت اجتماعية ودينية تقيم على اساسها وحدتها وتماسكها، فان تحطيم هذه الروابط يبدو في مقدمة الامور التي ينبغي تحقيقها لتفتيت هذه المجتمعات؛ واشاعة أجواء الخصومة والتنابذ فيها. وهذا لن يتحقق دون مساع حقيقية جادة بهذا الاتجاه...

فحتى خارطة سايكس - بيكو التي قطّعت فيها أوصال الدولة العثمانية المنهارة لإنشاء دويلات مريضة وتابعه على الاراضي العربية أصبحت بعد اكتشاف البترول وقيام دولة اسرائيل بحاجة إلى تقطيع أكثر، لتتحول كل منها إلى دويلات صغيرة مجهرية متخاصمة فيما بينها، وبحاجة أكبر إلى دعم ورعاية الدول الغربية أكثر من أي وقت مضى.

ولعل الأمر المؤكد الذي ستحققه ثورات الربيع العربي على الكيانات السابقة هو الامعان في تقطيع أكثر للأوصال المريضة؛ وتحقيق الحلم الغربي بهذا الشأن.

لقد كانت الوهابية منذ نشأتها أحد عوامل شلّ نفوذ الخلافة العثمانية في بعض المناطق العربية. ولعل فعاليتها ونشاطاتها في القشة التي قصمت ظهر البعير العثماني الذي كان ينوء بأحمال ثقيلة في أخريات أيامه.

ان مكان نشوئها المنبوذ على حافة المناطق المتحضرة نسبياً؛ وعزلة ذلك المكان وفقره أتاح لها التحصن والانغلاق على ثقافة الصحراء الأولى القائمة على الغزو والاغارة على القريب قبل البعيد. وقد اعطت المبررات الدينية

لتمتزج مع الاعراف القبلية لجعل ذلك الغزو مبرراً ومقبولاً بل وواجباً للدفاع عن الكيان الوليد؛ الذي أصبح دولة المسلمين الوحيدة بمنظور أصحابها، وأصبح كل من عداهم غير مسلمين، مشركين وكفرة ينبغي القضاء عليهم بالسيف. . .

ان المشروع الوهابي لا يمكن ان يتخلى عن ثوابته في تكفير جميع المسلمين؛ وإلا انهار ولم يعد هناك مبرر لوجوده. فبأية ذريعة سيشاكس ويحارب المسلمين الآخرين إذا اعترف بأنهم مسلمون حقاً؛ وبأية حجة سيتمسك إذا ما اعترف بضرورة الانشداد للرموز الدينية والاهتمام بالاثار والعمائر والتراث الإسلامي عموماً؟

ان مشروعه لتهديم ونسف هذه الاثار هي عدة العمل المطلوبه وبدونها لن يستطيع الصمود يوماً واحداً. واذا ما وجد أحد ان الجهود والأموال الاسطورية تبذل لهدف غير حقيقي وغير مبرر، فإن الوهابيين يرون أنه هدف كبير وأساس والا انهار كيانهم من الاساس وفقد مشروعية وجوده.

ولعل هذه الحالة التي تزعج الصديق والقريب؛ تسر البعيد الغريب الذي اعتاد الهيمنة والنفوذ. . . ولذلك نجد الدعم غير المحدود للمؤسسة الوهابية القائمة. ليس بسبب وجود البترول في أراضيها وحسب؛ واستعدادها للخضوع والاستجابة لكل مشاريع الهيمنة؛ وانما لأن الوهابية وما تفرع منها من حركات وتنظيمات إسلامية تحمل نفس افكارها الأولى غير المعدلة، كفيلة بتحقيق حالة التمزق الدائم والخلاف والقتال في كل انحاء العالم الإسلامي، بعد ان انتشرت عدواها وأصبح وجودها في كل مكان أمراً واقعاً، على إن ما لم يحسب حسابه هو ان هذه الجماعات قد تخرج عن سيطرة الراعي والحليف وتلحق به اذى غير متوقع اضافة لما ألحقته من اذى بالغ بشعوب المنطقة والعالم الذي يخوض حروباً وصراعات غير منضبطة.

إن الوهابية الآن تخرج من اطار العمل التقليدي المألوف كمؤسسة دينية

تدعي العزوف عن العمل الحزبي والسياسي مع انها - منذ البداية - تعد تشكيلاً حزبياً محكماً له طقوسه وآلياته وتجمعاته، وقد حاول الخروج من قوقعة نجد والامتداد في انحاء العالم الإسلامي. وقد بدأ ذلك بشكل ملحوض منذ أيام فيصل بن عبد العزيز (١٩٠٦-١٩٧٥م) الذي توجه نحو مصر لكسب الازهر بعد تبرعه بعشرات الملايين؛ وذلك لكسب الحركات الإسلامية التي بدأت بالبروز والتعدد، كما توجه نحو الباكستان لكسب تأييد الحركة الإسلامية هناك أيضاً والمتأثرة بأفكار أبي الاعلى المودودي، التي كانت في بدايتها تدعو لاعتزال المجتمع الكافر (المجتمع الهندوسي) لإقامة كيان الجماعة الإسلامية ثم اعدادها لقيادة عموم المجتمع المسلم. .وكانت تعاليم الشيخ عبد الوهاب المعلبة والجاهزة تصل إلى فقراء الباكستانيين مع رغيف الخبز وصحن الشوربة وتضخ في الاذهان في مدارس تحفيظ القرآن الكريم؛ وفي المساجد وغيرها. . .

لقد تسللت الافكار الوهابية، ذات النزوع الواضح للتكفير ووصم المجتمعات الإسلامية بالشرك، بشكل تدريجي استغرق قرابة قرن من الزمن إلى تلك الاماكن وغيرها، ولم يعد هناك شك الآن بهيمنة التنظيمات الإسلامية ذات النزعة الوهابية على ساحة العمل الحزبي والسياسي في اغلب الدول الإسلامية، وقيامها بتلقي دعم غير محدود من دول العالم الكبرى عبر المملكة السعودية وامارة قطر، اللتين تتوليان بالنيابة الآن تمويل وتوجيه الحركات المتطرفة للقيام بالمزيد من التحركات والانقلابات تمهيداً لسايكس-بيكو جديدة يتم فيها تقطيع اوصال العالم الإسلامي إلى قطع صغيرة. امّا ما وراء ذلك فلا احد يتمكن من التكهن به. فكيف اعتمر الغربيون العمامة الوهابية بدلاً عن قبعاتهم، وكيف اساغ صاحب هذه العمامة لنفسه السير وراء الغرب (الكافر)، اللهم إلا ان يكون الدين هو آخر ما يفكر به الجميع.

ان المعركة الآن ليست بين (الإسلاميين المسيّسين) وانظمة الحكم وحسب، وانما بين الإسلاميين والتيارات الليبرالية ومختلف طبقات المثقفين وبينهم وبين المؤسسات الدينية المعتدلة كالازهر؛ الذي لا يريد تحويل دفة الصراع باتجاه طائفي أو ديني. .

واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار وجود مذاهب اسلامية متعددة لا ينزع معتنقوها نحو الاتجاه الوهابي وقد اعتادوا العيش في اجواء من الوئام والتسامح مع غيرهم؛ فإن العراك مع هؤلاء بدا ضرورياً للوهابيين؛ إلا انه قد يؤجل إلى ان تستتّب الامور لصالحهم.

○ ○ ○

هنا لابد لنا ان نؤكد ان المقصود بالاستئصال والقمع والابادة من قبل الوهابيين الذين قام مشروعهم اصلاً على هذا الاساس، هم **الشيعة**، أتباع أهل البيت، الذين ينبزون من قبلهم بنبز تحقيري مثل (الرافضة) و(القبوريّين)، وكانت لهم صولات وجولات عديدة معهم على امتداد أكثر من قرنين ونصف.

إن مبرر القضاء على هؤلاء لا يزال قائماً، وهو أمر لن يتم إلا بكوارث طبيعية عظمى أو باستخدام أحدث اسلحة الدمار الشامل، وتقتل أكثر المسلمين وعددهم الآن تجاوز المليار بكثير. .وعندما يحدث مثل هذا الأمر فلن يكون الآخرون بمنجاة منه. .

إن الوهابيين يتعاملون في الألفية الثالثة بعقلية القرن الثالث. كما انهم يتجاهلون حقائق التاريخ التي أفرزت خلافات وسلالات حكم امبراطورية كانت عائلة آل سعود آخرها. ولعل هاجسهم أن تظل هذه المملكة قائمة إلى ما لا نهاية متخطية السنن التاريخية المعروفة؛ ربما يكون هذا السبب وراء سعي اقطاب المؤسستين الشريكتين (الدينية والحاكمة) للجوء إلى نفس آليات أنظمة الحكم الاستبدادية السابقة لإحكام سيطرتهم وضمان بقائهم.

لعل عبد العزيز آل سعود (١٨٨٠-١٩٥٣) مؤسس دولتهم الثالثة لو كان على سدة الحكم الآن بدلاً من أحد أولاده لتفاعل مع معطيات الاحداث واستجاب لها، ولنبذ الوهابية وقام بحركة اصلاحات حقيقية لضمان بقائه على سدة الحكم لعدة عقود لاحقة، وفقد كان يستجيب لعقول الناصحين والمستشارين، وتبدو عقليته هو مؤسس لملك عقيم أكبر افقاً من عقول ابنائه الذيم ورثوا الملك ووجدوه جاهزاً ممهداً حسبوا ان الامور ستستتبّ لهم إلى الأبد. فهذا عصر جديد وتفاعلاته قد تفرز معطيات ومفاجآت قد لا تخطر ببال احد.

○○○

مع ان هدف الوهابيين الحقيقي هو تغيب القضايا الكبرى التي تهم المسلمين؛ واستحضار قضايا غير اساسية وغير مختلف عليها بين المسلمين لاشغالهم بها، إلا أنهم لن يتمكنوا إلا إلى تأجيل المواجهات التي لا بد ان تنال من عرش المؤسسة الحاكمة ونفوذها.

فهي تؤدي مهمتها التي أوجدت من أجلها كعامل تفرقة وخصومة بين المسلمين لإشغالهم بمعارك جانبية دائمية تستهدف تفتيت الكيان الإسلامي الكبير إلى كيانات متصارعة لا تستطيع مواجهة أي خطر خارجي.

خلاصة القول هي انه يمكن للدارس المتتبع ان يتأكد بوضوح ان الوهابية بمشروعها التخريبي التغريبي؛ هي سوسة خطرة تنخر بالجسم الإسلامي العام وقد تدمره نهائياً بعد ان تتمكن منه.

لا يمكن هنا التساؤل ببراءة كما يفعل اولئك الذين يجهلون حقيقة الوهابيّن: إلا يمكن أن يتخلى هؤلاء عن نهجهم التكفيري ليكسبوا تعاطف المسلمين معهم؟ فلو ان هؤلاء المتساءلين درسوا الوهابية جيداً لعلموا ان

(التكفير) هو العامود الذي تقوم عليه هذه الدعوة. . وان الذريعة الوحيدة إليه هي اتهام المسلمين الآخرين بعبادة القبور والاضرحة؛ باعتبارها من صروح وأصنام الشرك الكبيرة، ولولاها لما وجدوا آية ذريعة أخرى للتخاصم مع المسلمين الآخرين وتنفيذ اجنداتهم وخططهم الغريبة لاضعاف الجميع. وكانت هذه الذريعة طوال فترة وجود وحراكهم الذريعة التي توكأوا عليها لإدامة هذه الخصومة، فالمسلمون لن يتخلوا عن رموزهم ولهم مبرراتهم المعقولة في ذلك، وهؤلاء لن يتخلوا عن مساعيهم لنسف كل أثر يذكرهم بتلك الرموز، ولهم مبرراتهم التي لفقّها لهم فقهاؤهم وأرادوا لهم أن يؤمنوا بها. وطالما ظلت مساجد الاولياء والصالحين حافلة بالزوار والمصلين يتوجهون منها بالصلاة والدعاء إلى الله أن تظل المدية الوهابية جاهزة على الدوام لقطع رقابهم، ولن ينتهي السجال إلا بانتهاء اسطورة الوهابية التي اقترنت بالتكفير. وحيث لا وهابية فلا تكفير ولا معارك قائمة على مثل هذه الاسس المفتعلة بعد محاولاتهم قلب الحالات الايجابية البنّاءة؛ وعرضها على انها حالات سلبيّة.

٢ - ألمحنا في بداية هذه الدراسة إلى قول الاستاذ الفرنسي في التاريخ: **أنه وثائق، وحيث لا وثائق فلا تاريخ.** وهي مقولة تنطبق إلى حد بعيد على الآثار التي تثبت لنا بشكل أكيد حقيقة ما توارثناه وانه ليس مجرد اسطورة انطلقت من خيال بشري مجرد. . فالكعبة التي لم تخل يوماً من طائف وعاكف وراكع وساجد، وكذلك الصفا والمروة وكل المشاعر المقدسة، وأماكن مثوى النبي وأهل بيته وبعض أصحابه وكذلك العديد من الآثار والعمائر التي شهدت ولادته وولادة بعض أهله وأماكن تعبده، وثائق ناطقة عن جزء من مسيرة المسلمين وكفاحهم، تثبت بما لا يقبل الشك وجود النبي وأهل بيته وصحابته وتعيدهم إلى الأذهان، كأنهم يشخصون أمامنا بأجسامهم.

ترى لو لم يكن من أثر يدل عليهم، إلا يتساءل البعض، بوحي من أعداء متربصين: من هم هؤلاء الذين تذكرونهم؟ هل انهم كانوا موجودين حقاً أم ان خيالكم هو الذي خلقهم.؟ وسيرددون مع من وقفوا بوجه الرسالة في بداية أمرها: إن هذا إلا أساطير الاولين.؟! كما نجد الآن من يشكك بنبوة عيسى وموسى وحقيقتها، وحقيقة المسيرة التي خاضاها بوجه الطواغيت والفراعنة لأنهم لا يجدون أثراً لهما إلا الصليب الذي رآه قسطنطين في الشمس، والشخص الذي رآه بولس بعد اختفاء المسيح؛ سنجد من يشكك بوجود محمد ﷺ إذا ما غيبّت آثاره بحجة انها ستصبح اصناماً تعبد من دون الله، وكأن البشرية رجعت بفكرها وعلمها وثقافتها إلى العصور البدائية التي تعبد فيها الاحجار والاشجار والظواهر الطبيعية.

وهنا نتساءل: لماذا يراد محو الذاكرة الإسلامية من كل ما يذكرها بالنبي وأهل بيته وأصحابه، وطمس كل الآثار والمعالم التي تذكر بهم؟ هل انه التوحيد الخالص حقاً، أم لمحو التوحيد نهائياً؟

ولماذا اقترنت هذه الدعوة بتصور خاص للذات الالهية يتنافى مع أصول التوحيد التي جاء بها الإسلام، وأوضحها القرآن الكريم بشكل جلي؟ ولماذا بذلت محاولات عديدة لنشر التوحيد الوهابي القائم على تجسيم وتشبيه الذات الاهلية ليكون التصور الإسلامي مشابهاً للتصور المسيحي واليهودي الغارق في التشبيه والتجسيم؟ وهل يراد ان يقال ان محمداً ﷺ تلقى دينه عن كهنة وأحبار ورجال دين ولم يتلقه عن جبرائيل؟ أليس في دعوة التجسيم والتشبيه تأكيد لمزاعم اولئك المفترين العابثين؟ وهل أصبحت معقولات ابن تيمية وابن عبد الوهاب بديلاً عن كلام الله يفسرونه كيفما شاءوا؛ ليأتي من يخاطبنا ويلقي علينا الحجة بقوله: يقول الله ورسوله وتقولون: يقول ابن تيمية وابن عبد الوهاب..؟

ان من شان هذه التصورات الغريبة ان تنسف القواعد العقيدية التي جاء بها الإسلام، كما انها لا تنسجم مع الدعوى الوهابية لتنقية مفهوم التوحيد التي رفعوها لكسب تعاطف الاغلبية من المسلمين؛ رغم انهم اضروا بهذا المفهوم ضررا بالغاً.

وقد اوضح (الحاج) سانت جون (عبد الله) فيلبي، وهو رجل مخابرات بريطانية وكان مستشاراً موجهاً للملك عبد العزيز بن سعود، وهو من أشرف شخصياً على هدم الاضرحة والقباب في الحجاز؛ في محاضرة أمام الجمعية الفابية البريطانية يوم ٣٠ ابريل ١٩٢٦ الغرض الحقيقي من ذلك؛ بقوله: ان ذلك سيجعل الاجيال القادمة تنسى الوقائع التاريخية المرتبطة بهذه الامكنة[١] واشاد بالوهابية باعتبارها (العنصر الواحد في جزيرة العرب؛ ظل يحكم فيها قرنين من الزمان هو قادر على أن يقود جزيرة العرب نحو مجد عظيم بالمقارنة بماضيه العظيم المسجل في حوليات العرب ممثلاً في زعيمه عبد العزيز آل سعود)[٢].

وفي ختام محاضرته رفع توصية جاء فيها: (لننسى الماضي بالرغم من كل ما حدث ولتجتمع كل من فرنسا وانكلترا مع عبد العزيز آل سعود لوضع ترتيبات يتخلصون بمقتضاها من اعباء التزاماتهم المرهقة في جزيرة العرب. وعبد العزيز آل سعود - بصفته ممثلاً للعرب - سيلتزم بالسيطرة والادارة في هذه البلاد لصالح العالم أجمع).

---

(١) راجع د. احمد راسم النفيس - نقض الوهابية/دار الميزان ط ١- ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ص ٢٢٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٩.

ما عبر عنه جون فيلبي صراحة؛ اختفى خلف كواليس السياسة والمصالح. فسياسة عبد العزيز لم تهم بريطانيا إلا لأنها تساعد على تحقيق أهدافها على المدى البعيد، فسايكس - بيكو ليست حتماً منزلاً ويمكن تحرير العشرات منه إذا ما ضمنت تقسيم اراضي العرب الإسلامية وعبد العزيز حرر فرنسا بريطانيا من كل التزاماتها واتاح فرص تقسيم جديدة لتلك الاراضي.

إن طمس ذاكرة الأمة يتم من خلال تغييب ثقافتها وآثارها، وهي مهمة لا تتم خلال جيل أو جيلين، وأي غزو ثقافي لا يتم إلا من خلال الطمس والتغييب وايجاد حالة فراغ يمكن ملؤه بالثقافات الوافدة. ولعل الاجدر بمن يحمل مشروعاً اصلاحياً نهضوياً أن يفكر بتعزيز ثقافته الإسلامية الاصيلة بدلاً من محوها. ولا نظن ان المستوى الفكري الذي تمتع به الشيخ في ذلك الوقت المبكر يتيح له استشراف المستقبل، وحمل الرؤية التي حملها فيما بعد جمال الدين الافغاني أو محمد عبده. لعله اعتقد ان المسلمين سيظلون محصنين ضمن حدودهم الجغرافية بمنأى عما يحدث في العالم؛ أو انهم جزء منفصل عنه.

ان ثقافته البدوية المحدودة جعلته لا ينظر أبعد من قدميه، هذا إذا كانت توجهاته مخلصة ولم تكن تدار منذ البداية من اناس غرباء جندوه ليلعب الدور الذي لعبه، كما اشارت بعض الدراسات. وإلا فأي نفس اصلاحي تمتع به الشيخ وقد انتهج منذ البداية منهج التكفير والقطيعة. وكانت نتيجة فعالياته وفعاليات أتباعه الانحطاط الذي تفاقم ويتفاقم الآن أكثر من ذي قبل.

إن الاشادات المتكررة بنزعة الشيخ الاصلاحية من قبل اناس لا يمتون للإسلام بصلة أغلبهم من رجال المخابرات البريطانية مثل (فيلبي) و(ارمسترونغ) و(لوثروب ستودارد) و(بروكلمان) و(ويلفرد) و(برنارد لويس)

و(جولدزير) ثم من تابعهم من مسيحي الشرق مثل (أمين الريحاني)، ومحاولاتهم عرضه كمصلح حقيقي تدعو للشك في حقيقه مشروعه. فلو ان الاشادة حصلت من قبل علماء من داخل الدائرة الإسلامية لكان علينا ان ننظر إلى مصداقيتها بشكل جدي باعتبار انه من رجال الاصلاح الحقيقيين. اما أن تأتي الاشادة من قبل المربع الذي لم يكن على وئام مع المسلمين ويهمه تحقيق مصالحه وبرامجه الخاصة. . خصوصاً بعد ما حققته الوهابية من شرخ كبير في وحدة المسلمين وتداعياته (الناجحة) بنظر هؤلاء الغرباء عنه، فان من حقنا ان ننظر بشك إلى مثل هذه الشهادات لأنها لم تصدر بحق شخصية لا غبار ولا خلاف عليها بين المسلمين كالنبي محمد ﷺ؛ وانما بحق شخصية مثيرة للجدل ويبدو انحرافها وسعيها لشق وحدة المسلمين واضحاً. . وربما كانت هذه الشهادات مسعى لتلميع صورته قد يخدع بعض المسلمين المنحازين إليه منذ البداية. ولعل نجاح الشيخ الوهابي بتفكيك الوحدة الإسلامية بما طرحه من آراء غريبة جديرة بأرفع الجوائز والأوسمة من المؤسسات التغريبية التي يشك بأنها تريد الخير للاسلام والمسلمين. فمشكلة المسلمين الآن هي الوهابية والحركات المتطرفة المتأثرة بها. ومن شأن مسيرتها على هذه الوتيرة أن تفاقم الاوضاع وتزيدها سوءاً، إذ انها تضع المسلمين بمواجهة غير متكافئة مع العالم المسلح القوي، وربما أعادتهم إلى عصور التخلف الأولى، ولا يعلم إلا الله كيف ستكون تداعيات فعالياتهم غير المنضبطة. فلا شك ان العالم الآن يعيش العصر الوهابي ثانية بعد أن محي من الذاكرة وأعادته أموال البترول وجهود من لا يريد للمسلمين إلّا شراً.

○ ○ ○

وباختصار يمكننا القول: ان الوهابية نتاج تصوراته غريبة عن الإسلام، قد حققت كل أهداف المنظومات العالمية المعادية له، ومن مصلحتها ان تتصدى

الوهابية - نيابة عنها - لوحدة المسلمين وتضامنهم ومساعيهم نحو البناء والتطور. وبهذا نكتشف سر الدعم لها والتحالف الستراتيجي القائم معها.

وحسبنا هنا أن نذكر هذه الشهادة الاخيرة لسانت جون فيلبي بخصوص الدعوة الوهابية باعتبارها حركة اصلاحية عظيمة، أي أنها تحقق الاهداف العظيمة من وجهة نظر هذا المبعوث البريطاني: (... الحكومة البريطانية لم تكن تركن إلى أي عنصر في جزيرة العرب مثل ركونها للحركة الاصلاحية السعودية العظيمة؛ التي كانت وحدها على مدى القرنين الاخيرين العامل المؤثر الذي يمكن أن يقود إلى نتائج قوية ودائمة، وهو أي عبد العزيز آل سعود يحكم الآن بقوة شبه الجزيرة العربية الوهابية)[١].

السؤال هو: هل ركنت الحكومة البريطانية للحركة الاصلاحية السعودية العظيمة (الوهابية) لأنها على مدى قرنين قادت إلى نتائج قوية ودائمة في تقويض وحدة المسلمين وزعزعة كيانهم، أم لأنها قادت إلى نتائج قوية ودائمة في تمكينهم ووحدتهم وتطورهم؟ الجواب متروك للقارئ الذي يعرف حقيقة نوايا الحكومة البريطانية ليتعرف على الاسباب الحقيقية؛ وراء جعل السعودية الآن القوة الأولى في العالم العربي والإسلامي أيضاً

○ ○ ○

٣ - لم يكن مسألة بناء الاضرحة والمساجد عند القبور وفوقها لتأخذ تلك الاهمية القصوى لدى الوهابيين لولا حاجتهم إليها لإشهادها حجة؛ ضد خصومهم العثمانيين الذين ساهموا ببناء بعضها ووسّعوا أو رمموا القديمة منها مما بني قبل عهدهم. إذ ان خصومة العثمانيين تستدعي تكفيرهم لكي يتم الخروج عن حكمهم وطاعتهم أولاً، ثم لمناوئتهم ومحاربتهم ثانياً.

---

(١) عن: نقض الوهابية - مصدر سابق ص ٢٣٠ /Htpp://www.ansab-online.com/phpBB2/ showthread.php?t=4375.

وهو الأمر الذي قام به الشريكان الطموحان للسلطة المؤسسان للكيان السعودي الوهابي، هنا أيضاً نعتقد _ كما تثبته بعض القرائن - ان العداء المبكر للدولة العثمانية لم يكن مبعثه اهتمامهم بالقبور والاضرحة، فاغلب هذه بنيت قبل مجيء العثمانيين للحكم، وانما مبعثه الطموح للسلطة الذي ساندته الحكومة البريطانية التي ركنت للوهابية باعتبارها الحركة الوحيدة التي ستحقق النتائج القوية والدائمة على حد تعبير فيلبي، وإذا فهو ليس مشروعاً وطنياً أو دينياً بحتاً يستهدف تخليص العبادة من الشرك وجعلها لله وحده.

يقول مفتي مصر الشيخ الدكتور علي جمعة عندما أفتى بجواز الصلاة في المساجد التي توجد بها أضرحة: (**أرجع سبب تحريم الوهابية الصلاة في هذه المساجد إلى خروجهم على الخلافة العثمانية، وأن الوهابيين جعلوا من بناء الخليفة العثماني للمساجد على القبور حجة لتكفيره، ومن ثم الخروج عليه. وأضاف: أنهم خرجوا على الدولة العثمانية، وتعاونوا مع الانكليز والفرنساوية**)[1].

ورغم اننا لا نريد الاطالة بهذه النقطة التي كتبت عنها دراسات عديدة اثبتت تبعية الحركة الوهابية لمناوئي الدولة العثمانية، التي بدأ الضعف يدب في أوصالها، إلا اننا نريد لفت نظر القاريء إلى حقيقة المخطط الوهابي الطموح للسلطة وبناء دولة وراثية وتعكزّه على مبررات ملفّقة وغير حقيقية لتعزيز دعواه ضد الدولة العثمانية المهيمنة، والتي تشكل العائق الوحيد لبناء مثل هذه الدولة الوراثية، وربما الامبراطورية حينما امتدت انظار الوهابيين نحو الشام ثم إخضاع جميع العالم الإسلامي، لولا تدخل محمد علي باشا والي مصر الذي دمر الوهابيين وأفشل خططهم وأزال دولتهم.

(١) المصدر السابق ص ٤٣.

وعن حقيقة الدولة الوهابية التي أريد أقامتها بذرائع دينية يقول مؤلف كتاب حاضر العالم الإسلامي (لوثر دوب ستدارد)، تحت عنوان: اليقظة الإسلامية: (. . . في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة. . وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فألبست الوحدانية سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات. فيما العالم مستغرق في هجعته إذا بصوت بدوي من صحراء شبه الجزيرة مهد الإسلام يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الاصلاح، وهو صوت المصلح الشهير محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٠-١٧٨٧م) الذي اشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت واندلعت ألسنتها إلى كل أنحاء العالم الإسلامي، الذي أخذ يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة مجد الإسلام القديم.

ولما مات سنة ١٧٨٧م خلفه ابن سعود فكان خير خليفة للمصلح السعودي الكبير الذي أخضع نجداً، ثم أخذ يستعد لعمل أكبر وهو إخضاع جميع العالم الإسلامي ونشر الاصلاح فيه، فجعل نصب عينيه الاماكن المقدسة، فكرَّ على الحجاز في صدر القرن التاسع عشر بمقاتليه المشتعلين حماسة دينية، وكان له ما أراد من الاستيلاء على الاماكن المقدسة، حيث لم يستطع الاتراك الصمود بوجه الوهابيين، وهم في نظرهم أهل الارتداد والجحود ومغتصبو الخلافة اغتصاباً من العرب.

وبينما كان ابن سعود يعد العدّة لفتح سوريا، وكان العالم يخيل إليه أن الوهابيين سيتدفقون على الشرق تدفقاً ويصنعون ما شاءه الله من الاصلاح في العالم الإسلامي. . غير ان ذلك لم يكن حيث استصرخ الاتراك محمد علي والي مصر، واستكفاهم أمر القضاء عليهم، فسرعان ما أجاب نداء السلطان، وما هي إلا مدّة قصيرة حتى استرد الاماكن المقدسة؛ وردّ الوهابيون على

أعقابهم فانقلبوا إلى الصحراء فاختفت الامبراطورية الوهابية في الحال اختفاء السراب. وأرخي الستار على الدور السياسي الوهابي؛ بيد أنّ خاتمة الدور السياسي كان فاتحة الدور الديني؛ فقد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيها نيران الغيرة الدينية)[١].

أي ان بذور الوهابية التي نثرت هناك ظلت تنتظر ربيعاً عربياً لتنمو ثانية وتنتشر في كل المنطقة. فالوهابية كانت البذرة المناسبة التي يمكن ان تعيش وتثمر في تلك الاجواء خصوصاً وان الحلم الامبراطوري ظل يراود أقطاب تلك الحركة من سلالة المؤسسين الأوائل.

اما المقاتلين البدو المشتعلين حماسة فقد عادوا خيامهم وقطعان ماشيتهم منتظرين فرصاً جديدة تتاح لهم فيها فرص غزو جديد لمدن شبه الجزيرة العربية وغيرها.

وكان المشروع الوهابي المدعم من بريطانيا يحاول على الدوام الاستفادة من: (الخصائص المكونة للشخصية البدوية محولاً الشعور بالدونية عند البدوي تجاه سكان المدن إلى حقد عليهم ودعوة للتمرد وفرض منطق البادية، مستفيداً من التكوّن البسيط لحياة البادية وانشداد البدوي إلى البساطة في القضايا العقائدية تبعاً للبساطة في نمط عيشه، وبالتالي في البنى الفكرية والثقافية لمجتمعه. فالبدو لا ينشغلون في المسائل الفقهية الشرعية عادة ويتركونها على عاتق أبناء المدن حيث المدارس والحلقات العلمية، فاذا بابن عبد الوهاب يقدم لهؤلاء (مذهباً) يتنكر لكل الاجتهادات العلوم الشرعية، ولكل العلماء والفقهاء يفتري عليهم بتحريف الدين ويرميهم بالكفر الشرك)[٢].

---

(١) المصدر السباق ص ٥٩ - ٦٠ عن كتاب: حاضر العالم الإسلامي ج١ ص ٢٥٩-٢٦٣.

(٢) محمد فقيه/ تكوّن التبعيّة السعودية/ بيروت لبنان ط ١-١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ص ١١٨.

ولم يكن من الممكن أن يكون هؤلاء البدو مادة لحركة اصلاحية، وقد اعتادوا حياة الجهل والأمية، غير انهم مادة مناسبة لأفكار الشيخ التي تتماشى مع مزاجهم وذوقهم العام ونزوعهم إلى الصحراء وحياة التنقل مع مواشيهم. فهذه هي الحياة الحقيقية بنظرهم، أما المدن وعمارتها وبناياتها فلم تكن تعني لهم إلا أحجار لا يمكن ان تحجرهم في ظلها لمدة طويلة، حتى لو كانت قصوراً شامخة. وحتى المساجد الكبيرة والاضرحة لم تكن بنظرهم إلا بنايات خاصة بأهل المدن وليست لها أية قيمة حتى لو اقترنت برموز اسلامية مقدسة أو وقائع أو كانت من آثار المسلمين القديمة.

وهم كالبحارة الذين يلفوّن موتاهم بأكياس ويرمونها في البحر، يدسّون موتاهم في الرمال، وقد يحصلون على صخرة صغيرة يعلّمون بها القبر، ثم سرعان ما يتركونه لمرعى أو بئر في مكان آخر..

قسوة الطبيعة لا بد ان تنتج مخلوقات قاسية ترى أن حياتها في موت غيرها، وأنها مأكولة إن لم تكن آكلة، فالصحراء لا تتسع إلا لعدد محدود والقوة الغالبة لا بد ان تزيح القوة المغلوبة التي تزاحمها على الماء والمرعى..

انهم قد يعجبون من صبر أهل المدن على العيش في ظل البنايات والاحجار، رغم انهم قد يحسدونهم على عيشهم المرفه الناعم نسبة إلى حياتهم الخشنة القاسية. ولو اتيحت لهم الفرصة لأزالوها وجعلوها انقاضاً.. ويلاحظ انهم في اغلب غزواتهم للمدن والبلدات، ومنها التي قاموا بها تحت قيادة الوهابيين (كما فعلوا في العيينة وغيرها) قد عمدوا إلى تخريب الدور والبنايات واقتلاع وحرق الاشجار بعد قتل اهلها أو تشريدهم مع انهم كانوا يستطيعون الافادة منها بالسكن في الدور واستثمار البساتين، غير ان العداء بينهم بين العمارة والاستقرار عداء مستحكم، أقرّه مزاج عشرات الاجيال من

الاباء الذين جعلوا هذه الحياة وحدها جديرة أن يحياها الإنسان. هل يمكن اقناع أحد أن أمثال هؤلاء أن يقوموا بدور إصلاحي تنويري، أم أن دافعهم للانضمام للدعوة الوهابية هو الوعود بأموال طائلة توفرها لهم الغزوات التي ستكون هذه المرة باسم الدين، وستضمن لهم خير الدنيا والآخرة.

سجّل الغزوات الوهابية كما في مدونّة ابن غنّام، أول مؤرخ لهم، وابن بشر المؤرخ اللاحق كان يلهج بحمد تلك الغزوات وغنائها، ويقارنها بالغزوات الإسلامية الأولى لمصر والعراق ويعدها من الفتوحات العظيمة (للمسلمين) الوهابيين ضد الكفرة والمشركين (والذين يشهدون بالشهادتين، ومع ذلك يؤدون فروض دينهم. . .).

وإذا ما لُقن هؤلاء بأن الاضرحة والمساجد المشيدة فوق القبور هي أوثان وأعواد؛ وأنها تخدش الايمان وإذا ما أكد لهم مرشدهم الروحي ذلك باسلوب نسقي مكرور وجعل ذلك موجباً للشرك وانه من الكبائر التي هي أشد من الزنا والسرقة بل عبادة للاصنام. مؤيداً ذلك بشهادات من فقهاء كبار نفض عنهم غبار النسيان وجعل مكانتهم في صدارة علماء المسلمين من الاولين والآخرين مثل؛ ابن تيمية وابن القيم. . ويجعلوا قول فقيههم ديناً يتعبدون به ويصدقوا أنهم يقومون حقاً بدور إصلاحي لمحاربة الشرك والوثنية. . ثم تأتي أجيال بعد ذلك تعتقد أن آباءها على حق وانهم سيقتدون بهم حتى يحققوا الاصلاح المنشود ويعود إلى الإسلام صفاءه ونقاءه وبساطته بعد تهديم كل شيء والعودة إلى حياة الرعي والصحراء. .؟ كيف لهؤلاء أن يلتفتوا إلى أطماع قادتهم الطموحين لإقامة امبراطوريات وراثية على غرار الامبراطوريات القديمة البائدة، ووسائل الاعلام والمال والوعاظ والمؤسسات الدينية التي تلقنّهم مفردات دينهم وتلاحقهم في كل لحظة هي بيد هؤلاء القادة وقد زادت الأموال

وفرة؛ وتطورت الوسائل إلى فضائيات وتنظيمات وجمعيات خيرية وشيوخ دين متمرسين يغردون كالبلابل. . ؟

إن مخيلة لوثر دوب ستودار خططت نيابة عن الوهابيّن لاقامة (جامعة إسلامية) يبدأ ظهورها (باستيلاء ابن سعود على الاماكن المقدسة باعتبارها الخطوة الأولى في سبيل فتح العالم الإسلامي فتحاً اصلاحياً دينياً، تتلوه الوحدة السياسية العامة بين جميع الممالك الإسلامية، ولكن لما سقطت الوهابية دون مبتغاها العظيم، اخذ الاضطراب السياسي على أثر ذلك يشتد في العالم الإسلامي بصورة واسعة)[١]

ونجد ستودارد هنا وهابياً أكثر من الوهابيين؛ وهذا ما يجعلنا نتساءل عن سر حماسته لمشروعهم مع انه لا ينتمي لدينهم أساساً. فلماذا تأخذه الغيرة إذاً ولماذا يتحمس لهم ما لم يكونوا يؤدون خدمة حقيقية للمشروع الحقيقي الذين يؤمن به، وهو إيجاد جامعة اسلامية تضم جميع الممالك بقيادة الوهابيين ليقودها الغرب. أليس هذا مبعث حماس من يروجّون للوهابية؛ من غير المسلمين؟

○○○

ومع ذلك فإن هذا المؤلف يشير إلى أن العداء أو الخوف أو الاضطراب من الغرب لم يكن هو سبب قيام مثل هذه الحركة (لأنّ اوربا لم تكن في ذلك الوقت قد حاولت فتحاً كبيراً في العالم الإسلامي سوى استخلاصها بعض الاصقاع من تركيا الاوروبية، وجزائر الهند وأما الفتوح العظمى فلم تكن قد ظهرت بعد غير ان اشباحها كانت تقترب شيئاً فشيئاً)[٢].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي/لوثر دوب ستودارد -١- ٢٩١ مصدر سابق؛ عن نقض الوهابية ص٦١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٢.

إن هذه اشارات يمكن أن تؤكد طبيعة الدعوة الوهابية وسبب تذرعها بوجود الاضرحة والمساجد والقبور، والاثار الإسلامية لتكفير المسلمين وجعل ذلك مطية لمشروعها في السيطرة والتوسع لحساب اصحاب المشروع الاصليين. كما ان قراءة واعية في ملفات الوهابيين تجعل هذا الأمر واضحاً رغم كل محاولات التعتيم و الصمت.

○○○

٤ - طمس التاريخ وحرق ذاكرة الأمة (مشروع متكامل) لم يستهدف العمارات والآثار والمساجد والاضرحة. فإذا كان مبرر تهديم وتقويض هذه الآثار هو أنها تمهد للشرك والكفر، فما هو مبرر حرق عشرات الآلاف من الكتب و(أغلبها كتب إسلامية) وقد كتبت بالخط العربي من قبل بعض الصحابة وغيرهم، وفيما بعد من قبل العلماء، وقد تناولت موضوعات عديدة في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ والأدب وغيرها، ولو أنها بقيت لكانت ثروة علمية لا تقدر بثمن. .

وإذا كان الإنسان عدو ما يجهل، والبدو الاميون لم يدركوا خطر ما كانوا يقومون به عندما احرقوا كنوز التراث العربي والإسلامي، فما هو العذر من يدعي العلم وتزّعم نهضة اصلاحية ويتشدق بشعارات لم تثبت مصداقيتها في أي مرحلة من مراحل حراكه ووجوده؟!

وإذا كانت موضوعات بعض تلك الكتب تتناقض مع الافكار الوهابية؛ أما كان من الاجدر حفظها في أماكن أمينة وتناولها بالرد والنقد بدلاً من احراقها واتلافها جميعاً؟ غير ان من لا يجد حرمة للدماء والاعراض لا نتوقع منه ان يشعر بأي وخز للضمير؛ عندما يعدم جهود عشرات الالاف من المؤلفين والكتّاب والمفكرين والأدباء.

روى السيد أحمد بن زيني دحلان في (الدرر السنية): ان الشيخ محمد بن

عبد الوهاب أحرق «دائل الخيرات» وغيرها من كتب الصلاة على النبي ﷺ . . وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيراً منها، وأذن لكل من اتبعه ان يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه، فكان كل واحد منهم يفعل ذلك حتى لو كان لا يحفظ القرآن ولا شيئاً منه[١].

(. . وكان ينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس بهذه العلوم؛ ويقول ان ذلك بدعة)[٢].

فكيف يمكن التفقه في علوم القرآن والحديث والوصول إلى الاجتهاد واستنباط الاحكام الشرعية إذا لم تدرس مبادئ اللغة والمنطق والاصول وغيرها؟ غير ان ما يبدو معقولاً وضرورياً بنظر الآخرين يبدو مثيراً للسخرية بنظر الوهابيين ذوي الافق المحدود؛ فقد جهزّت الفتاوى الاحكام؛ وعلبت بشكل نهائي وأصبحت صادرة للاستهلاك.

فمدرسة ابن تيمية قد انتجت كل شيء، والمتلّقون المبهورين (بعلمه ودينه وورعه ومناقبه العالية) قنعوا وارتضوا كل ما قدمه اليهم، وكل ما انتجه ورثيه (المتّبع لا المبتدع) على حد تعبيره الشيخ ابن عبد الوهاب، فما حاجتهم إلى الكتب والعلوم والدراسات، فحسبهم ان يدرسوا علوم الشيخين ويكتفوا بذلك كأنما يتلقون العلم عن رسول الله ﷺ؛ فكلامهما واحكامهما هو القول الفصل[٣].

---

(١) الثورة الوهابية - مصدر سابق ص ١٨٥.

(٢) نفس المصدر ص ١٩٩.

(٣) ونلاحظ الآن ان بعض اعضاء الحركات الإسلامية المتطرفة في مصر والمغرب العربي وباكستان وغيرها يبررون بعض تصرفاتهم مثل الاقدام على تدمير بعض المساجد أو اصدار أحكام الاعدام أو التحرك الميداني اليومي؛ بفتاوى ابن تيمية حيث يأخذون منها =

وإذا استثينا ما قام به الوهابيون؛ ويقومون به الآن من حرق واتلاف ومنع الكتب الإسلامية الشيعة - فهذه كتب كفر صريح بنظرهم - فما هو مبرر اتلاف وإحراق الكنوز العلمية التي حوتها مكتبات المدينة ومكة حتى في آخر غزوة لها ايام عبد العزيز بن سعود، وهي كنوز لا تقدر بثمن وخصوصا (المكتبة العربية) التاريخية - العلمية التي أحرقوها، تُعد من أثمن المكتبات في العالم قيمة تاريخية، إذ لا تقدر بالمال أبداً اذ كان فيها (٦٠,٠٠٠) من الكتب النادرة والجامعة لمختلف المناهل العلمية والتاريخية وفيها (٤٠,٠٠٠) مخطوطة نادرة الوجود تنتمي لمختلف العصور[١].

ألا يثير ما فعله الوهابيون بتراث الأمة الثقافي التساؤل حول حقيقة مشروعهم الاصلاحي؟ وهل يمكن تصديق مزاعمهم بشأن تنقية الاسلام وإعادته إلى صفائه الأول؟ وهل ان الإسلام يدعوا للجهل والأمية والتخلف حتى يعودوا إلى ذلك الصفاء، وان الناس ليسوا بحاجة إلى أي علم وعندهم «كتاب الله»، كأن هناك وحياً يتنزل على كل واحد منهم؛ ليفسر له أحكام القرآن؟

ان الأمر يستدعي وقفة تأملية جادة من قبل الجميع، اصحاب المشروع الوهابي وغيرهم، فقد أصبحنا الآن بفعل الخصومات والحرائق التي اشعلها الوهابيون، في مؤخرة الأمم ومن أضعفها، واصبحنا بحاجة ماسة إلى خبراتها وعلمها وصناعتها ومنتوجاتها ولم نتفوق عليها إلا بالشعارات الحماسية الكاذبة. هذا عصر سريع وفرصة اللحاق بالآخرين اصبحت الآن غير متاحة؛ واللاعب الوهابي يهيمن على الساحة ويقلق الجميع.

○○○

= ما يناسبهم، وكأنه يعيش الآن بينهم فله حضور حيّ ومرجعيته الطاغية على جميع أتباع هذه الحركات.

(١) نقض الوهابية - مصدر سابق ٢٣٤.

٥ - لا شك ان المشروع الوهابي مشروع سياسي متعدد الاهداف فبالاضافة إلى السعي لإقامة امبراطورية أو ملكية وراثية، هو هدف أول لأصحاب المشروع الظاهريين (آل سعود وآل عبد الوهاب)، هناك سعي آخر من قبل أصحاب المشروع الاصليين، وهم من جندوا ابن سعود وابن عبد الوهاب ووقفوا وراءهما لتمرير اهدافهم الرئيسية، وهو إحداث شرخ في جدار الوحدة الإسلامية أو التلاحم بين المسلمين الذي إذا ما تم فأن هؤلاء سيكونون قوة بنّاءة مستقلة. ليست بحاجة إلى أي توجيه أو رعاية خارجية وسيبنون كياناً له وجوده الفاعل في المجتمع الدولي. وقد اثبتت الشعارات الدينية المهيجة والمحرضة وذات الاسلوب الذي تبدو فيه الحمية والغيرة الدينية واضحة، انها ذات فعاليه كبرى، فمجتمعات الجهل والانحطاط لم تستفد من التجارب السابقة، وربما لم تسمع بها، تلك التجارب التي سبقت انشاء الامبراطوريات الإسلامية السابقة والتي جندت الملايين لمشاريعها الفوضوية. ولأن الناس لم يقرأوا التاريخ فقد أعاد التاريخ نفسه بكل اخطائه ومساوئه ولم تتم الاستفادة من تجاربه. وقد حسّب المضللون بالمشروع الوهابي أنفسهم مكتشفي الإسلام الذي اضاعه الجميع في القرون التي سبقتهم، وفي كل ركن من العالم إلا أرضهم «نجد» مع انها كانت على مر التاريخ الإسلامي في مركز الانحراف وحاضنته الرئيسية.

لقد وجدت شعارات وعناوين التكفير لدى النجديين صدى مقبولاً، إذ جُعل الهاجس الاكبر للوهابيين والمغرر وبهم الواقعين تحت سلطات الجهل والتخلف وقسوة الطبيعة والحياة الخشنة، وقد حسبوا أنهم يؤدون واجباً مقدساً لتحرير الناس مما توهموه شركاً أكبر أو كفراً.

وقد اتاحت موارد البترول في النصف من قرن الماضي للوهابيين تصدير مشروعهم إلى دول الجوار؛ وإلى مختلف دول العالم الإسلامي؛ بل العالم

أجمع ولم يعد بامكانهم الآن التراجع عن كل ثوابت مشروعهم التكفيري خصوصاً بعد أن تبنته منظمات واحزاب متطرفة جعلت (ولي الأمر) السعودي نفسه في قائمة المنحرفين عن الوهابية؛ كما فعل (الاخوان)[١]؛ في الثلث الاول من القرن الماضي.

ولابد ان الجميع الآن قي مأزق خطير، الدولة السعودية بخطوطها وقنواتها المتعددة؛ والحركات التي احتضنتها في الداخل وتلك التي قدمت لها الدعم في الخارج، وكذلك الدول الحليفة للسعودية التي حسبت انها ستستخدم هؤلاء المتطرفين اداة لتنقيذ اجنداتها ثم تتخلص منهم فيما بعد. . ولم يدر في البال أن لهؤلاء المتطرفين اجنداتهم، وانهم يشكلون الآن قوة خفية وخلايا نائمة، ربما ستفجر العالم من حيث لا يحتسب. . خصوصا وان الدول الكبرى التي تحرص على مصالحها بالدرجة الأولى تظن ان الخطوات التي تقوم بها في التعامل مع هؤلاء تتسم بالفطنة والدقة، وربما استقت معلوماتها عنهم وعن نشاطاتهم وطبيعة توجهاتهم الفكرية من خبراء ومستشارين مسلمين ينتمون عقائدياً إلى الخط الاصلي الذي ينتمي إليه هؤلاء. وربما

(١) (الاخوان) حركة شكلها عبد العزيز بن سعود من الوهابيين المتطرفين من مختلف القبائل وأسكن أعضاءها في تجمعات سكنية شبه زراعية ورعوية أسماها (الهجر)، وقد كُوّن منهم قوة ضاربة تتقدم قواته في كل معركة أو غزوة، والهُجر مفردها (هجرة) مناطق هاجر إليها هؤلاء واختاروا السكن فيها كمسلمين صحيحي العقيدة، بعيداً عن الآخرين (المشركين) بنظرهم حتى لا يتلوثوا بهم وبعقائدهم. وهي تجربة حاولت بعض الحركات المصرية المتطرفة استنساخها عندما دعت أعضاءها إلى اعتزال المجتمع لحين (التمكن) ثم العودة إليه والوثوب عليه وتغيُيره بالقوة. وقد تنامت قوة الأخوان في نهاية العقد الثالث من القرن الماضي ووجدوا في تصرفات عبد العزيز خروجاً عن التعاليم الوهابية، وانتقدوه وحاولوا الخروج عليه؛ إلا انه قمع تحركهم ضده بمساعدة القوات البريطانية؛ وفتاوى (العلماء) من آل عبد الوهاب.

اختزن عقلهم الباطن ومشاعرهم ميلاً غير محسوس اليهم، وان بدوا بالظاهر غير مهتمين أو مبالين بالدين أو الطائفية الدينية.

وإذا ما ألغي البند الخاص بتكفير المسلمين والحكم عليهم بالموت؛ فأي مبرر يبقى للوهابية لكي تظل على قيد الحياة، وتصدر ثقافتها المتأزمة؟! ان الوهابيين سيكونون اتباع مذهب اسلامي مع بقية المذاهب الأخرى، وستظل الاختلافات الفقهية عوامل للانتاج والابداع، لا الاختلاف والفرقة والقطيعة وسيعيش الجميع في ظل اجواء تفاهم وحوار هادئة.

غير ان **السؤال** هو: هل وجدت الوهابية لتحقيق هذا الهدف أم أنها وجدت لإرساء ثقافة القطيعة واللاعودة. ولو أن مبررات وجودها لم تعد قائمة، فهل يتخلى أقطاب العرش السعودي عن ملكهم الذي شيدوه بدعاوى الوهابية وتلفيقاتها بحق المسلمين.

○ ○ ○

إن الإرهاب لن يختفي نهائياً، حتى وان اختفت الدولة السعودية؛ لكنه سيتراجع بشكل ملحوظ بعد غياب الدعم المادي الذي تقدمه له، وستظل بؤره أقل فعالية وأكثر للسيطرة عليها عندما تتخلى هذه الدولة عن دعمها غير المحدود (**الخفي والمعلن**) له.

وإذا اقتضت مصالح بعض الدول العظمى بقاء هذه الدولة فان ما يمكن اللجوء إليه في كبح جماح الارهابيين هو الضغط على قادتها لتغيير اسلوبهم خصوصاً في الداخل ومع الجماهير التي لا تتماشى مع نهجهم العقائدي، ومراقبة منافذ تمويل الارهابيين التي تتم خارج الضوابط والتعليمات المعروفة. وإذا ما بدا وجود الدولة السعودية الآن ضرورياً لخدمة المصالح الغربية والاسرائيلية في المنطقة، فسيكون وجودها في المستقبل وبالاً عليها بعد أن اصبح اللاعب السعودي غير قادر على امساك كل خيوط اللعبة بيديه؛ وفقد

شرعية وجوده بنظر المتطرفين الذين خلقهم رغم المحاولات التي لا تزال جارية لدعمهم ومغازلتهم وتمويلهم بالأموال والسلاح، وربما يحمل الغد الينا مفاجات عديدة؛ بسبب عدم انضباط هؤلاء وعدم التزامهم بأية قواعد معروفة.

○○○

٦ - يحاول الوهابيين عرض متبنيّاتهم الفكرية على أنها محاولات رصينة لمنع الغلو والتطرف؛ مع انهم يتطرفون بالوسائل التي يلجأون إليها كما عرف عنهم طيلة تاريخهم المليء بالصراعات المريرة المعارك الدموية مع بقية المسلمين. كما يغالون بولائهم للخط الأموي المنحرف عن الإسلام، والذي حاربه منذ بداية ظهور الدعوة الإسلامية عندما لم ينجح في ذلك وانتصرت الدعوة وتسلل أفراده إلى الإسلام وانتسبوا إليه، وأصبحوا قادة ومتزعمين منذ سنة ٤٠ هـ، من خلال ملابسات مؤسفة سجلتها لنا المدونات التاريخية. وبذلك استطاعوا تحقيق ما عجزوا عنه قبل ذلك من الحاق الاذى بآل بيت النبي ﷺ، ووصل الأمر إلى حد اغتيال ابني بنته. أحدهما بالسم والآخر بطريقة وحشية مروعة في معركة غير متكافئة حيث قتل بالسيف وقطع رأسه ورؤس اصحابه القلائل، وحملت على الرماح في مسيرة طويلة من كربلاء في العراق إلى دمشق في الشام؛ حيث مقر الحكم الاموي وذلك لتخويف من يفكر بالخروج على الدولة أو انتقادها، باعتبار انها لم تتورع من إعدام أكبر شخصية بين المسلمين وجه إليها النقد واللوم؛ فكيف إذا ما أقدم غيره ومن هو أقل منه شأناً على ذلك. ! وكانت تلك أبلغ رسالة لمن يحاول شق عصا الطاعة على ولي الأمر المزيف. ان لجوء الدولة الاموية إلى وسائل ارهابية لمنع منتقديها ومعارضيها اصبح سنّة لكل دول الاستبداد اللاحقة التي جاءت بعدها ابتداء من الدولة العباسية التي قامت على انقاضها بعد ثمانين عاماً؛ واستمر في كل العهود.

ونشير هنا إلى ان هذا القمع الوحشي غير المبرر للمعارضين ثم بذرائع دينية؛ وضعت لها أحاديث ملفقة على لسان الرسول ﷺ تقضي بعدم مخالفة ولي الأمر أي الحاكم، كما حاولوا تفسير هذا المصطلح، مع انه لا يعني ذلك بل يعني ولي الأمر الشرعي أي النبي ﷺ ومن يخلفه[1].

ان تبنّي الوهابيين نهج الخط الاموي لا يعود لأسباب عقائدية بحته؛ بل لاسباب عديدة أخرى نتطرق إليها باختصار، جعلوها ذريعة لتحقيق مشروعهم في بناء دولة ملكية وراثية لها أجندتها المرتبطة بالاجندات الخارجية؛ التي ساندتها منذ فترة النشوء وحتى اليوم.

○ ○ ○

ولرفع الالتباس الحاصل بشأن سر العلاقة بين الوهابيّن والأمويين ندرج هنا بعض الملاحظات السريعة التي تفسر ذلك، وهي ملاحظات لا بد أن تدرس جيداً لبيان مدى مطابقتها لواقع الحال، وقد حاولنا التدرج في عرضها لاستخلاص النتيجة النهائية وهي؛ انتهاج مبدأ تكفير جميع المسلمين، ومحاولة النيل منهم واضعافهم والسيطرة عليهم، وجرهم إلى صراعات غير

(١) اشرنا في هذه الدراسة إلى بعض تلك الاحاديث التي لفقت لتثبيت نفوذ الحكام الامويين والتي استخدمت فيما بعد من قبل الدول اللاحقة. وبذلك صدرت فتاوى الفقهاء الموالين لتلك الدول بمشروعيّة قيامها بعمليات القتل والابادة الجماعية بحق سكان مدن بأكملها مثل «المدينة» التي احتضنت الرسول ﷺ ونصرته وكانت مقراً لحكومته. ونذكر هنا فتوى ابن تيمية الفقيه المتعصب بشأن قيام الدولة الاموية بقتل الحسين في واقعة كربلاء المعروفة: «وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده» «زاد الشر بخروجه وقتله ونُقص الخير بذلك، وصار ذلك سبباً لشر عظيم، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن» «منهاج السنة ٤-٥٣٠» ويقول في خروج الحسين على يزيد: «هذا رأي فاسد، فإنّ مفسدته أعظم من مصلحته. وما خرج على امام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر؛ أعظم مما تولد من الخير» «منهاج السنة ٢٤١: ٢».

منضبطة وغير ضرورية. بحجج ملفقة لا تمس عقائدهم أو واقعهم. . ولا بد أن واضع المشروع الوهابي يهتز في لحده طرباً؛ بعد ان تحققت كل امنياته في تأخر المسلمين وانحطاطهم.

١ - إذا ما تجنبنا الخوض في الملابسات التراجيدية التي أدت إلى اعتلاء معاوية منصة الخلافة ملكاً مطلقاً؛ فهذا موضوع طويل تحدثت عنه عشرات الكتب والمدوّنات التاريخية واكتفينا بنقطة جوهرية تمس طبيعة هذه الدراسة، نكتفي بالاشارة إلى أن الدولة الاموية التي تزعمها قائد محنك بأساليب التحريف والتضليل، عرضت نفسها على انها البديل لتجربة الخلافة الأولى وعرضت قادتها على انهم أولياء الامور المقصودون بالقرآن الكريم، الذين ينبغي طاعتهم من قبل المسلمين طاعة عمياء. وقد لفقوا بيانات وأحاديث على لسان الرسول ﷺ توصي بذلك وتدعو الجميع للخضوع والاستسلام لهم، حتى وإن جاروا أو ظلموا أو اساؤوا استخدام سلطتهم. باعتبار ان ما سينتج من الفساد عند الخروج عليهم يفوق الفساد الواقع منهم، باعتبار أنهم سيتمسكون بمواقعهم نتيجة الحق الالهي الممنوح لهم (حسب ما قرّره رواة الأحاديث)، وستنشأ عن ذلك حروب ومذابح مدمرة لا يكون جنبها الفساد الواقع فعلاً إلا أمراً هيناً ينبغي تمريره، حتى وان اندثر الإسلام وتم التلاعب به بذلك الشكل الذي تحدث عنه المؤرخون.

وقد اصبح (فساد) (ولي الأمر) وتلاعبه بمقدرات المسلمين أمراً الهياً مقراً، يعترف به الجميع بعد أن وضعت صياغته النهائية منظومة الفقهاء رواة الحديث المرتزقة، وممن نصبوا العداوة لولاة الأمر الحقيقيين الموصي بهم من الله ورسوله كما تدل القرائن الحقيقية والروايات الصادقة على ذلك. وقد اعتمدت الذرائع المزيفة بشأن (ولي الأمر) الذي تجب طاعته والخروج عليه جميع الانظمة الاستبدادية الوراثية التي جاءت بعد الامويين وفي مقدمتها نظام

(الخلافة العباسية) الذي أطاح (بالاخلافة الاموية) إلا انه لم يلغ تلك الذرائع ما دام قد استفاد منها لتعزيز وجوده وسلطته. ومن الطريف أن نذكر هنا ان (الخليفة العباسي المنصور الدوانيقي)، زجر أحد جلّاسه عندما وصف (الخليفة الاموي هشام) بالفاسق قائلاً له: لا تقل ذلك إن الله أجل وأكثر حكمة من أن يمنح ولايته لفاسق.

ومعنى ذلك انه بمجرد ان اصبح (أميراً للمؤمنين) حاكماً مطلقاً على رقاب المسلمين، أصبح معصوماً خالياً من كل عيب..

٢ - اتخذت الشعارات الوهابية ذريعة لاقامة مملكة مماثلة للمملكة أو الامبراطورية الأموية. وكان لا بد لها ان تستند إلى ذرائع مقبولة وسائدة لتحقيق ذلك. وهكذا فعلت عندما أعلنت أن ولي الأمر الذي ينبغي ان يطاع هو الحاكم الوهابي باعتبار انه وحده صحيح العقيدة، وأن من عداه مشرك أو كافر، أنه يُمثل الفرقة الناجية الموعودة بالجنة دون جميع (المسلمين = الكفرة) بسبب عدم إيمانهم بعقيدة الشيخ ابن عبد الوهاب. لقد بدت (الشرعية) التي وضعت العائلة الاموية على كرسي الحكم جاهزة ومفصّلة على قياس كل الطموحين لاقتناض هذا الكرسي والجلوس عليه. ولم يكن من المناسب أن لا تستفيد عائلة آل سعود المتطلعة للنفوذ والسلطة من هذا الكرسي الذي اتيح لمن حسبوه أقلّ منهم شأناً؛ خصوصاً؛ انهم بدأوا يتعكزون على تعليمات فقيه متعصب عرض عليهم الشراكة في الحكم واصبح نهجه واعداً باكتساب الاعوان المؤيدين المتحمسين من صفوف بداة نجد. وهكذا كان الأمر كما توقعوا بعد أن وفرّ لهم الغطاء الشرعي لشن الحروب على الآخرين والخروج عن طاعة (الخليفة العثماني) الذي كان بدوره يقيم سلطته على نفس الذرائع المتداولة والجاهزة. وكان لا بد من التمسك بغطاء الشرعية الأموي والاحتفاظ به وتحسين صورة الامويين حتى يظلوا هم حكاماً دائميين تتمتع سلالتهم بمباهج الحكم وامتيازاته.

٣ - إنّ توجيه أي نقد إلى تصرفات قادة الدولة الاموية أو طعن بشرعية قيامها ووجودها يعني امكانية توجيه طعن مماثل إلى شرعية الدولة الوهابية ذاتها؛ ويفسح المجال لنقد تصرفات حاكمها. ولا بد أن يكون هذا من الممنوع أو المسكوت عنه، وعلى النقيض ينبغي اقناع الناس بكل الوسائل المناسبة - حتى بالاكراه - بسلامة الحكم الاموي وحرصه على مصلحة المسلمين وانه كان يمثل النهج الإسلامي الاصيل والمطلوب، وانه استمرار لتجربة الخلافة الأولى التي عرضت كتجربة مثالية وأن من خرجوا عليه كانوا مارقين كفرة، وما كان يحق لهم ذلك حتى وان كانوا بمنزلة الحسين سبط رسول الله ﷺ أو كانوا من صحابته كما هو حال أهل المدينة. إن تلميع صور الحكام الامويين والتحدث عن انجازاتهم ومآثرهم ظل هاجساً قوياً لدى الوهابيين. فقد أريد لتلك الصورة أن تظل مثالاً للحاكم النموذجي الذكي الذي يتصرف وفق مصالح أمته، والذي تخلّص من وطأة الجمود والرتابة التي وصم بها المنافسون الحقيقّيون بالإسلام. إنّ أحاديث ملفقّة عديدة وضعت على لسان الرسول ﷺ اشادت بمناقب الحاكم الاموي الأول ككاتب للوحي بل أحد الامناء الثلاثة عليه؛ (جبرائيل ومحمد ﷺ ومعاوية) انه ﷺ دعا له أن يكون هادياً مهدّياً لأنه من جيل (الصحابة) وقد مسح سجله القديم كله بجرة قلم، وانه وابنه يزيد ومروان و(عبد الملك) وأولاده من جيل أوّل قرون الخيرية المزعومة، فقد أصبح الحديث عن انتهاكاتهم واستبدادهم وحتى النقد لمجرد من المحضورات، رغم ان هذه المحظورات قد رفعت عن طريق من تناولوا منافسيهم بالشتم والثلب واختلاق المساويء.

٤ - معلوم أنّ معاوية أوّل من أرسى ثقافة السب واللعن بين المسلمين واستهدف الإمام علي خاصة وآل النبي ﷺ، عندما سبّهم من على الاف المنابر التي كان ينبغي ان تكون للوعظ والارشاد وتعليم المسلمين أحكام دينهم؛ وقد صرح بأنه يلتزم هذا النهج حتى (يربو عليه الصغير ويهرم عليه

الكبير) ومنع الناس من الحديث عن فضائلهم. لقد تمت هذه العملية (التثقيفية) في مجتمع الشام على ما يشتهي تماماً بسلاسة وسهولة، لأن الفترة التي أمضاها قائداً لذلك المجتمع (والياً وخليفة) وهي اربعون سنة أتاحت له تربيته على مثله وأخلاقه والتحكم فيه، حتى انحاز إليه تماماً وبقيت بصماته واضحة فيه حتى بعد زوال الحكم الاموي.

أما في مجتمعات العراق الحجاز وغيرها فكانت وسائل القهر التخويف التي رافقت عملية ثقافة السب الاموية كفيلة باسكات المعارضين واستئصالهم وقتلهم.

وقد حفلت كتب التاريخ بذكر عمليات القمع والابادة المروعة التي مورست بحق هؤلاء المعارضين في العراق والمدينة ومكة، والتي سارت جنباً إلى جنب مع عمليات تلميع صور (الخلفاء) الامويين وكل المنافسين السابقين للامام علي، اذ كان لا بد أن تنجز المهمتان في وقت واحد وبأداء محسوب كان الخليفة الاموي الاول يشرف عليه شخصياً. لا بد أن نذكر هنا أنّ أكبر عمليات تزوير وتحريف واختلاق الاحاديث النبوية تمت أيام حكم معاوية وامتدت خلال الحقبة الاموية كلها..

ولأن المسألة مسألة حكم وسلطان ومصالح فقد غاب (الديني) عنها وأصبح (المقدس) هو مصلحة (الخليفة السلطان أو ولي الأمر) وقد وضعت دونه أكداس من المناقب حتى اصبح التعرض له ولو بخطرات الظنون من المحرمات، والشك فيه شكاً في الله وعدالته ودينه.

كان لا بد لمسح ذاكرة الأمة الجديدة على الإسلام أن تبذل جهود جبارة واموال اسطورية لانجاز هذا المشروع الهائل. ولأن عقلية الحاكم التي تعتبر أن الأمر أمر غلبة وتنافس على سلطان وملك، وان من حقه أن يتصرف بالأموال العامة بالطريقة التي يراها، فان هذه الأموال الهائلة للامبراطورية

الوليدة كانت تستخدم أسوأ استخدام كأموال خاصة تبنى بها القصور وتشترى الجواري وتمنح للأعوان والانصار دون أية ضوابط أو قوانين، فأمر الخليفة هو القانون. ويمكن القول أن الشريعة الإسلامية كشريعة حاكمة قد انتهى مفعولها وأصبح الإسلام في قلوب المؤمنين وحسب. ان الفراعنة والطواغيت الذين ظهروا بمسميّات جديدة صادروا دور القادة الحقيقيين وأريد للأمة أن تنظر اليهم باحترام وتبجيل، وان لا تفكر حتى بمجرد توجيه النقد إلى تصرفاتهم. وما اقامة الامويون أصبح قاعدة عامة لمن جاء بعدهم ابتداء من خصومهم العباسيين.

٥ - ولا شك ان العقبة الرئيسية أمام صرح المجد الاموي الملفق؛ هو الصرح القائم للرسول أهل بيته ﷺ.

فهذا لن تزيله امنيات مجردة ولن يمحى بجرة قلم. لأن الجميع يدعّون موالاة الرسول ﷺ وحبه فان النيل منه لا يتم إلا عن طريق النيل من آله وفي مقدمتهم الإمام علي وبنيه. فكان لا بد من عرضه على انه انسان عادي لا يتمتع بأية مناقب أو كفاءات استثنائية، وقد حجبت الاحاديث التي تحدثت عن فضله خاصه، وفضل بنيه، بل لفقت قصص أريد منها النيل من سمعته وكفاءته. .

إذ ان هذا حديث طويل قد كتبت عنه عشرات الكتب، فاننا نشير إليه في معرض الحديث عن سعي الدولة الاموية للنيل من رموز الإسلام، وهي خطوة للنيل من الإسلام والرسول ذاته.

٦ - إن القداسة التي سلبت منهم وعرضهم كطامحين منافسين على السلطة، جعلت خطوة للنيل من الرسول نفسه وعرضه كإنسان عادي غير معصوم إلا في أمور التبليغ عن الله، فكانه مجرد وعاء ينقل القرآن الكريم عن طريقه ثم لا أهمية له بعد ذلك. وقد لفقت قصص عن عدم خبرته في أمور

حياتية كثيرة حتى انه اعترف بذلك قائلاً لبعض اصحابه (أنتم أعلم بأمور دنياكم)..

والواقع ان مالقيه الرسول ﷺ من قومه (قريش) خاصة قد فاق الطاقة البشرية، وقد أوذي مثلما لم يؤذ نبي قط كما صرح متألماً من ذلك.

ان حديث الوهابيين عن الغلو في النبي ﷺ وقبره يثير السخرية. فالنبي ﷺ يحتاج إلى دفاع محكم أمام من لفقوا قصصاً غير لائقة بحقه، لا يستحق أي مسلم عادي ان تنسب إليه، وهي مذكورة في بعض كتب (الصحاح) مع الأسف.

وربما لم يساو هؤلاء في الولع بالنيل من نبيّهم إلا اتباع بعض الديانات السابقة الذين لفقوا قصصاً غير لائقة بحق انبيائهم مثل؛ موسى وداود وسليمان وغيرهم..

متى احترم هؤلاء نبيهم ﷺ حتى يغالون في قبره ويجعلونه وثناً وعيداً ويعبدونه؟

متى كانوا قريبين منه حتى لا تتاح لهم فرصة الالتصاق به؟

كيف مررت علينا هذه القصص غير اللائقة عن الرسول ﷺ وأصبحنا نتقبلها ونسيغها بينما حُرِّم نقد أي من صحابته.. بل حتى المتأخرين من مدّعي العلم و(أولياء الامور).؟

أترى أن الوهابيين، على سبيل المثال - يتقبّلون أي نقد لأفكار وتصرفات شيخهم أم أنه فوق النقد والمساءلة؟ لا شك أن هناك خللاً ما وشرخاً أحدث منذ زمن مبكر لحرف الإسلام عن طريقه، وجعله مجرد ممارسات وطقوس تؤدى في أماكن خاصة كالمساجد. أما الساحات الأخرى فهي مفتوحة لولي الأمر يتحكم بها كيفما يشاء.

ورغم معرفة الوهابيين بانتهاكات ملوك السلالات الوراثية التي ادعت الحكم باسم الإسلام وفي مقدمتهم الامويون، فهل وجه إليهم نقد خاص بشأن ملبسهم أو عبثهم أو مجونهم أو قصورهم الباذخة أو أموالهم..

مع انهم ينقدون من يطيل ثوبه عدة سنتمترات؛ أو يشذب لحيته الكثة ويلتزمون بذلك التزاماً صارماً؟

○○○

لا شك انهم يريدون ابعاد الناس عن النبي ﷺ بعد وفاته، كما حاول اسلافهم من الامويين وغيرهم إبعادهم عنه في حياته، وقد حاربوه حتى استسلموا له في فتح مكة.. لقد تذرعوا بأحاديث واهية وبعضها يحتمل تفسيرات عديدة لمنع الناس من زيارته والطلب من الله ان يشفّعه فيهم؛ بحجة أنه توفي ولا داعي لمخاطبته لأنه لا يسمع كلامهم. فاتهم ان المسلمين - في حياته وبعد وفاته - يسلمون عليه ويتوجهون إلى الله بالدعاء أن يقبل شفاعته وأن يجعله وسيلة إليه.

كما ان العقلية الإسلامية التي تؤمن بعالمي الغيب الشهادة والموت والبعث والحساب والوحي والقرآن وما أخبر الله الناس فيه، وبأقوال الرسول الصحيحة، تؤمن بما قاله ﷺ بأنه يسمع كلام من يسلم عليه والمؤمنين ويرد عليه الجواب.. اترى ان الوهابيين لا يؤمنون بذلك ولا يرون قيمة لأية انسان ميت حتى ولو كان رسول الله ﷺ ويؤمنون بالامور المادية المنظورة وحسب كما هو حال الماديّن والحسيّن وأمثالهم؟

انه رسول الله ايها السادة يسمع السلام ويرد الجواب ويشفع بإذن الله، وهو الوسيلة إليه وصراطه وسبيله وقرآنه الناطق. فكيف تكون عصا أحدكم أكثر فائدة منه. ولماذا تمنعون الناس من زيارته والسلام عليه ومخاطبته وإعادة

اللحمة والعلاقة الحميمة معه؟ فمن هداهم إلى الله ومن بشرهم بالإسلام، وكان عليهم شاهداً؟ أم ان شهادته انتهت بمجرد وفاته؟

لن تتاح فرصة إقامة مملكة ذات نَفَس استبدادي على نمط الممالك الوراثية الأولى، ومنع أي نقد لتصرفات قادتها إلا إذا أُخذت التجربة الاموية نموذجاً؛ إذ أنها أضفت الشرعية على وجودها بما لفق لها من أحاديث جعلت ذريعة لهذه الشرعية كما جعلت ذريعة لمنع أي نقد لها أو خروج عليها. وهكذا فأنها تبدو تجربة جاهزة معلبة تقدم لكل طامح لإقامة مملكة مماثلة. وسيبدو عدم الإفادة منها نوعاً من الغباء غير المبرر، فالمسألة هنا مسألة إقامة ملك عقيم لا مباراة في الاخلاق وعرض المناقب.

لا بد أن نشير هنا إلى أن الاعلام الاموي حاول عرض الصراعات الناشبة بين الامويين وغيرهم على أنها صراعات على الملك بين اشخاص متكافئين ينتمون إلى عوائل مرموقة من قريش، وعلى عموم الناس أن لا يتدخلوا بهذا الصراع إلا كأتباع لهذا الطرف أو ذاك، فهو شأن داخلي من شؤون الصفوة!

اترى ان الشيخين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب عندما جعلا سلسلة نسبها تتصل بالنبي ﷺ كانا لا يمهدان منذ البداية لإقامة ملك مماثل لذلك الذي أقامه الامويون والعباسيون؟ الدلائل تشير إلى ذلك منذ بدء تحالفهما في قرية الدرعية الصغيرة الفقيرة التي كانت تضم سبعين بيتاً فقط.

إن عليهما - ما داما يريدان إقامة دولة بعيدة عن النقد والمساءلة أن يستفيدا من التجربة الاموية الغنية وأن يكونا أمويين أكثر من بني أمية يعاديان أعدائها ويواليان أولياءها. . فمن ينتقد الامويين ويطعن بشرعيتهم فإنه يوجه سهام نقده للوهابيين أنفسهم، فقد حسموا أمرهم واتخذوا قرارهم. أما آليات العمل فقد تطورت وفق ما أملته الظروف اللاحقة. والذرائع التي رفعوها لإقامة كيانهم تمثلت باتهام المسلمين بالشرك والكفر والردّة وعبادة القبور

والاضرحة. وكان لا بد من اتخاذها حجة لإقامة كيان ديني منظم ومسلح. وإعداده لشن غزوات وحروب ماراثونية مستمرة على المسلمين بحجة محاربة الكفر والشرك وتنقية التوحيد.

ان هذه الحرب لم تنقطع خلال أكثر من قرنين ونصف، أي منذ أن وجد أول كيان وهابي في الدرعية واقيمت الدولة السعودية الأولى في النصف الاول من القرن الثامن عشر، انها تتصاعد الآن بدعم من الدولة السعودية الثالثة التي حاولت خلال قرن بأكمله جعل الوهابية مقبولة ومستساغة من قبل المسلمين وأوجدت حاضنات وبؤراً في مختلف انحاء العالم الإسلامي، تعتمد العنف وسيلة أولى لإخضاع المسلمين وإضعافهم وجعلهم تابعين بارجاعهم إلى عهود التخلف والأمية.

○ ○ ○

وكما ان الوهابيين قد حسموا خيارهم بخصوص الانحياز إلى الخط الاموي - الذي لم يكلف نفسه عناء إخفاء انحراف قادته، فانهم قد حسموه أيضاً باصرارهم على تكفير المسلمين، وإلا فبماذا سيتذرعون بشن كل هذه الهجمات والحروب واحتضان الحركات الارهابية والمتطرفة، إذا ما اعترفوا بأنهم كانوا على خطأ بشأن كفر المسلمين، وأنهم موحدون حقاً وانهم ولا يعبدون القبور ولا يغالون في الصالحين والأولياء الرموز الإسلامية المقدسة، وما إلى ذلك من الاتهامات التي رموهم بها؟ لا شك ان الحجج هنا ستنتفي كلية؛ وإذاً كيف سيحققون مشروعهم بإقامة دولة؛ وأية ذرائع سيرفعونها إن لم يرفعوا الذرائع الدينية؟

ولو أننا تابعنا تصرفات أغلب افراد العائلة السعودية الاخطبوطية الضخمة التي تتمتع بأكبر رصيد مالي في العالم، ورأينا ما يحدث في قصورهم من مجون وانقلاب أخلاقي وابتذال، هل كنا سنجد أي أثر للاسلام في هذه

المنتجعات الخاصة المغلقة، أم كنا سنجد إباحية لا يحلم بمثلها إلا إبليس؟ وحسبنا الاشادة إلى ما تحدثت عنه الصحف الغربية عن سفرات الأمراء السعوديين ويخوتهم وطائراتهم الخاصة، وحفلات الجنس والقمار التي يتبارون في إقامتها بعيداً عن أعين الفضوليين. مع ذلك فإن ما يرشح من تلك الاخبار يثير الخجل حتى لدى الذين لا يلتزمون بالتعاليم الإسلامية التزاماً دقيقاً.

إن قانون الصمت قد فرض بشكل حازم لمنع الحديث عن كل ذلك، غير ان الصخب يرتفع عندما يكون هذا الحديث عن الانتهاك الخطير الذي يقوم به المسلمون عندما يناجون رسول الله ﷺ وأهل بيته وبعض رموزهم المقدسة ويستعيدون أيامهم وذكرياتهم، ويعلنون عن تمسكهم بنهجهم..

فهؤلاء بنظر الوهابيين قد اشركوا شركاً أكبر؛ لاشفاء منه إلا بالذبح والإبادة.. إلا فأي مبرر آخر سيتيح سفك دمائهم وقتلهم؟

○ ○ ○

لا شك ان المسألة ستبدو كمزحة ثقيلة أمام من يستعرض هذه التناقضات في المواقف والآراء. فليس من المعقول ان توضع كلها في سلة واحدة لتسّوق ويتم قبولها دون فحص أو تدقيق.

٧ - ان كره الامويين للرسول وعائلته إذا ما كانت له مبرراته قبل الإسلام عندما حاربوه ولم يستجيبوا لرسالته. وكان أبو سفيان وابنه معاوية من أشد أعدائه في ذلك الحين، فانه سيفقد المبررات بعد ان استسلموا ودخلوا في الإسلام، بل أن الأمر يتطلب منهم احترامه وتوقيره إلى أبعد حد. فهل حسبوا أنهم سينالون السلطة لو لم يستخدموا الغطاء الديني الإسلامي، حتى وان كان مزوراً لإثبات شرعية وجودهم خلفاء وحكمهم لأكثر من ثمانين عاماً. ترى لو أن أبا سفيان علم ان الأمور ستؤول إلى ولده (كرة يتلاعبون بها)، ويُصبح

حاكماً مطلقاً على أكبر امبراطورية في ذلك الحين، هل كان سيحارب الإسلام ويقف أمام مدّه وانتشاره. أم انه سيكون أول المدافعين عنه.. هذه المفارقة لا بد أن تثير التساؤل في أذهان العديد من الباحثين والمراقبين، وسيبدو ذلك بنظرهم عبثاً غير مبرر. كما أن المسلمين سيتساءلون: هل ان دماء وتضحيات مائة وأربعة وعشرين ألف نبي قد ذهبت سدى، ليؤول الأمر الذي سعوا إلى تحقيقه إلى أمراء متهتكين وغير منضبطين أمثال يزيد والوليد وغيرهما! بل ان البعض ممن لم يدرس السنن التاريخية ويفهمها جيداً قد يشكك بالحكمة الالهية التي جعلت من هؤلاء قادة يتحكمون برقاب الناس ومقدراتهم.

٨ - ان تحقيق طموحات طلاب الحكم والسلطة ووجود المتملقين على أعتابهم جعلهم يعتقدون - وفق الفلسفات القدرّية والجبرية التي استحدثها لهم وعاظهم ومحدّثوهم الذين أتقنوا تزوير الحديث النبوي والتلاعب به - انهم وسلالاتهم أهم من الرسول ﷺ نفسه. فالرسول - وفق حديث موضوع يبّلغ رسالته ويذهب، أما خليفة المرء في أهله فباق يرعى شؤونهم ويدبر أمورهم. وقد أحاطوا الخليفة - أيّ خليفة - بهالة جُعل قدسية اختراقها أمراً متعذراً وجعلته شخصاً معصوماً لا يمكن المساس به. وهو أمر يضاف إلى رصيده كوليّ أمر واجب الطاعة، لا يجوز الخروج عليه أو توجيه النقد له لأي سبب، حتى لو انحرف وإيكال الأمر لله والدعاء له لكي يصلحه. فهو مصون عن كل مساءله غير مسؤول أمام أحد. ان هذه الهالة القدسية التي يستحقها رسول الله ﷺ أريد لها ان تنزع عنه بدعوى منع المغالاة فيه، حتى لا تكون تلك خطوة نحو الشرك. أما الخضوع المطلق للطواغيت والاصنام البشرية التي تتلاعب بالدين ومقدرات الناس وفق مصالحها واهوائها فلا يعتبر مغالاة في عبادة البشر، ولا يسبب أية أضرار ولا يفرز أي تناقض اجتماعي ويؤدي إلى الفقر والتخلف. فكأن الإسلام جاء لترسيخ مصالح فئة محدودة من الناس أما

أغلبيتهم التي سلبت كل حقوقها فما عليها إلا الدعاء للخليفة الذي سلب هذه الحقوق بطول العمر والذرية المباركة التي تتفوق عليه بذلك.

والواقع ان مشكلة المسلمين - كما هو حال أغلب من سبقهم لا تكمن في المغالاة بنيّهم أو آل بيته الصالحين من صحابته أو غيرهم - انما تكمن بكثرة الاذى الذي ألحق بهم. فكأن الله قد أوصى بذلك ولم يوص بمودتهم والاقتداء بهم، وجعلهم رموزاً مقدسة لجميع الاجيال.

إذا تساءلنا عن سبب معاداة النبي محمد ﷺ لوجدناه نابعاً في البداية من توجه قبلي شخصي قاده الامويين قبل الرسالة وبعدها، وظل هذا التوجه كامناً في الصدور، عبّرت عنه بأساليب شيطانية حاولت التفريق بين طاعة الله وطاعة الرسول[1]، باعتبار ان دور الرسول ينتهي بموته وانقطاع نزول الوحي، ليترك أمر التصرف بالنصوص القرانية وفق الاجتهاد غير المنضبط والقائم على الفهم الشخصي؛ كما يدعي الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخط (المجتهدين) الجهلة من أتباعه وغيرهم.

○○○

ان العقلية المسلمة تؤمن بحق الله على عبادة في توحيده ولزوم طاعته، وان هذه الطاعة مقرونة بطاعة رسوله والالتزام بوصاياه وعهوده ومواثيقه، فتجريده منها باعتبار ان الناس أعلم بشؤون دنياهم - كما لفّق بحديث منسوب إليه ﷺ - ستؤدي إلى نسف أصل التوحيد واقتلاعه من النفوس. فالله سبحانه لم ينزل على كل شخص وحياً بل ارسله إلى اناس مصطفين مختارين من قبله وأمر الناس بطاعتهم[2]. واعتبرها طاعة له لأنهم لا ينطقون عن هوى

(١) ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

(٢) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ =

ولا يتصرفون وفق مصالحهم وهواهم، كما اعتبر التفريق بين طاعة الله والرسول كفراً وتحقيراً للأنبياء ومكانتهم، فهو الذي اصطفاهم وآتاهم ملكاً عظيماً.

ان محاولة توهين الركن الثاني من الشهادة وابعاد الناس عن الرسول ﷺ ومودته تستهدف الركن الاول وهو شهادة لا إله إلا الله. فهو سبحانه زكى رسوله واختاره وبعثه ليطاع ويوقر ويكرّم ويكون رمزاً وقدوة في حياته وبعد موته. ولماذا تستبعد تزكية اناس آخرين من آله والأمر واضح أيضاً في كتاب الله[1]؟. ان الادعاء بان ذلك سيؤدي بالناس إلى عبادة الرسول والغلو واتخاذ قبره صنماً أو وثناً أو عيداً مجرد زعم باطل؛ بُعيد عن حقائق القرآن.

○○○

يشير عنوان الكتيب الذي وضعه محمد بن عبد الوهاب[2] إلى محاولة تمويه محبوكة متقصّدة يراد بها القول ان أي محاولة لتكريم أو زيارة النبي محمد ﷺ والأنبياء الآخرين والصالحين من آلهم وأصحابهم هو شرك أكبر لا تقارن به أية انتهاكات اخرى كالزنا والسرقة وغيرها، وقد وضع بطريقة

= وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ «النساء: ١٥٠-١٥٢].

(١) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(٢) التوحيد: الذي هو حق الله على العبيد. وهو كتاب يحتاج إلى مراجعة جادة وتدقيق وتحقيق لتوضيح ما فيه من تلبيس وتلاعب، لا يمكن كشفه إلا من قبل متخصصين في العلوم الإسلامية. ان ملاحظات توضيحية على أصل الكتيب يمكن ان ترشد القاريء إلى مواضيع اللبس والارباك التي وضع فيها. وقد اشرنا إلى العديد منها في هذه الدراسة كما وضعت عنها دراسات أخرى، إلا ان بعضها كتب بأسلوب لا يلامس الذوق والادراك العام للقاريء العادي.

تضلل القارئ البسيط ذي الثقافة المحدودة، وتوهمه بأن ما يقدّم فيه أمور محسومة من قبل جميع علماء المسلمين لا نقاش فيها، الواقع ان البراعة التي اتسم بها واضع هذا الكتيب تؤكد انتهاج اسلوب تلفيقي مبني على روايات مشكوك فيها، وميل واضح للاسرائيليات التي يبدو ولع الشيخ فيها واضحاً. وقد كان بامكانه الاكتفاء بعنوان الكتيب: (التوحيد) فقط دون الاستطراد في شرح العنوان فالتوحيد حقاً (حق الله على العبيد)، فهو سبحانه لم يطلب اشراك احد في عبادته، لكنه جعل انبياءه ورسله الوسيلة إليه والواسطة بينهم بين الناس يبلغونهم رسالاته ويكونون لهم قدوة ومثلاً أعلى. وهذا لا يعني انهم شركوا به واعتدوا بتوليهم الصالحين واحترامهم وزيارة مقاماتهم لتذكر مواقفهم وسيرتهم والاقتداء بها.

والواقع ان كتيب «التوحيد» ما كان له إلا أن يصنف بهذه الطريقة التمويهية المضلّلة لكي يؤدي مهمته في تكفير المسلمين واتهامهم بالشرك، لقيامهم بزيارة النبي ﷺ وبعض الرموز الكبيرة من آل بيته وصحابته وغيرهم من الصالحين. وقد عرضت مسألة الزيارة هذه والتشفع والتوسل وهذان الأمران يعتقد جميع المسلمين انها لا يتّمان إلا بإذن الله وقدرته؛ لا بإذن الشفيع أو التوسل به [1]- كما انهم يقرأون في صلواتهم اليومية خلاصة لكلام التوحيد

(١) لذلك فإن المسلمين يقرأون كلام الله ويرددونه دائماً؛ وآية الكرسي لها أثرها واعتبارها الخاص لديهم جميعاً: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾[البقرة: ٢٥٥] وسواء أكان رسول الله ﷺ حياً أو ميتاً فان الناس تطلب من الله ان يشفعه بهم، لأن الشفاعة هي بإذن الله لا بإذن النبي أو أي من الصالحين أحياء كانوا أو أمواتاً، لذا فلا معنى للاعتراف بشفاعة الرسول حياً وعدم الاعتراف بها ميتاً وكأنه هو الذي يقوم بها شخصياً؛ ودون إذن الله ودون تدخّله.

في سورة (الفاتحة) و(التوحيد) لا لبس عند احد منهم في فهمها والقناعة بهما كما انهم يردّدون الشهادة الثانية بالصيغة التالية (. . . واشهد أن محمداً عبده ورسوله) وهي إقراره بعبودية محمد ﷺ لله سبحانه. ومن الغريب ان الشيخ - وهو يضع - بيانه - عن التوحيد لم يشر إليها مع انه لا شك يعرف أداء الصلاة كبقية المسلمين، ولو انه اكتفى بهما أو أقام بشرحها استناداً إلى التفاسير المأثورة لكان قد افاد الجميع. غير انه أعرض عن ذلك وهو يخطط لعملية تكفير المسلمين بحجج ملفقة مفتعلة أخذت مفعولها لدى تيارات وحركات اسلامية متشددة عديدة أخذت تتبنى أفكاره وتهاجم المسلمين وغير المسلمين، وتخوض حرباً عالمية جديدة ضدهم.

لا يمكن أن يتبادر إلى ذهن أي متابع للمشروع الوهابي انه بريء وأنه نابع عن شعور مخلص لتنقية الإسلام من الشرك والخرافات، فهذه قد تخلص منها المسلمون منذ البداية، وإذا ما وجدت فئات جاهلة أو متخلفة فان وجودها جاء نتيجة الانحراف العام للقيادات التي تسلطت على رقابهم، وانشغلت بتعزيز مصالحها وتوسيع امتيازاتها وقمع مناوئيها. فلم يكن هاجسهم في أي وقت ترويج العلوم الإسلامية ودعم المؤسسات العلمية والعلماء الباحثين إلا بالمقدار الذي يتاح لهم فيه تحسين صورهم والظهور بمظهر الراعي الغيور الذي يحب الإسلام ويرعى العلم والعلماء. إن قوة الإسلام واشعاعه القوي ووفرة الموضوعات التي تناولتها العلوم الإسلامية هي الدافع الاساس وراء قيام نهضات علمية وثقافية في بعض مراحل التاريخ. ولم يكن تدخل بعض (الخلفاء) لرعاية الحركة العلمية إلا نافلة وترفاً، ومن مشاهد التغيير ومظاهر الزينة في البلاطات التي تقرّب الشعراء والمداحين والمغنين والراقصات أكثر مما تقرّب العلماء الحقيقين وتشجع مجالس العلم.

○○○

هل أن السيف وحده كفيل باقتلاع الجهل والخرافة؛ أم ان الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن هو ما يطلبه الله منا في تأكيد واضح بآيات بينات من القرآن الكريم؛ ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً. ولو شاء لأمر المسلمين باللجوء إليه.. أفهل انه نسي أن يأمرنا به جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، حتى يأتي الوهابيون بقانون الصحراء المتوحش الغابر ليعيدوا الغزوات البدوية كأنها مجد يضيفونه إلى مجد الإسلام.

ان التكفير يتماهى ويتجانس مع العقليات التي لا تزال تؤمن بالغزو وتحنّ إليه؛ وكأنه كان التراث الحقيقي الاصيل للمسلمين. إن بعض فئات المجتمعات الإسلامية لا تزال تنظر إلى ماضينا وكأنه مرهون بسيف (جهاد = غزو) غير منضبط، يخضعون به العالم ولا شيء سواه لهم ذلك.

وقد يتوهم من يظن ان الفكر التكفيري الوهابي سيختفي - كما ظن آخرون من قبل أن فكر الخوارج الفج الذي لم يهضم سماحة الإسلام ومرونته سيختفي. وها هو يظهر الآن بنسخته الوهابية المعدلة المسوّقة بمهارة وذكاء.. فطالما وجدت أوعية وعقليات تحتضنه وترى فيه الحل الوحيد للعودة إلى الماضي المجيد (وكأن الماضي كان مجيداً كله) وطالما وجد من يدفع لترويجه اموالاً قارونية جادت بها الأرض على غفلة من الزمن على رعاته وكهنته المتطرفين فسيظل يضخ ويسوق إلى العقليات القابلة لاحتوائه والتفاعل معه.

٩ - من الثابت تاريخياً أن الخط الاموي النموذج والقدوة للوهابيين عرف بعداوته لآل النبي ﷺ وفي مقدمتهم الإمام علي وأولاده. وكانت مساعي هذا الخط لتثبيت حكمه وهيمنته يسير باتجاهين متوازيين في وقت واحد: **أولهما** اثبات شرعية وجوده وأحقيته بالسلطة الحكم، **وثانيهما** نزع الشرعية عن أي منافس أو خصم، وما كان ذلك ليتم ويقتنع المسلمون به لو لم يلجأ الامويون، وفي مقدمتهم مؤسس الدولة الاول إلى مختلف الاساليب غير

المشروعة وفي مقدمتها بذل الأموال الطائلة لشراء الاعوان والمحاربين واللجوء إلى أقسى وسائل الفتك والقتل واستعمال وسائل الدعاية المضللة. ولم يتورعوا عن استخدام أي منها في أي وقت.

وقد ارتكبت انتهاكات مروعة بحق المعارضين والمنافسين تحدثت عنها المدونات التاريخية باسهاب. **والسؤال هنا**: هل يسمح الامويون ببناء أضرحة أو مساجد تضم قبور الذين قاموا بقتلهم واغتيالهم أم انهم سيبذلون كل جهودهم لمحو آثارهم وطمس اسمائهم وتشويه سيرتهم؟ لا بد ان الشق الثاني من السؤال يشكل الجواب المناسب، وهكذا اخفيت قبور الإمام علي أولاده وبعض أصحابه حتى لا تنالها يد التجريف والطمس، كما شاهدنا في بعض مراحل الحكم العباسي (أيام المتوكل مثلاً). فوجودها وزيارتها سيكون شاهداً على الجرائم الاموية التي بذلت الدولة مساعي كبيرة لمسحها من ذاكرة الأمة ونسيانها. وما الاحاديث الموضوعة الا غطاء (شرعي) لطمسها ومحوها. وإذا نظرنا إلى تاريخ كتابة الحديث النبوي نرى فيه انه يبدأ منذ الحقبة الاموية بعد ان منعت كتابته بعد وفاة الرسول ﷺ بحجة عدم فسح المجال لاختلاطه بالنصوص القرآنية والتباس الامور على المسلمين، مع انه اسلوب القرآن واضح متميز، لا يمكن حتى للجن أن تقلده.

وإذ ان هذه الاحاديث المزورة لا تزال تجد من يروّج لها، لنفس الدوافع الأولى التي حملها الامويون، فإن من حملوا مشروعهم لتهديم الاضرحة واخفاء حتى الآثار التي تشير إلى أصحابها مثل أماكن مولدهم وسكنهم، وبعض المحطات التي حملت بصمات عملهم وجهادهم، لجأوا إلى نفس هذه الاحاديث التي أحياها الفقيه المتطرف مستنداً إلى فقيه متطرف آخر كادت أن تمحى ذكراه لو لم يبعثه هذا من قبره، ويجعل منه أكبر رمز جدير بالاقتداء والقيادة وهو الفقيه الحنبلي تقي الدين ابن تيمية الذي عرف بمزاجه الحاد

وخصوماته ونصبه العداوة لأهل البيت ومواليهم. فقد جعلت فتاواه مظلة للفقيه المتأخر الفقير ثقافياً وعلمياً، وعصاً يتوكأ عليها لتنفيذ كل مفردات مشروعة التكفيري، والواقع أنه وجد مشروعاً جاهزاً مفصّلاً حسب القياس جعله مطية مناسبة لذلك. فلا عجب أن نرى الآن من يجعل منه نداً لأكبر اصحاب الرسول ﷺ، وكأنه العالم الوحيد الذي فهم الإسلام وكان جديراً بوراثة علومه ﷺ . . .

○○○

إن ما أقدم عليه الوهابيون لمحو ونسف الآثار الإسلامية ومنها الاضرحة والقبور، لم يكن ليتم بهذه الجرأة لو لم يوفروا الغطاء (الشرعي) الذي اقنعوا به أنصارهم المتهورين وبعض الفئات المضللة والساذجة من ابناء المجتمعات الإسلامية، ولو لم يكونوا الآن يتمتعون بهذا الثراء القاروني الذي يستطيعون به اسكات الاصوات المعارضة، واستغلال هذه المجتمعات بمشاكل وثورات وحروب وصراعات طائفية وغيرها. أليس هذا ما سعت إليه الوهابية على امتداد تاريخها المنظور على الأقل؟ إلا نجد ان مهمتها تبدو في تأجيج نار هذه الصراعات وسد أبواب الحوار والتفاهم بين المسلمين وبينهم وبين الآخرين؟ ألم تؤدي محصلة اعمالهم إلى شل العالم الإسلامي واشغاله بحروب ومشاكل يبدو انها لن تنتهي حتى يعود إلى العصور الحجرية القديمة؟

انه ليس امراً غير مدروس وغير مقصود ان ينهج الوهابيون نهج الامويين في معاداة خط أهل بيت النبي ﷺ واستهدافه والقضاء عليه. فهو يبدو بنظرهم العقبة الكبرى أمام تنفيذ مشروعهم. وإذا ما لجأ اولئك إلى اسلوب مباشر في القمع والتنكيل، فإن هؤلاء اضافوا إليه بعداً عقائدياً لجعله مشروعاً وجعل الشيعة يبدون بنظر بقية المسلمين العدو الاول الذي تجب محاربته وقمعه ومنع الحوار معه. فكأن الوهابية صممت لتهديم الآثار الإسلامية

والقضاء على الشيعة. وقد اندفعوا دون كلل أو تردد لتحقيق المهمتين ولم يتهاونوا في ذلك. حتى نشأت أجيال أعتقدت ان مبعث هذا الحماس هو صحة عقائد (الاباء) من حملة الوهابية الاوائل. وإذا ما أضيف عامل مساعد آخر لترسيخ القناعات المتوارثة هو قيام جيش من الباحثين الدينيين أو من أسموهم (العلماء) والمؤسسات الدينية الوهابية ودور النشر والاعلام والكتّاب من داخل المملكة الحاضنة وغيرها بأكبر حملة ترويج للفكر الوهابي النزيل والطارىء والمتلبس بلبوس أهل السّنة؛ مع انه لا ينتمي إلى أحد مذاهبها وينتهج نهج العداوة غير المعلنة لها، ترافقها حملة للنيل من مذهب أهل البيت بغية محاصرته ومحوه. رغم ذلك فان تنامي الوعي لدى المسلمين وانتشار وسائل الاتصال الحديثة جعلت مهمتهم غير سهلة وغير ناجحة، بل ربما أدت إلى نتائج عكسية عندما اطلع المسلمين على حقيقة هذا المذهب. وهكذا أخذوا يفكرون باتباع وسائل بطش مباشرة أكثر من تلك التي قام بها أسلافهم الأمويون والمحاربون من الاجيال الوهابية الأولى. ولا يمكن لأحد التكهن بتداعيات ما يقومون به بعد تمتعهم بأموال البترول الطائلة، وبعد ان أصبحت الوهابية مرجعية لجميع الحركات الإسلامية المتطرفة، وبعد تطور وسائل التنكيل والارهاب العابرة للحدود والقارات أيضاً.

○○○

١٠ - عندما لم يستطع الوهابيون مسح آثار النبوة واتمام مسيرة المنافقين المعاصرين له بالنيل منه، ومنع المسلمين من التبرك والتوسل به وطلب التشفع به من الله، لجأوا إلى المبررات التي وفرها لهم ابن تيمية بمحاربته ميتاً، ومنعوا التوسل والتبرك والتشفع به باعتبار انه لا يسمعهم بعد موته، مع ان العقلية الإسلامية تقبل احاديثه الواردة بنقيض ذلك، أي انه يسمع السلام ويرده، ان المسلم يطلب من الله الحي السميع ان يشفّع فيه رسوله ومن ارتضى من

الصالحين بإذنه هو. ولا يوجد ما يمنع من هذه الصلة الروحية الجميلة بين المسلمين ورموزهم وواسطتهم في ذلك هو الله سبحانه ومحبته وتمجيده، فكيف جعل ذلك مساوياً لمن يطلب الشفاعة من صنم وهو يعتقد انه ينفع ويضر، مثلما ان الله ينفع ويضر..

ان الرسول ﷺ لا يزال مستهدفاً كما كان من قبل المنافقين الذين لم يستطيعوا توجيه نصالهم وسهامهم لله مباشرة؛ فاستهدفوا رسوله وقصدهم أن يمحوا أو يضيعوا شعاراً لا إله إلا الله بمحو شعار: **محمد رسول الله**، وإذا ما كانت وسائل المنافقين الاولين لذلك مباشرة، فإن وسائل المتأخرين تبدو مغلفة بكثير من الحيلة والتمويه، فان الناس تزور الرسول ﷺ وتتوسل وتتبرك وتطلب شفاعته إلى الله لأنه رسوله وحبيبه. وبهذا العنوان ولهذا السبب ولقربه من الله يتواصل الناس معه ويتحملون مشقة السفر إليه لا لأنه يقدم إليهم الأموال أو المناصب، ولا لأنهم يعتقدون انه ينفع ويضر ويشفع بإذنه؛ وزيارته ميتاً كزيارته وهو حي، فهل انتهت رسالته أو نسخت حتى تمنع زيارته وزيارة الصالحين من أهله وأصحابه.

ان الوهابيين المتحدرين من اصول بدوية ينظرون إلى المسألة نظرة حسية طفولية، نظرتهم إلى شيخ قبيلة انتهى نفوذه وعطاؤه بموته، وعليهم أن يتوجهوا إلى الشيخ الجديد بالطاعة وطلب نائله وجائزه. فالذي مات أصبح لا يضر ولا ينفع، عصا أحدهم أكثر أهمية منه. ولعل حال من يتنكر للنبي ﷺ هو حال ابليس الذي شهد لله بالربيوبية والعبودية غير انه تنكر لمن اصطفاه الله وأمره بالسجود له وعصا أمر ربه في هذا الأمر. ومع ان الله لم يأمرنا بالسجود لأحد حتى ولو كان نبيّه الحبيب القريب ﷺ، إلا ان من يعتبر أن دوره قد انتهى وانه لم يعد ذو نفع أو ضر كحال شيخ القبيلة المتوفى، يمهد لقطيعة تامة معه ﷺ، مع ان المسلمين ينبغي أن يتواصلوا معه ويوقروه ويمجدوه

ويتخذوه مثلاً أعلى. وكيف يتم لهم ذلك إذا ما مسح من ذاكرتهم وكان حاله حال من سبقه من الناس العاديين.

١١ - لم يكن المسلمون قبل توحيد ابن تيمية الملتوي والمعقد والمبني على تأليه الربوبية، ثم تأليه العبودية بدلاً من ذلك القائم على الشهادتين أو المبني على آيات واضحة من القرآن الكريم، يدخلون في متاهات غامضة للغوص في معنى التوحيد الملامس للفطرة المستقيمة والعقل غير الملتوي. إذ أن القرآن والرسول ارشداهم إلى طريق مباشر سهل: **نطق الشهادتين** أولاً **والتمعن في السور القصار** والتي ترد في صلاتهم اليومية التي ينبغي ان يكرروها عدة مرات في اليوم. ان هذا الفقيه المتشنج الذي يمنع من اللجوء إلى المنطق وعلم الكلام والادلة العقلية، يدخل الناس في متاهات عندما يلجأ إلى هذه الادلة بطريقته الانتقائية الخاصة لا بالطرق المتعارفة، ويشوش عقول الجميع باستدلالاته وحججه المبنية على قناعات مسبقة محسومة لديه. كما ان أراءه بشأن الاضرحة والمساجد التي شيدت حول القبور قبله بتسعة قرون والتي اعتبر فيها ذلك خطأ ينبغي تصحيحه باقتلاعها ونسفها لم تكن مبنية على اساس واقعي، لأن أغلبها قد شيد في (قرون السلف الخيرية) كما يعترف هو بذلك وما عليه وهو المتبّع كما يزعم إلا ان يوافق السلف على ما قاموا به، وان لا يستهجن اعمالهم في هذه المسألة بالذات وهي المسألة التي تؤرقه، إذ لو التف الناس حول قبر معاوية أو يزيد أو مروان وغيرهم لكان ذلك قد زاده غبطة وسروراً؛ أما وأنهم قد التفوا حول قبر الرسول ﷺ وآل بيته والصالحين من اصحابه وغيرهم، فإن هذا الفقيه المتعصب شن حرباً شعواء لمنع ذلك؛ اكملها تلميذه محمد بن عبد الوهاب الذي وجد أمامه مشروعاً جاهزاً يمكن توظيفه لصالح مشروعه؛ باقامة دولة وهابية سعودية تعمل على الإسلام واضعاف ابنائه عن طريق بث الفرقة والحروب مما يؤدي بالتالي إلى التخلف والجهل كما هو حاصل فعلاً نتيجة مساعيهم الدؤوبة بهذا الشأن.

لم يكن المسلمون قبل تيمية يعتبرون بناء الاضرحة والمساجد من الامور المثيرة للجدل، وقد تعارفوا قبل وفاة الرسول بعد ذلك على دفن موتاهم في قبور معلّمة باحجار وغيرها لتمييزها عن بعضها؛ كما دفن الرسول في بيته وأقيم عليه مسجد وسّع عدة مرات وطور وجدد حسب تطور الظروف والأوضاع العامة للناس، لم يجد أحد فيه شركاً أو وثناً يعبد من دون الله رغم زيارة الملايين له كل عام. فكيف ظل ضريحه الشريف والاضرحة الأخرى قائمة طوال هذه القرون، ولم يتعرض لها أحد من المسلمين أو يقوم احد العلماء باصدار فتوى بهدمها ونسفها حتى جاء ابن عبد الوهاب بهذا المشروع التخريبي؟ ألا يدل اتفاقهم على مشروعية وجودها وزيارتها والتبرك بها والتوسل بالصالحين المدفونين فيها وطلب الشفاعة من الله بهم باعتبارهم من العباد المخلصين لا الطواغيت التي تدعي أو يدّعي أحد أنها تنفع وتضر. ألا يدل ذلك على بطلان الدعوى الوهابية وشذوذها؟ ثم ألا يدل عليه مخالفة جميع العلماء المعاصرين لهم منذ بداية الدعوة الوهابية حتى اليوم، والتي استندت إلى أحاديث هشة موضوعة لا نصيب لها من الصحة.

١٢ - وردت آيات عديدة في القرآن الكريم فيها شهادات واضحة على استهداف النبي ﷺ بالاذى من قبل المنافقين والمشركين، وبعض الذين دخلوا الإسلام رياء وخوفاً ولما يكد الإسلام يدخل في قلوبهم ومن الذين يسارعون في الكفر والكذابين السماعّين للكذب والمشككين بعدالته ﷺ، والذين يلمزونه في الصدقات والذين يحادوّنه ويستهزءون به وينادونه من وراء الحجرات بأصوات وأساليب فظة غليظة، ويرفعون أصواتهم فوق صوته ويتربصون الفرص لإلحاق أبلغ الاذى به، هذا وهو في أوج قوته وعزه قائداً للأمة الإسلامية وقد روت لنا كتب الصحاح والسيرة العديد من القصص

والاحداث. . وشهادة القرآن قاطعة بذلك[١] لا تدع مجالاً لأي شك في محاولات المنافقين للحط من مكانته واستهدافه بالاذى سواء في نفسه أو في أهل بيته، لقد علم المنافقون أن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بشهادة القرآن الكريم أيضاً سيكونون عقبة في كل مشاريع الانحراف اللاحقة؛ فخططوا لابعادهم عن الساحة ولو اقتضى الأمر تصفيتهم جسدياً.

ولا شك ان حملة الوهابيين لطمس فضائل النبي ﷺ وأهل بيته تدخل في نطاق الحملة الأولى للمنافقين في صدر الإسلام، وهي استمرار لها. وقد توسلوا إليها بآليات وحجج وطرائق مستحدثة عن طريق منع التواصل معهم أو زيارة قبورهم، وهي حجج حاولوا اثباتها واقناع المسلمين بها باعتبار ان ذلك شرك وان الرسول نفسه قد أوصى بعدم بناء قبره أو بناء ضريح أو مسجد عليه لئلا يكون عيداً أو صنماً يفتتن به المسلمون؛ كما افتتن أصحاب نوح بالصالحين.

لعل هذه أكبر مزحة يتفوه بها شيخ الوهابية، فنوح عليه السلام قد اشتهر بمعاداة قومه له حتى انه لم يصعد إلى سفينته غير عدد ضئيل منهم؛ حتى ولده رفض ذلك، اضافة إلى استهدافهم إياه بالأذى والسخرية طيلة نبوته وبنائه السفينة. وقد تحدث القرآن الكريم عن استهتارهم واستهانتهم به، وعن قسوتهم تجاه اتباعه المستضعفين. ولا ندري كيف أصبح هؤلاء الاشرار القساة مولعين بالصالحين من قومهم فأقاموا لهم تماثيل؟ هل كان ذلك قبل أو أثناه بناء السفينة التي ربما انجزه نوح وحده أو مع قلة من اصحابه، أو بعد اقلاع السفينة حيث لم ينج منها إلا الذين سافروا فيها. ولم يتحدث القرآن عن قوم

(١) راجع على سبيل المثال سورة التوبة (٥٨ - ٥٩؛ ١٢٨ - ١٢٩) وسورة القلم (٤٨ - ٥٢) وسورة المائدة (٤١- ٤٢).

نوح وانتشارهم وولعهم بالصالحين؟ كيف عكس الشيخ الآية وعرض لنا اصحاب نوح بهذه الطريقة التي تدل على خيال خصب؛ لم يماثله إلّا خيال واضعي الاسرائيليات التي دسوها في (صحاح) المسلمين على انها ومن أقوال الرسول من التراث الإسلامي، وكأن الرسول كان يحتاج إلى هؤلاء لكي يكتمل الدين، وكأن جبرائيل لم يقم بمهمته بتبليغها على ما اراد الله منه ذلك.

ان ما أورده الشيخ بخصوص ولع قوم نوح الاخيار الطيبين بالصالحين وإقامة تماثيل لهم بعد ذلك وقيامهم بعبادتها لا مصداقية له؛ بعد كل ما أخبرنا القرآن الكريم عنهم وعن قسوتهم. ولكي تبدو حججه مقنعة وهو يدعو إلى توحيد خاص استعار ادواته المعقدة من شيخه ابن تيميّة فانه عبّر عن مخاوفه من قيام المسلمين بتقليد قوم نوح المغرمين بالصالحين ويكونوا مغرمين مثلهم بالصالحين؛ أي الرسول ﷺ وآل الرسول ويتخذوا قبورهم وقبابهم وأضرحتهم أصناماً يتوجهون إليها بالعبادة وهي مخاوف نسبها للرسول ﷺ مستنداً إلى الاحاديث الواهية التي تثبت بطلانها وضعف سندها. وهكذا منعوا الصلاة على النبي من على المنابر أو من المآذن قبل الاذان وبعده ومنعوا التغني بمدحه والتنويه بخصاله ومواقفه. وكأن المسلمين يمدحونه ليحصلوا على مال أو مكسب، وكأن الله سبحانه لم يصلّ عليه ولم يمدحه ويشيد بمناقبة وكراماته وشخصه الكريم..

ولأنّ القرآن تغنىٰ بنبيّنا الكريم ﷺ فلماذا يراد منعنا عن ذلك؟ هل سنصدق ان الدافع من وراء ذلك هو تخليص التوحيد لله؟ هل ان التغني والاشادة والتعلق برسول الله عقبة في الوصول إلى الله وتوحيده، أم انه واسطة سريعة لفهم هذا التوحيد والوصول إلى الحقيقة؟ وكيف يكون حبيب الله وأمينه على وحيه ومبلغ رسالاته عائقاً عن الوصول إليه جلّ علا؟

هل ان البشرية تراجعت إلى بدائيتها الأولى وعهود الطوطمية والطفولة

رغم كل ما انجزته وحققته من تقدم في كل المجالات، ليقوم كل واحد بنحت صنم كما كان يفعل اصحاب نوح - على حد زعم الشيخ الوهابي، ويتوجهون إليه بالعبادة أو يجعلونه شريكاً لله إذا ما كانوا سينبهرون بالاضرحة والقباب كما ينبهر بها البدو الذين لم يشاهدوا أبنية من قبل. فلماذا لا ينبهرون بالبنايات والقصور والعمارات والجسور والبواخر، والاقمار الصناعية والطائرات، ويتوجهوا إليها بالعبادة رغم انها أعلى وأضخم وبعضها أكثر قدرة على الحركة والتنقل والطيران؟

لقد أصبح معلوماً ان كل هذه المنجزات الحديثة هي من صنع الإنسان الذي علّمه الله ما لم يعلم، والذي يتطلع إلى المزيد منها، ولم يعد يعجب منها كما كان يفعل بعض البدائيين الجهلة عندما رأوا مظهراً واحداً من مظاهر الحضارة الحديثة[1]. إن سبب الاعجاب قد يكون نابعاً من الدونية والعجز التي يشعر بها البعض تجاه قدرات الآخرين والغزو الحضاري والتأثير قد يتأتى من هذا الجانب. . .

غير ان من يتأمل في خلق الله ودقته وإحكامه لا يرى معه أي مبدع آخر ويرى انه الوحيد الذي أحكم صنعه، والذي ينبغي التوجه إليه بالعبادة ولن ينبهر بأي شيء آخر يبدعه العقل البشري في أي مجال؛ إذ لا يعد شيء يذكر أمام عجائب خالق الكون. .

(١) وهو السيارة؛ فقد سجد لها أحد الهنود عندما مرّت أمامه قبل أكثر من مائة عام؛ باعتبارها شيئاً خارقاً لم يتصور أنه من صنع إنسان. كما ان أحد البدو هتف عند مشاهدته سيارة تسير دون أن يسحبها أو يدفعها أحد قائلاً «متعجب خالقله بعيره» أي انه يتساءل متحدثاً عن الذات الالهية: هل يحق لله أن يعجب بمخلوقه الجمل، وهذه السيارة تسير أسرع منه وربما بدت في نظره أجمل وأبدع! وقد حسب بعض البدو من اتباع عبد العزيز بن سعود ان الجن هي التي تتكلم في اللاسلكي؛ وان عليه ان لا يستخدمه أو يستخدم السيارة أو الراديو.

لا بد هنا من تسكين روع الوهابيين المتطيرين من الانبهار المزعوم للمسلمين بالاضرحة والقبور والخائفين من التوجه إليها بالعبادة، فهم لم ينجذبوا إليها لأنها عالية وجميلة ومتقنة البناء، بل لأن فيها من شدت إليها أرواحهم.. فماذا لا تشد هذه الارواح الآن إلى أبدع ما شيد من عمارات وأبراج وغيرها، ويتركوا ما اعتادت أرواحهم ونفوسهم التوجه إليه بالتبجيل والتقدير لا العبادة كما يزعم الوهابيون الذين يقومون بحملة محمومة لمحاصرة الكعبة؛ بقرون الشيطان الصغيرة المتمثلة بالابراج العالية التي يعد أمامها هيكل الكعبة صغيراً قزماً.. فالله لم يأمر أنبياءه ببنائها ليفتخر بسعتها وعلو سقفها وأنما جعله مثابة للناس وأمناً، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليه.

وإذا ما أصبحت الكعبة كأنها في نيويورك أو شيكاغو وسط حشد من ناطحات سحاب وابرج وقصور وفنادق عاليه، فستظل بنظر المسلمين أعلى وأجمل منها، ولن يتوجه الناس إلا إليها لعبادة المبدع (القدير)، كما سيظلون متوجهين إلى المراقد التي ضمت أجساد أحبائهم الذين كانوا على الدوام منارات ترشد إلى النور وستظل قلوبهم وأرواحهم مشدودة اليهم تتغنى بمآثرهم وأخلاقهم التي تجسد حقيقة الإسلام. ولن يستطيع أحد رغم كل هذه الابراج الهائلة التي أريد لها أن تحف بها وتحاصرها منعهم من بركاتها وتغييبها، وحجب شعائر الله وقيم الدين الكبيرة، وايقاع المسلمين في حفر ومطبات ليظلوا بعيدين عنها، لكي يطوفوا بقصور آل سعود وأضرابهم الباذخة.

○○○

ان المشروع الوهابي الذي حسبوا انه يقترب من الخطوات الأخيرة لانجازه يسير الآن باتجاهين متوازيين؛ هما:

* تهديم ونسف ما تبقى من الآثار والعمائر الإسلامية بحجة الشرك

والانحراف عن التوحيد أو بذريعة توسعه بعض المساجد كمسجد الرسول[١]، وأقامة بعض الابنية الحديثة الضخمة كالفنادق والقصور بزعمة السعي لراحة الحجاج القادمين إلى الاراضي المقدسة. فلم يعد الوهابيون بحاجة إلى الذريعة القديمة لتهديم الآثار، وحسبهم الاعلان عن حرصهم على راحة الحجاج والزوار لإقامة ابنية وفنادق وأماكن تسوق ليبرروا تدمير الآثار التي تذكر المسلمين بصفحات مجيدة من تاريخ ينبغي ان لا تطوي وتنسى. ولا بد ان المسلمين سيكتشفون الخطط والاغراض غير البريئة من إقامة هذا الحشد من الابنية والعمارات الضخمة حول الكعبة ومسجد النبي ﷺ؛ لتحاصرها بهذا الشكل المرعب وتضايق الحجيج والزوار الذين تتصاعد اعدادهم كل عام والذين يعانون مشاق كبيرة الآن في اداء مناسك الحج والطواف، فكيف في المستقبل عندما تتزايد أعدادهم. فهل ان الاراضي قليلة حتى لا تقام تلك البنايات إلا حول الكعبة؟ أم أن أفكار إبرهة الحبشي وعبد الملك بن مروان الاموي لا تزال تثير خيالهم بإقامة بنايات بديلة عن الكعبة يتوجه إليها الناس بالعبادة. ولتكون الخطوة الأخيرة هو التمهيد لضربها أو نسفها من قبل الحمقى من غير المسلمين؛ ربما رداً على بعض الاعمال الاجرامية الحمقاء؛ التي يقوم

(١) نشرت مجلة «الاندبندنت» البريطانية في تقدير لها يوم السبت ٢٦ اكتوبر عام ٢٠١٢ تحقيقاً موسعاً على صفحتين بعنوان: «**السعودية تدّمر تاريخ الإسلام بالبلدوزر**» واعتبرت الصحيفة أن «خطط توسعة المسجد النبوي الشريف والتي سيبدأ العمل بها بعد انتهاء موسم الحج الحالي مباشرة جعل المدافعين عن الآثار وغيرهم من النشطاء منزعجين من أن التوسعة التي ستتم إلى الغرب من المسجد النبوي الحالي تعني تدمير العديد من المواقع الاثرية التاريخية». وأضافت: «لا توجد هناك خطط لصيانة تلك الآثار أو الحفاظ عليها». ويذّكر من ينتابهم القلق والمخاوف مما جرى في مكة حيث أزيلت آثار قيّمة عديدة لبناء الفنادق الضخمة والأبراج السكنية ومراكز التسوق، ويقدر معهد الخليج الفارسي في واشنطن انه في العشرين سنة الآخيرة تم تدمير ٩٥ في المائة من آثار مكة والمدينة.

بها بعض المتطرفين (الجهاديين) المحسوبين على الإسلام الذين ينسفون الآن كل تقارب أو تواصل مع الآخرين بافتعالهم خصومات وحروب مع العالم القوي كما فعلت «القاعدة» في نيويورك؛ ويدفع ثمنها المسلمون !

١٣ - لا شك ان الوهابيين يرثون الآن الولاية على الخط الذي يتبنى التهوين من شأن الأنبياء وتحقيرهم، والتغطية على الجرائم التي ارتكبت في حقهم على مر التاريخ، وآخرها ما ارتكب بحق النبي وأهل بيته وكما حدثنا القرآن الكريم عن وقائع كثيرة جرت منهم وخصوصاً بني اسرائيل الذين قتلوا سبعين نبياً منهم يحيى بن زكريا.. فهل أن من آذوا الأنبياء وآل الأنبياء قد غلوا أم انهم فرطوا فيهم إلى حد إباحة دمهم. فهل خاف الوهابيون أن (يرتد) هؤلاء إلى الدين الصحيح ويوالوا أولياء الله أم ان (اجتهادهم) المنفلت الذي لم يبن أو يقم على أية ضوابط من علم أو معرفة أو كلام منير يراد له ان ينتشروا ويعم ليدعي الجميع الاجتهاد، ويصدروا فتاوى القتل والابادة بحق المسلمين وغير المسلمين؛ لتعم الفوضى وتدعي كل حركة ارهابية وصايتها وأحقيتها وحدها بتفسير القرآن وتحكيم شريعتها وهي شريعة الغاب المبتكرة المتسلحة بفتاوى القتل العابر للقارات بأسلحة الكراهية والدمار الشامل ! هذه الحركات التي تهادن الطواغيت وتعمل في ظلهم وبرعايتهم هي التي تتبجح الآن بوصايتها على المسلمين، والتحدث باسمهم ولا تأنف من الانحناء لهؤلاء الطواغيت؛ والانحناء لهم باعتبارهم ولاة الأمر من دون الله ورسوله.

لا شك انهم قد حققوا الآن أهدافهم باشاعة الفوضى وتشويه المفاهيم ووضع الناس في مطبات الجهل والتضليل والإغواء، وتقديس الطاغوت وتحقير الأنبياء ولم يعد الأمر يقتضي سوى وضع اللمسات الاخيرة لإكمال الخطة الاموية لنسف الإسلام، عندما تنسف وتمحى كل أثاره ورموزه وتغيب كل شعائره بحجة (الشرك) التي اراد محمد بن عبد الوهاب ومن قبله ابن تيمية

تخليص بقية الأمة من (الخلف) منه؛ بعد أن وقع فيه (السلف) ممن جاءوا قبلهما. والذي لم يفهم أحد حتى من الصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم حقيقته، إلى ان أوضحه وجلاه الشيخان اللذان وفقهما الله وحدهما لحقيقة الإسلام وأكتشاف حقيقة الشرك التي كانت خافية على جميع المسلمين!

○○○

وإذا كان الله سبحانه قد أكد على بشرية الرسول ﷺ؛ أي تشابهه مع الآخرين في الصفات البشرية العامة والمشتركة كالولادة من أب وأم والوفاة والحاجة إلى الأكل والشرب والتنفس؛ إلا انه لم يخلقه متطابقاً مع الآخرين في سلوكهم ونوازعهم، كما ان الاخرين بدورهم لا يتطابقون مع بعضهم[1]؛ وإلا لما هوى البعض إلى اسفل سافلين أو ارتفع إلى أعلى عليين، ولما صار بعضهم والكلاب سواء أو تماثيل في بهميته الضالة مع الانعام بل هم أضل، واستوت إنسانية البعض مع القردة والخنازير، وارتفعت الصفوة منهم إلى أعلى عليين وخلق عدوهم وشيعة عدوّهم من سجين[2]. . فهل دلت معطيات الحياة ان البشر تساووا في انسانيتهم، حتى وان تشابهوا في بعض صفاتهم البشرية العامة، ولماذا حُمّل بعضهم اعباء الرسالات وتبنّى بعضهم محاربتها ووقف يحارب كل فعل انساني سليم حتى لو كان موجهاً من الله. .

ومع كل الاشارات الواضحة من القران الكريم لهذا الأمر الذي ينبغي أن

---

(١) ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٢-٣].

(٢) ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين: ١٨-٢١].

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠﴾ [المطففين: ٧-١٠].

تعرفه الفطرة الإنسانية المستقيمة نجد من يتطاول على مقام النبوة ويدعي أن النبي ﷺ كغيره من البشر يخطئ ويصيب في الامور الحياتية العامة، وانه معصوم في تبليغ الرسالة فقط، أي انه مجرد وعاء أو قاريء لنشرة الاخبار الالهية، وهم بذلك يخطئون الله جل وعلا عندما طلب من الجميع اتخاذه قدوة وأسوة حسنة[١]. فكيف يدعونا الله إلى التأسي به في كل ما يفعله ويقوم به سواء في حياته أو بعد وفاته، رغم انه ليس سوى مبلغ ادى رسالته على حد زعمهم ومضى إلى جوار ربه. ان كثرة الاشارات الإلهية إلى علو مقام النبي ﷺ في كل المجالات وآخرها مجال التبليغ[٢] لا تدع مجالاً لأي شك في تفرد منزلته عن جميع البشر، وانه سيدهم دون شك وانه رحمة للعالمين من الانس والجن؛ وهو أمان لأهل الأرض قد تفرد بتلقيه الوحي من رب العزة ليلة عروجه إلى السماوات العلى وكلمه من وراء حجاب. فأية قوة أعطاه الله اياها وأي مكانة رفيعة تبوأها حتى كان كما وصفه الله تعالى في أكثر من موضع في كتابه العزيز حتى استطاع حمل الرسالة الخاتمة وتبلغيها بأداء ما كان لأحد غيره أن يقدر عليه، لما لاقاه من أذى قبل انتشار الإسلام وتمكنه وحتى بعد ذلك من بعض المنتسبين إليه! وكيف يمكن ان يقال انه مجرد مبلّغ حفظ القرآن ورتلّه لنا وان دوره انتهى بوفاته؟

إن هناك من يحفظ نصوص القرآن الكريم وعددهم عشرات الالاف في كل جيل وباستطاعتهم ترتيله وترديد آياته دون اخطاء في النحو أو القراءة

---

(١) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(٢) استفاض الباحث المفكر المبدع د. أحمد راسم النفيس في الحديث عن هذا الموضوع في كتابه نقض الوهابية - مصدر سابق ص ١٢٢ وما بعدها.

ومنهم أطفال في المراحل الأولى من الدراسة الابتدائية. فهل يمكن اعتبارهم أو أي أحد منهم مهما كان مستواه قادراً على القيام ولو بجزء بسيط بما قام به نبيّنا الاكرم ﷺ مدينة العلم وأمين الله على وحيه وعزائم أمره؟ من يجرؤ على مقارنة أحد به رغم كل ما لجأ إليه أعداؤه من التنكيل به وتوهينه ونسبة بعض ما لا يليق حتى بالناس العاديين إليه؟ كيف انتقلت شهوة إيذاء الأنبياء وآلهم من بني اسرائيل إلى بعض من تسربلوا اللباس الإسلامي، فقاموا بايذاء نبيهم الكريم ﷺ أكثر مما فعل أولئك، حتى انه رغم مرّته وجلده وقوته على حمل الرسالة وتبليغها للناس اشتكى بمرارة من فظاظة بعضهم وسوء اخلاقهم. . هل انتهت شهوة الايذاء أم أن المسلمين لا يزالون يتناقلون في (صحاحهم) تلك القصص الفجة التي يريدون بها إثبات انه بشر عادي كبقية الناس يخطئ ويصيب، وأنتم أعرف بدنياكم وهو منفصل عن مجتمعه ولا يعرف عاداته ولا يريد أن يكون قدوة له وقيادته للنهوض به كما يريد رب العزّة أو انه جاء من كوكب آخر. ! لقد تحدثوا بتلذذ عن اخفاقه بتصريف الامور العادية واسداء بعض النصائح غير العملية كقصة تلقيح النخل الخيالية[1] التي «اثبتوا» فيها انه

(١) روى مسلم في (صحيحه) في باب: وجوب امتثال ما قاله ﷺ شرعاً دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي:

١٣٩ - (٢٣٦١) حدثنا قتيبة بن سعيد الثقفي وأبو كامل الجحدري، وتقاربا في اللفظ. وهذا حديث قتيبة، قالا: حدثنا أبو عوانه عن سماك عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال: «ما يصنع هؤلاء؟.» فقالوا: يلقحونه يجعلون الذكر في الانثى فيتلقح، فقال رسول الله ﷺ: «ما أظن يغني ذلك شيئاً» قال: فأُخبروا بذلك فتركوه - فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنّاً، فلا تؤاخذوني بالظن. لكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله جل علا».

١٤٠ - (٢٣٦٢) حدثنا عبد الله بن الرومي اليمامي وعباس بن عبد العظيم العنبري =

لم يشاهد نخلة في حياته من قبل، رغم بلوغه الستين وعيشه في موطن النخيل وزراعتها في المدينة وكأنه جاء من الاسكيمو أو بريطانيا! وكأنهم بهذه القصة الملفقّة يتحدثون عن انسان مولع بالثورة الفاشلة، دون أن يتوخى الحذر ويتدخل فيما لا يعنيه بخفة؛ ودون حكمة أو تأمل.. اليس هذا افتراء على رسول الله ﷺ.

هل تروى هذه الاحاديث ليقال ان الامور ينبغي أن تدار من قبل دهاة حاذقين من سلالة تجار كبار؛ أمثال أبي سفيان أعلم بأمور دنياهم من

= وأحمد بن جعفر المعقري، قالوا: حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا أبو النجاشي حدثني رافع بن خديج، قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة، وهم يأبرون النخل يقولون يلقّحون النخل فقال: «ما تصنعون؟» قالوا كنا نصنعه، قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً» فتركوه فنفضت أو فنقصت. قال: فذكروا ذلك له فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم بشيء من رأي؛ فإنما أنا بشر». قال عكرمة: أو نحو هذا قال المعقري: فنفضت، ولم يشك.

١٤١- (٢٣٦٣) حدثنا أبو بكر بن شيبة وعمرو الناقد فكلاهما عن الأسود بن عامر، قال أبو بكر: حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة، وعن ثابت عن أنس؛ أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلقحون، فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال فخرج شيخاً فمرّ بهم فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا كذا قال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».

فهل يعقل ان يتدخل رسول الله ﷺ بهذه الطريقة غير اللائقة، وهل يعقل انه يقدم مشورة غير صائبة ودون علم وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه فقهه في كل أمر من أمر الدين والحياة، وخاطبه تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٦-٣٩]. لا ندري سر هذا الولع العام بتوهين النبي ﷺ والنيل منه والحط من كرامته من قبل هذه الأمة، التي انتشلها من الظلمات إلى النور؛ اللهم إلا أن يكون الحقد المتأصل المتوارث أو عدم الفهم أو الروية عند تناقل أمثال هذه الأخبار.

النبي ﷺ، الذي أدى الرسالة وبلغها ورحل! أن هؤلاء الدهاة الحاذقين أمثال معاوية وعبد الملك سيتكفّلون بكل شيء بعد ذلك! ان سلالات الملوك اللاحقين الخبراء بالدنيا سيديرون شؤون المسلمين بطريقة أفضل مما ادارها ﷺ، وقد أصبحوا (ولاة أمر) واجبي الطاعة ولا يجوز الخروج عليهم أو انتقادهم وانما الدعاء لهم إذا أخطاوا. وإذا ما تجرأ أحد من المسلمين على التوجه إلى قبره الشريف بالسلام والزيارة والدعاء والصلاة عنده؛ فإن تهمة الشرك ستكون جاهزة لقطع رأسه. ان مشكلة المسلمين لا تكمن إلا بالمغالاة في «الصالحين»، وفي مقدمتهم سيدهم رسول الله ﷺ وانما بالايغال في الحط من شأنهم.

ربما رأى الوهابيون أن الامويين قصروا في مهمتهم للحط من شأن الرسول ﷺ، فأرادوا اكمال مشوارهم من خلال أموال النفط والاعلام المتطور المسخّر لهذه الغاية؛ كأن الله خلقهم لهذه المهمة وحدها.

○ ○ ○

١٤ - أن المشروع الوهابي يمرر بطريقة اعلامية صاخبة؛ وبوسائل تلقينية نسقية معادة مكرورة تطرق أدمغة مفرغة في كل لحظة دون ملل، حتى لا تدع مجالاً لأي مساحة للحوار أو التفاهم أو التدبر حتى يعطي انطباعاً عن مصداقيته وإخلاصه وحرصه الأكيد على تخليص المسلمين من الشرك ليعود صافياً نقياً على حد زعم المروجين والداعمين له. وقد تحدث بعض هؤلاء المروجيّن ومنهم علمانيون لا يؤمنون بالدين أصلاً - بفعل اموال البترودولار بطريقة شعرية قد استهوتهم كلمة الصفاء، وعرضوا الوهابية كحركة اصلاحية حقيقية لا كحركة سياسية مشكوك في امرها. فأثاروا مسألة فساد الدولة العثمانية وجهل بعض الناس فجعلوا ذلك مبرراً لقيام هذه (الحركة الاصلاحية العظمى) وكأنها لم تكن أضافة أخرى وتعزيزاً للجهل والتخلف. . فالجهل

البسيط يحتاج إلى مصلحين حقيقيين لينقذوا الناس منه بالكلمة الطيبة والتوعية والحوار لا فرض عقائد جديدة تؤزم أوضاع المسلمين وتركسهم في جهل آخر (معقد) يقوم عليه سدنة متعاونون يفسرون القرآن على هواهم.

ان الاساليب الرومانسية التي يتحدث بها بعض الكتاب - ومنهم علمانيون كما قلنا - كالجابري وبعض نجوم الفضائيات يتناولون الوهابية وأجواء الصحراء في الليالي الصافية، والبدو الذين لم تلوثهم الحضارة على حد زعمهم، وكأنها عودة طبيعية إلى احضان الفطرة الصحيحة التي أرشدت الانسان إلى دينه القويم. وقد سبّح أولئك الكتاب بحمد الوهابية التي أعادت الصفاء وعدلت الانحراف وصححت مفهوم التوحيد. ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في جذورها وأجنداتها الحقيقية، وما أحدثته من شرخ خطير وتصدع في جدار الوحدة الإسلامية تبدو تداعياته اليوم صراعات دموية وصدامات طاحنة بين المسلمين، حتى ليمكن القول ان الوهابية نجحت نجاحاً باهراً في سحق المسلمين وتخلفهم؛ وربما ستكون التداعيات المرتقبة أشد إضراراً بهم ما لم تؤخذ مسألتهم من قبل المفكرين والعلماء والمثقفين والقيادات السياسية، وتتم مواجهتهم ايديولوجياً لأنها الطريق الأسلم لتحصين المسلمين من تمويهاتهم وخططهم المضللة.

○○○

ولا بد ان الباحث الفرنسي السيد فوييه قد توصل إلى بعض أهداف الأجندة الوهابية من وراء تكفير من يزيدون ارتفاع القبر عدة سنتيمترات؛ أو يقيمون فوقه ضريحاً، اذ اعتبر ذلك طامة كبرى بنظر الوهابيين. فكيف يتاح لهم تنفيذ تلك الاهداف إذا لم يتهموا المسلمين الآخرين بالكفر والشرك! وبأية ذريعة سيقدمون على غزوهم وإستباحة دمائهم وأموالهم! وكيف ستتم زعزعة أمنهم واستقرارهم وإعادتهم إلى عهود التخلف والانحطاط السابقة؟!

ان واضع المشروع الوهابي حقق نجاحاً باهراً. غير ان حماقات حملة هذا المشروع ودعاته هي التي نبهت المسلمين إلى مخاطره. وربما ستدفعهم لرصد المزيد من تلك الحماقات و التعامل معها بروح المسؤولية لتجنب المزيد من المخاطر.

الولايات المتحدة/ واشنطن

٩/ ١٠/ ٢٠١٢

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ٥

الفصل الاول: الآثار والعمائر:
شواخص مادية وثائق تتحدث عن التاريخ

الفصل الأول: الشواخص المادية وثائق تتحدث عن التأريخ ١١

ـ ١ ـ ١١

ـ ٢ ـ ١٥

ـ ٣ ـ ١٩

الفصل الثاني: مشروع سياسي وذرائع دينية

الفصل الثاني: مشروع سياسي وذرائع دينية ٢٧

ـ ١ ـ ٢٧

ـ ٢ ـ ٣١

ـ ٣ ـ ٣٥

الفصل الثالث: الأساس (الفقهي) (الروائي) الذي اعتمده الوهابيون لتدمير العمائر والآثار الإسلامية

الفصل الثالث: الاساس (الفقهي) (الروائي) الذي اعتمده الوهابيون لتدمير العمائر والآثار الإسلامية ٤١

الفصل الرابع: نماذج من تدمير الوهابية للعمائر والآثار الإسلامية

الفصل الرابع: نماذج من تدمير الوهابية للعمائر والآثار الإسلامية ... ٦٥
النموذج الأول: واقعة غزو كربلاء ٦٥

الفصل الخامس: تفنيد الذرائع الدينية لنسف الآثار الإسلامية أحاديث مزوّرة وفهم خاطئ

الفصل الخامس: تفنيد الذرائع الدينية لنسف الآثار الإسلامية أحاديث مزوّرة وفهم خاطئ ٨٧
ـ ١ ـ ٨٧
ـ ٢ ـ ٩٢
ـ ٣ ـ ٩٧
ـ ٤ ـ ١٠٣
ـ ٥ ـ ١٠٩
ـ ٦ ـ ١١٠
ـ ٧ ـ ١٢٠

الفصل السادس: تفنيد الذرائع المزيّفة لنسف الآثار الإسلامية تعطيل العقول وتزوير الحقائق وموالاة الانحراف

الفصل السادس: تنفيذ الذرائع المزيّفة لنسف الآثار الإسلامية تعطيل العقول وتزوير الحقائق وموالاة الانحراف ١٢٩
الوثنية: بين الاصنام البشرية والحجرية ١٢٩
بين منع الحديث الصحيح وضخّ الاسرائيليات المزوّرة - عودة إلى حديث سابق - ١٥١

الفصل السابع: تدمير المعالم الإسلامية خطوة نحو تدمير العالم الإسلامي (قرنا الشيطان): ما وراء اللعبة الوهابيّة

الفصل السابع: تدمير المعالم الإسلامية خطوة نحو تدمير العالم الإسلامي (قرنا الشيطان): ما وراء اللعبة الوهابيّة ١٦١
الفهرس ٢٣٧